بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

حظيت الطريقةُ المريدية باهتمام العديد من الباحثين والكتاب، فخصصوا لها ولمؤسسها كثيرا من الدراسات والأبحاث، ولكن معظمها كان يستند في غالب الأحيان إلى مصادر السلطات الاستعمارية، بينما ظلت مصادر المريدية الأصلية المكتوبة باللغة العربية مخطوطات نادرة، وما طبع منها لم يكن في متناول يد القارئ العربي، بسبب نوعية الخط وضيق نطاق الانتشار. وهكذا، بقي جانب هام من التراث الإفريقي الإسلامي غائبا في المكتبة العربية الإسلامية ومجهولا لدى القراء في العالَمين العربي والإسلامي.

ولقد بذل الباحث الكبير الدكتور محمد شقرون مدير المعهد الأعلى للحضارة الإسلامية التابع لجامعة الزيتونة بتونس جهدا جبارا في تقديم وتحقيق واحد من أهم المصادر المريدية المكتوبة باللغة العربية، وهو **كتاب إرواء النديم من عذب حبّ الخديم** للشيخ محمّد الأمين جُوبْ الدّغاني، في سيرة الشيخ أحمد بمب رضي الله

عنه، مؤسس المريدية، وهو مؤلف لا َيستغني عنه أي باحث مَعِني بالطريقة المريدية وبسيرة مؤسسها، بفضل مـ لة المؤلف من الشيخ، حيث كان ملازما له وأمينا لسره، وبفضل ما كان يتمتع به من الـ اهة ومن الحرص على جمع المعلومات والروايات وتوثيقها.

ومن الواضح أن الباحث قد واجَه، في جمع مادته العلمية، صعوباتٍ جمة، لم يكن ليتمكن من تذليلها لولا شدة مثابرته وعلو همته، وهو بذا العمل قد عبد طريقا كان وعرا أمام الدارسين والباحثين، وقدم خدمة جليلة للبحث العلمي وللمعرفة الإنسانية بشكل عام.

ويُسعد الإدارة العامة لمؤسسة الأزهر الإسلامية في السنغال أن تقوم بطبع الكتاب ونشره، لتتحف جميع القراء والباحثين المهتمين بالتراث الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء بذا العمل العلمي القيم.

**الإدارة العامة لمؤسسة الأزهر الإسلامية**
**طوبى دار السلام – اندام**
**جمهورية السنغال**

# إرواء النديم
# من عذب حبّ الخديم

## (سيرة الشيخ أحمد بمب)

للشيخ محمّد الأمين جوب الدّغاني

تحقيق وتعليق د. محمّد شقرون

طبع على نفقة مؤسسة الأزهر الإسلامية بالسنغال

# تقديم

## I - المريدّية

### 1/ الطّريقة الأهلّية

الطّريقة المريدّية في السنغال من الطّرق الأكثر حضورا في المتمع والأكثر تأثيرا في حياة الأفراد والجماعات فيه بالرّغم من كونا الطّريقة الأحدث في الظّهور زمنّيا، وبالرّغم من أنّ عدد المنخرطين فيها يقلّ عن عدد المنخرطين في طرق أخرى مثل التيجانّية. [1]

هي الطّريقة الأحدث في الظّهور والانتشار في السنغال، ولكّنها الطّريقة المحلّية، التي لم تأت من خارج الحدود ولم ينشرها دعاة، وصاحبها سنغالي المولد واللّغة والتكوين. وإن درس خارج حدود البلد الحالّية واّتصل بعلماء من غير جنسه، فقد كان ذلك لزيادة التكوين والاطّلاع على علوم لم يرضه ما حصل له منها في بلده. ولكّنه لم يتجاوز في كلّ الحالات منطقة حوض السّنغال.

---

[1] 30 في المائة من سكّان السنغال ينتسبون إلى الطّريقة المريدّية في مقابـل 51 في المائـة إلى الطريقة التيجانّية والبقّية إلى طرق أخرى حسب ما أورده خديم امباكي Kadim Mbacké (L'Islam au Sénégal Sénégal Contact Février 1995 p. 2)

ظهرت هذه الطّريقة في أواخر القرن التّاسع عشر (1893) حين أعلن الشّيخ أحمد بمبَ (1853- 1927) وهو في سنّ الأربعين أنّه تخلّى عن الطّرق الصّوفية التي كان يتّبعها، ولم يعد بحاجة إلى واسطة، وأنّه تعلّق مباشرة بالرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، واتّخذ لنفسه لقب "خادم الرّسول"، وفي ذلك تصريح باستقلاله بطريقة خاصّة به وإن كان قد بدأ في التفكير في ذلك قبل هذا التّاريخ. [2]

و لم يعلن عن ورد خاصّ بطريقته إلاّ سنة 1903 م بمنفاه في موريتانيا في مكان يعرف بصرصار، وكان قبل ذلك يستعمل الورد القادري ثمّ الشّاذلي ثمّ التيجاني، ويترك لطلبته الحرّيّة في استعمال أيّ الأوراد شاءوا.

---

[2] هذا هو التّاريخ الذي ذكره عامر صمب معتمدا ما جاء في كتاب "منن الباقي القديم " للشيخ محمد البشير امباكي ابن المترجم له وقد أورد قصيدة لوالده تبرز التحوّل في مسيرته الصوفية غير أنّ بعض المريدين يرون غير ذلك ويجعلون سنة 1884 سنة ظهور الطّريقة معتمدين ما جاء في كتاب " إرواء النّديم " من إعلان الشيخ أمام طلبته أنّه قرّر تربيتهم لا تعليمهم وقد خيّرهم بين البقاء معه والرحيل ( إرواء النديم ص 15 ) و انظر عامر صمب الأدب السنغالي العربي II / 246 والبشير امباكي منن الباقي القديم صص 161-165

و قد لاقى إعلانه إقبالا من الطّلبة الذين تجمّعوا حوله قبل ذلك التّاريخ، وزاد الإقبال وكثر الأتباع حين أقدمت السلطة الفرنسّية على نفيه إلى الغابون (1895–1902) ثمّ إلى موريتانيا (1903–1907)؛ كما وضعته تحت الإقامة الجبريّة بعد عودته من موريتانيا وحتّى وفاته سنة 1927.

وهي طريقة صوفّية مثل بقّية الطّرق تدعو إلى العبادة والابتعاد عن ملاذّ الحياة الدنيا والعمل للآخرة. ولكنّ ما يلاحظ فيها أنّ التصوّف والعزلة لا يهمّان إلاّ العلماء الذين يصبحون بعلمهم مرشدين، مفتيين، أدلاّء على طرق النّجاة متفرّغين للتعليم والإرشاد. أمّا الأتباع أي المريدون فهم موجّهون إلى العمل أكثر منهم إلى المعرفة، إلاّ من توفّرت فيه عناصر النّبوغ والصّبر على طلب العلم، ولشيوخهم ومرشديهم نصيب من ثمار ذلك العمل وهو ما يعرف عند المريدين بالهدّية تقدّم إلى الشّيخ ينفقها فيما يراه صالحا للمجموعة.

و لعلّ هذا التّوجيه نحو العمل الذي يعتبر ركيزة من ركائز الطّريقة المريدّية وعلامة من علامات النّجابة عند أتباعها هو الذي ميزّها عن غيرها من الطّرق التي كان توجّهها نحو العبادة أكثر من العمل.

فالعمل عند المريدين جزء من العبادة، والمريد النّاجح هو الذي ينجح في زيادة الإنتاج أكثر من غيره المتواكل. وقد كان انتشار الطّريقة زمن الاستعمار الفرنسي يقاس بعدد المساحات التي وقع إحياؤها وزراعتها، وبعدد أكياس الفستق[3] التي كانت تأتي إلى أسواق المدن السنغاليّة الكبرى، وتباع إلى التجّار الأوربيين فيها.

وقد أصبح شيوخ الطّريقة المريدية اليوم"رجال أعمال" ثقافيّة غايتها نشر الدّين والأخلاق والمعرفة. وهم يديرون إلى جانب ذلك مؤسّسات فلاحيّة وصناعيّة وخدماتيّة كبرى، تساهم في تطوّر اقتصاد البلاد، وتساعد على إنجاح المشاريع الثّقافية للطّريقة، كما يساهمون في بناء المدن والقرى، ومؤسّسات التّعليم والمستشفيات، وكأنّهم مشرفون على تعاونيات ضخمة يديرونا في سبيل صالح المنخرطين فيها وفي سبيل نشر ثقافة العمل والمبادرة لمحاربة الفقر والأمّية.

ويرأس الطّريقة شيخ هو الخليفة العامّ للمريدين تختاره العائلة من بين أبناء الشّيخ الخديم مؤسّس الطّريقة، وهو المرجع الوحيد في

---

[3] Arachides

القرارات الكبرى التي تمّ حياة الطّريقة وعلاقاتا بالسلطة وإنجازاتا لفائدة المنخرطين.

و المريد هو كلّ إنسان يقبل الانضمام إلى الطّريقة، وينتسب إلى شيخ من شيوخها، يبايعه ويتعلّق به، يأتمر بأوامره ويقف عند نواهيه، إذ يعتبره المرشد الرّوحي الذي "له الحرمة المطلقة من سمع وطاعة بلا مراجعة أو تاون."[4]

ويساهم في إحياء الأعياد الدّينيّة، والاحتفالات التي تقام في ذكرى بعض الأحداث التي اعتبرت هامّة في حياة الشّيخ مؤسّس الطّريقة، مثل تاريخ نفي الشّيخ إلى الغابون الذي يعتبر مناسبة لأكبر احتفال يقوم به أنصار الطّريقة في مدينة طوبى، وأكبر تجمّع بشري يقع في السنغال،[5] وهو بمثابة الحجّ بالّنسبة إلى البعض منهم، لما يرافقه من طقوس دينّية يقوم با المريد حتّى تكون مشاركته تامّة، ويعود إلى

---

[4] حسب ما جاء في نص البيعة المريدّية المتداول.

[5] تشير بعض الرّوايات المريدّيـة إلى ثلاثـة ملايـين زائـر Wade Destinée du Madike Mouridisme p.150

بلده راضيا عن نفسه آملا في النّجاح في حياته الدّنيا وفي المغفرة له في الحياة الأخرى.

ولأهمّية هذه المناسبة في حياة المريدين، وفي حياة البلد الاقتصاديّة والسّياسّية، فإنّ وفدا رسمّيا من الحكومة يحضر ذلك الاحتفال ممثّلا لرئيس الجمهورية، ويكون عادة برئاسة وزير إذا تعذّر على رئيس الدّولة الحضور بنفسه.

و المريد على اتّصال دائم بشيخه أو بمن ينوبه إذا بعدت المسافة , واضطّرته ظروف الشّغل إلى الإقامة بعيدا عنه. وشيوخ الطّريقة حريصون على أن تكون الصّلة دائمة، فهم يتعهّدون مريديهم بالزيارة أو بإرسال من يمثّلهم في كلّ مناسبة تحدث في حياة المريد.

و لعلّ ما يبقي الصّلة قائمة والحضور متواصلا، هو الهدّية التي يقدّمها المريد لشيخه في المناسبات الدّينّية مثل الأعياد، وفي المناسبات الخاصّة بالطّريقة المريدّية.

تعتبر الطّريقة المريدّية حركة إصلاح دينيّ واجتماعي، تساهم في كلّ مجالات الحياة في البلاد، وتلعب أدوارا مهمّة في السّياسة والاقتصاد بها. وهي وإن بدأت طريقها حركة تصوّف، على غرار

الحركات الأخرى مثل القادريّة والتيجانية وأظهر مؤسّسها نفورا من الدّنيا، وبعدا عن السّياسة، فقد أدرك المنتسبون إليها والمناوئون لها طبيعتها البعيدة عن التصوّف بمعنى الانعزال في حلقات المساجد والزّوايا، واتّجاهها نحو مراكز الإنتاج الفلاحي والصّناعي والتّجاري، ومجال الخدمات في الإدارة والمواصلات ورفعها من قيمة العمل الفردي والجماعي وإلحاقه بالعبادة، وإن حافظت على الجانب الصّوفي فيها المتمثّل في الأذكار وحلقات الدّرس والتّظاهرات الجماعيّة في المواسم والأعياد والمناسبات الخاصّة بها مثل زيارات مقامات الشّيوخ وفي مقدّمتهم مقام الشّيخ أحمدُ بَمْبَ في مناسبات عدّت هامّة في مسيرته الصّوفيّة وجهاده لنشر دعوته. كلّ هذا بقطع النّظر عمّا يظهر على بعض أنصارها من مبالغة في حقّ شيخهم المؤسّس وأفراد عائلته، وفي حقّ مدينة طوبى والاحتفالات التي تقع فيها[6]، وهو أمر ليس خاصّا بالطّريقة المريدّية، وملاحظ في كلّ

[6] هناك اتّجاه واضح إلى تشبيه الشّيخ بالرّسول ، وتشبيه طوبى بالمدينة المنوّرة عند بعض الأتباع وفي بعض الكتب التي تناولت سيرة الشّـيخ أحمد بمب أو التي تحدّثت عن المريدّية. . وفي كتاب Madiké Wade حديث عن النبيّ الأسود وعن الرّسالة العالمّية ، وذكر للحجّ إلى طوبى ، ولعين الرّحمة التي نبعت مياهها من تحت قـدم الشّيخ والتي تعتبر زمزم طوبى.

الطّرق والفرق في مختلف الأديان والمعتقدات، وخاصّة عند الأتباع حين يكون مستواهم الثّقافي محدودا، والعقل النّقدي عندهم متوقّفا.

### 2 / التسمية

لم تنسب الطّريقة المريديّة إلى صاحبها مثل بقيّة الطّرق الصّوفيّة في بلاد الإسلام، واتّخذت لنفسها لقبا عامّا. فالمريد هو كلّ متعلّم منتسب إلى شيخ وإلى طريقة في التصوّف. وقد ورد اللّفظ منذ القديم في كتابات الغزالي، وذكر أنّ "المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السّبيل، إذ أنّ سبيل الدّين غامض وسبل الشّيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة."[7] وجاء في "كتاب التعريفات" للجرجاني:" المريد هو المجرّد عن الإرادة".[8]

ولعلّ في اتّخاذ هذه التّسمية تعبيرا عن اختلافها عن بقيّة الطّرق الصّوفية واستقلالها عنها، وإرادة من أصحابها لجعلها الطّريقة الجامعة

---

7 الغزالي إحياء علوم الدين III / 75

8 استعمل اللّفظ منذ القديم ومع بدايات التصوّف فقد ذكرت في أقوال للجنيد ( 297 هـ / 910 م ) ألفاظ الإرادة والمريد انظر مدارج السّالكين II / 366، 369، 453

لكلّ الطّرق والمتمّمة لها، بحثا عن استقطاب أكبر عدد ممكن من المنتسبين في مجتمع تعدّدت فيه الطّرق وكثر الدّعاة، وسعيا إلى توحيد الكلمة بتوحيد الانتماء، في زمن كثرت فيه تهديدات الاستعمار وانكشفت أساليبه في تغيير الانتماء الثّقافي والحضاري للسّنغاليين ومساعيه لفصلهم عن محيطهم الحضاري التّقليدي.

**3 / العقيدة:**

تنتسب الطّريقة المريدّية إلى أهل السّنّة والجماعة، فهم سلف الشّيخ أحمد بمب ولم يدّع غير ذلك، وإلى المدرسة المالكّية المغربّية في التصوّف بحكم تكوينه في منطقة حوض السّنغال التي لم يغادرها إلاّ عندما نفته السلطة الاستعماريّة إلى الغابون.
وهو حين دعا إلى طريقته، لم يلجأ إلى التكفير ولم يدع إلى الهجرة مثل الشّيخ عثمان بن فودي ( Usman dan Fodio) (1754 –1817)، كما لم يقد حملات لنشر الإسلام وتأسيس دولة دينّية مثل الشّيخ عمر بن سعيد (Omar Foutiyou TALL) (1797 – 1864). التزم الشّيخ أحمد بمب عقيدة

أهل السّنة والجماعة التي اعتبرها سببا للّنجاة من العذاب والنقمة وجّنة واقية له ولأتباعه منهما قال:

مُنْتَهِجًا مَذْهَبَ أَهْلِ السُنّهْ مَعَ الجَمَاعَةِ وتلكَ الجُنّهْ [9]

ودعا إليها مريديه، وحذّرهم من اّتباع من عدّهم مبتدعين واعتبرهم ضّالين" وهم قوم أضلّهم الله عن طريق الهداية إلى طريق الضّلالة كالمعتزلة والجبرّية والقدرّية " قال:

فَوَاظِبَنْ عَلَى اتبَاعِ مُتَبِعِ أَهْلِ الرشَادِ واجْتِنَابِ البِدَعِ
فالخيرُ كلّه في الاّتباع والشر كلّه في الابتداع [10]

وقال أيضا في كتابه "سفينة الأمان للخائفين لجج الّنيران" وهي في الزّهد والتصوّف مصرّحا بأخذه عن الجيلاني:

فَالاتبَاعُ مَذْهَبُ الجيلانِ والاْبِتِدَاعُ مَسْلَكُ النِيرَانِ [11]

و لم يغفل في أغلب ما كتب عن الظّهور بمظهر المّتبع لشيوخ سبقوه سواء كانوا من شيوخ الطّرق الصّوفية في المغرب العربي، أو من

---

9 الشّيخ أحمد بمب مغالق النيران ومفاتح الجنان ص 3

10 الشيخ أحمد بمب ملّين الصّدور ص 3

11 الشيخ أحمد بمب سفينة الأمان ص 4

علماء أهل السّنّة والجماعة. وقد نقل الكثير عن أولئك العلماء أو شيوخ الطّرق ومنهم الغزالي والسّنوسي والدّيماني واليدالي والكنتي وعبد القادر الجيلاني وأحمد التّيجاني.[12] وقد حرص في كلّ كتبه الموجّهة إلى مريديه على التّعريف بعقيدة أهل السّنّة والجماعة المعروفة والقائمة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، والتّصديق بعذاب القبر، وعلى موقفهم من الصّفات، ومن أعمال الصّحابة ومن قضايا اختلفوا فيها مع فرق أخرى مثل القول بخلق القرآن.[13]

ولتأكيد انتمائه هذا، كان يدعو مريديه إلى اعتماد أيّ الأوراد الصّوفّية شاءوا:

فَكُلُّ وِرْدٍ يُورِدُ المُرِيدَا ... لِحَضْرَةِ اللهِ ولَنْ يَحِيدَا
سَوَاءٌ انْتَمَى إِلَى الجِيْلَانِي ... أَوْ انْتَمِي لِأَحْمَدَ التّجانِي

[12] نذكر من النّقول كتابه "ملّين الصّدور أو مذكّر القبور" في الزّهد والتصوّف، وقد صرّح بأخذه عن الغزالي واليدالي. وممّا نظمه من كتب من سبقه " الجوهر النّفيس في عقد نثر الأخضري الرّئيس " في الفقه ، و"مسالك الجنان في جمع ما فرّقه الدّيماني" في التّصوّف أيضا و" مواهب القدّوس في نظم نثر شيخنا السنوسي " في العقيدة.

[13] انظر قصيدة تزوّد الصّغار إلى جناب الله ذي الأنار ص 3

أَوْ لِسِوَاهُمَا مِنَ الأَقْطَابِ ... إِذْ كُلُهُمْ قَطْعًا عَلَى الصّوَابِ[14]

و إذا كان ما جاء به الشّيخ أحمد بمب في جانبي العقيدة والتصوّف على هذه الدّرجة من الاّتباع للسّلف من أهل السّنة ومتصوّفيهم، فهو لا يفسّر النّجاح الذي لقيته طريقته في السّنغال خاصّة، لأنّ المنطقة كانت تعجّ بممثّلي الطّريقتين القادرية والتّيجانّية ومريديهما، وعقيدة أهل السّنة كانت سائدة بين علمائها الذين درس عليهم الشّيخ.

لعلّ النّجاح يعود إذن إلى أسباب أخرى غير العقيدة والتصوّف بمفهومه في التفرّغ عن الدّنيا وتزكيه النّفس، أي لعلّ تفسير هذا النّجاح يكمن في الاهتمامات الدّنيويّة للشّيخ أو لدعاته، كما يكمن في الظّرفين المكاني والزّماني اللذين ظهرت فيهما الطّريقة.

## 4 / خصائص الطّريقة المريدّية:

### أ - التعلق بالعمل:

[14] الشّيخ أحمد بمب مسالك الجنان ص 19

إنّ أبرز ما يمّيز الطّريقة المريدّية عن مثيلاتنا في السّنغال وفي المنطقة هو دعوتنا مريديها إلى العمل. وإذا كان الشّيخ لم يذكر ذلك صراحة في كتبه إذ هو قد ذكر العمل مقرونا بالعلم وقدّم العلم عليه، فإنّ في دعوته إلى طاعة شيوخ الطريقة تسويغا لاستغلال طاقات المريدين في العمل حتّى يتفرّغ الشّيوخ للعلم من ناحية، ثمّ لتدريب المريدين على الطّاعة وعلى ترويض أجسامهم وعقولهم للابتعاد عن الدّنيا وملذّاتنا من ناحية أخرى. وقد ألحّ الشّيخ على مفهوم التعلّق المتمثّل في طاعة الشّيخ، وربط النّجاة به:

فَمَنْ تَعَلّقَ بِوَاصِلٍ وَصَلْ — وَمَنْ تَعَلّقَ بِعَكسِهِ انْفَصَلْ
وكُل مَنْ لَمْ يَتَأَدَبْ زَمَنَا — عَلَى يَدِ شَيخ فَيلْقَى المِحَنَا
لِأَنّ مَنْ عَدِمَ شَيْخًا مُرْشِدَا — فَشَيْخُهُ الشيْطَانُ حَيْثُ قَصَدَا
فَحَيْثُمَا أَمَرَكَ المُرّبي — فَامْتَثِلِ الأَمْرَ تَصِلْ لِلرَبِّ [15]

وكتب في بعض وصاياه: " أمّا بعد فإنّ المريد الصّادق إذا أراد الانتفاع يعتقد في شيخه أنّه واسطة بينه وبين ربّه، ويمتثل أمره ويجتنب نيه، ويوقن بأنّ شيخه لا يأمره بشيء إلاّ بإذن الله تبارك

[15] محمد الأمين جوب إرواء النّديم ص12 .

وتعالى، وأنّه لا ينهاه عن شيء إلاّ بإذن الله تبارك وتعالى. ومن كانت عقيدته هكذا فإنّه يحتوي الفوائد في الدّنيا والآخرة." [16]

يقول كاتب سيرته محّمد الأمين جوب:" ثمّ لمّا أُمِر بتربيتهم بالهمّة ووافقوه سار بهم على منهاج الرّياضة بالتّجويع والاستخدام الكثير والحمل على الذّكر الكثير بالهيللة والقصائد ودوام الطّهارة، والاعتزال عن النّاس وخصوصا النّساء، ففاقوا غيرهم بهذا إذ جادوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل مرضاة اللّه (إِن اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَن لَهُمْ الْجَنةَ)" (التوبة 115) [17]

لقد اعتبرت المريدّية العمل رياضة صوفّية، وهذا ما لا نجده عند المتصوّفة من قبل؛ كما لا نجده عند الشّيوخ الذين أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام في السنغال. لقد وصف أحد رجال الكنيسة في السنغال المتصوّف (Marabout) في السّنة التي ولد فيها الشيخ أحمد بمب (1853) بهذه العبارات: "يرى السنغاليون في رجل الدّين ذلك الشّخص الذي وهب نفسه للّه وتفرّغ للصّلاة والدّعوة وتعليم

---

[16] مجموع يشتمل على بعض أجوبة الشّيخ الخديم. مخطوط بمكتبة الشّيخ الخديم بطوبى ص 2

[17] محمد الأمين جوب إرواء النّديم ص 14

الصّغار وقراءة الورد مستعملا المسبحة التي لا تفارق ذراعه أو راحته. هو الرّجل الذي اختار الحرمان والرّياضة الصوفيّة، بعيدا عن كلّ متعة، يحرص على صوم رمضان ويحرّم على نفسه شرب كأس من الماء رغم شدّة الحرارة، ويأخذ من وقت نومه ليقوم اللّيل. وهو لا يتاجر، ولا يدّخر مالا لأيام شيخوخته وعجزه، يعيش وتلاميذه على الصّدقات، لباسه متواضع جدّا، عاري السّاقين، يلبس حذاء من جلد أو من خشب تشدّه إلى رجله حبال".[18]

وقد أرجع بعض الدّارسين جمع المريديّة العمل إلى العلم، إلى تأثير عقائد سابقة للإسلام في المنطقة وعند الولفيين خاصّة، دون أن يعتبر ذلك خروجا عن الدّين أو بدعة فيه، بل ميزة من ميزات ذلك الدّين الذي تمكّن من احتواء العقائد والعادات السّابقة عليه وإدخالها في منظومته الفكريّة مع إعادة تفسيرها، كما رأى فيه خاصّية من خصائص المريدّية. فللعمل قيمة في حياة سكّان المنطقة، والقيام به وإتقانه هو أوّل امتحان يتعرّض له الصّبيّ في بدايات حياته

[18] 16) l’abbé BOILAT Esquisses Sénégalaises Paris 1883 p.480 in Cheikh Tidiane SY La confrérie ...p. 41

الاجتماعيّة. وقد استغلّ الشّيخ تلك القيمة وأدخلها في باب الرّياضة الصّوفيّة، فيسّر بذلك على الولفيين اتّباع الطّريقة حين لم يشعروا بغرابتها، وحين وجدوا فيها ملجأ يقيهم الوقوع في التّبعيّة الاقتصاديّة للمستعمر الفرنسي، ويحفظ تقاليدهم الإفريقيّة من التّراجع أمام زحف القيم الغربيّة القادمة مع الاستعمار وقوّته الاقتصاديّة.[19]

ولعلّ تلك التربية على العمل وما أدّت إليه من نتائج كانت إيجابيّة على المستوى الاقتصادي للبلد، ووافقت السّياسة الفرنسيّة في استغلال الأرض ورفع الإنتاج الفلاحي وخاصّة الموادّ المعدّة للتّصدير التي تسمح بتشغيل المصانع الفرنسيّة مثل الفستق، لعلّها كانت وراء تغيير الموقف من الطّريقة والسّماح بانتشارها. هذا إضافة إلى نقطة هامّة بالنّسبة إلى السلطة الاستعماريّة آنذاك وهي غياب السّياسة وشؤون الحكم في فكر المريدين وفي عملهم.

### ب: الحياد السّياسي الإيجابي:

[19] م.ن. ص 42

من المعروف أنّ الفكر الصّوفي متفرّغ عن الدّنيا أي بعيد عن السّياسة وتدبيرها، لا يعارض السلطة كما لا يتودّد إليها في الغالب، لكن عندما تكون السلطة غير مسلمة وتكون البلاد تحت الاستعمار فإنّ الأمر قد يتغيّر ويخرج الصّوفيّ عن عزلته ويخوض غمار السّياسة مخاصما ومعارضا ومقاوما، أو مادحا ومؤيّدا ومسالما[20]. وفي هذا لم يخرج الشّيخ أحمد بمب عن التقليد الصّوفي، فخاض في السّياسة وقاوم الاستعمار لكن بطريقة سلميّة وفعّالة من نواحي عدّة، و إن اضطرّ في بعض الأحيان إلى مداراة السلطة لدفع أذاها، كما تحمّل في ذلك الأذى في بعض الأحيان وصبر على النّفي ومفارقة الأهل والإخوان.

كانت علاقة الشيخ بالسلطة الاستعماريّة غير واضحة لمعاصريه من المريدين وغيرهم ثمّ لدارسيه من داخل البلاد وخارجها. بل لعلّها كانت غير واضحة لممثّلي السلطة الاستعماريّة نفسها التي تضاربت تقارير موظّفيها حول طبيعة حركة الشّيخ ونواياه، و تنوّعت طرق تعاملها معه.

[20] انظر دراسة التليلي العجيلي عن الطّرق الصّوفيّة والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية. تونس 1995

لقد صرّح عديد المرّات بأنّه غير مشغول بأمور الدّنيا، وليست له رغبة في مصاحبة الملوك وخدمتهم. واتّخذ لنفسه لقب " خديم الرّسول " وأظهر نفورا من كلّ مكسب دنيويّ عدا التعلّم والتّعليم، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين إلى المنطقة وتواصل بعده. قال:

قَالُوا لِي ارْكُنْ لِأَبْوَابِ السَلَاطِين تَحُزْ جَوَائِزَ تُغْنِي كُلَّمَا حِين
فَقُلْتُ حَسْبِيَ رَبِي واكْتَفَيْتُ بِهِ ولَسْتُ رَاضِيًا غَيْرَ الِعلْمِ والدِين
ولَسْتُ أَرْجُو ولَاأَخْشَى سِوَى مَلِكي لِأَنَّهُ جَلَّ يُغْنِيني وُيْنجِيني[21]

ورفض العديد من المرّات الاستجابة لاستدعاء السلطة الفرنسّية له متعلّلا بتفرّغه عن الدّنيا وأنّه يعتبر نفسه في عداد الخارجين منها، ممّا أظهره في عيون بعض مريديه بمظهر المعارض للحضور الفرنسي في السنغال، كما دفع بالسلطة الفرنسّية إلى اعتبار موقفه موقف رفض لها ومناوأة، وإلى النّظر إلى دعوته على أنّها دعوة سياسّية لا تختلف عن مثيلاتها التي ظهرت في المنطقة معلنة الجهاد وساعية إلى تأسيس دولة.

---

21 محمد الأمين جوب م.ن ص 9

و لكنّ رفضه لم يكن قاطعا، ولم يصل إلى درجة العصيان المدني أو المسلّح، فقد كان يتراجع عنه كلّما أنذر الوضع بالانفجار والـا بة، فإذا هو يسلّم نفسه للسّلطة ويبقى في سان لوي (Saint-Louis) تحت مراقبتها(أوت 1895)، ثمّ يخرج منها منفيّا إلى الغابون ليبقى هناك سبع سنوات (1895-1902) يعود بعدها إلى بلده ليغادره في رحلة نفي ثانية إلى موريتانيا (1903-1907) يعود في إثرها إلى بلده ويبقى تحت نظام الإقامة الجبرّية في قرية ـِتَيانْ (Thyiéène) ثمّ في جُرْبِلْ (Djourbel) إلى وفاته سنة 1927م.

و لعلّ ما أقدمت عليه فرنسا من إبعاد للشّيخ خارج البلد قد ساعد على ذيوع صيته، وعمل الأتباع على استغلال ذلك الإبعاد لإظهار الشّيخ بمظهر المناوئ للحضور الفرنسي في المنطقة. ولكنّ ذلك لم يكن الشّعور السّائد عند كلّ مريديه ومعاصريه، كما أنّ موقف السلطة الاستعماريّة منه لم يكن قارّا.

فقد استعملت فرنسا معه سياسة " العصا والجزرة " وحاولت تقريبه وإرضاءه، فعيّنته سنة 1916 عضوا في " الـلس الاستشاري للشّؤون الإسلاميّة في السنغال " ومنحته سنة 1921 بعد انتهاء

الحرب العالمّية الأولى صليب وسام الشّرف ( Croix de la 'Légion d Honneur) لمساهمته في تجنيد السنغاليين للمشاركة في الحرب إلى جانب فرنسا. ولكّنه رفض كلّ ذلك واختار سبيلا آخر.

لقد كان يّتبع معها سياسة ما يمكن أن نسمّيه " الحياد الإيجابي " فهو لم يعارض وجودها ما دام ذلك الوجود يخدم مصالحه، ومنها استتباب الأمن وما يوفّره من فرص العمل والإنتاج وإمكانّية نشر الدّعوة، ولكّنه كان يصرّ إلى عدم الّتعامل معها. لقد كان حريصا على مهادنتها، والابتعاد عن مواجهتها ولم يكن يتردّد في مكاتبتها حين يقوى ضغطها ويخشى منها الضّرر على مريديه مبّينا لها عدم رغبته في نفوذ سياسّي.

فقد كان يحدّث المقرّبين منه بسوء تقدير الفرنسيين لموقفه، و جهلهم بنواياه، وعدم فهمهم لدعوته. وقد عّبر عن ذلك تلميذه وابن خاله امبكي بوصّو في رسالة بعث با على لسان جميع المريدين إلى " حاكم الحكماء ورئيس الرؤساء وحكيم العلماء المسيو بروفيه"[22] قال: "و تذكروا(المريدون) به ما كانوا يسمعونه من شيخهم

[22] مدير الشّؤون السياسّية بالمستعمرة في ذلك الوقت.

المذكور حين يخلون به ويتحدّثون عنده، ويتعجّبون ممّا وقع له من الدّولة ممّا ينافي ما علموه فيه من فرحه بنا واعترافه بالفوائد العديدة التي لم ينلها إلاّ بنا، و كذا وكذا."[23]

ولعلّ السلطة قد اقتنعت أخيرا بطبيعة الطريقة المريدّية واختلافها عن الطّرق الأخرى جنوب الصّحراء الكبرى، وعن الحركات الدّينيّة في المنطقة العربيّة، فغيّرت من سياستها تجاه الشّيخ ومريديه إذ رأت فيهم مساعدا على تكثيف النّشاط الاقتصادي في المنطقة ييسّر استقرار الأوضاع بازدياد الثّروة، ويدفع على الاستهلاك، ويوفّر المواد الأوّليّة للمصانع الفرنسّية.

التقت مصالح الطّريقة المريدّية بمصالح السلطة الاستعماريّة في السنغال فتعايشا، بعد سوء تفاهم وحصلت فرنسا على الاعتراف بها ولم تضطرّ إلى خوض حرب ضدّ مقاومة، مسلّحة كما حصل المريديون على الاعتراف بهم ولم يلجؤوا إلى الجهاد. وقد تواصل ذلك التّعايش مع السلطة الوطنّية بعد الاستقلال وبقي المريديون قوّة اقتصاديّة تؤثّر في السّياسة من دون العمل فيها.

23 من رسائل الشّيخ محمد البوصوبي جمعه د. خديم محّمد سعيد امباكي ص175

و لعلّ التوجّه الاقتصادي في فكر الشّيخ أحمد بمب كان اختيارا عن وعي بنجاعته في مقاومة الحضور الأجنبي لعدم تكافئ القوى، وقد وعى الدّرس من فشل الحركات الإسلاميّة التي سبقته، فسعى إلى الحفاظ على الهويّة الإسلاميّة والإفريقيّة بدفع مريديه إلى العمل.

و قد بقي هذا التوجّه قائما عند أتباع الطّريقة المريديّة بعد استقلال البلاد فإذا هم يسيطرون على النّشاط الاقتصادي فيها، في الفلاحة بالدّرجة الأولى حيث يساهمون في إحياء الأراضي وبعث المشاريع الكبرى والصّغرى، وفي قطاعات أخرى مثل التّجارة والنّقل فيساهمون في خلق مواطن شغل في ظرف تراجعت فيه قدرة الدّولة الحديثة على خلقها، ويشاركون في تربّية النّشء على قيم إنسانيّة مثل قيم التّضامن وحبّ العمل، لم تعد المدارس الحكوميّة قادرة على زرعها فيهم وقد طغى على برامجها الجانب التّعليمي على الجانب التّربوي.

تعتبر الطّريقة المريديّة حالة خاصّة في تاريخ الفكر الإسلامي مقارنة ببقية الطّرق الصّوفيّة جنوب الصّحراء الكبرى وفي المنطقة العربيّة من العالم الإسلامي، بتوجّهها الاقتصادي وابتعادها عن السّياسة التي كانت الهمّ الأوّل في الفكر الإسلامي وفي حركات

الإصلاح المنتمية إليه في القرن التّاسع عشر حين تعرّضت المنطقة الإسلاميّة للغزو الأوربّي. لقد غابت السّياسة في فكر الشّيخ أحمد بمب، كما غاب الإصلاح بجوانبه المتعدّدة التي شغلت الفكر العربي، فاتّجه نحو المحافظة على الموروث، حفاظا على الهويّة ووقوفا في وجه التّغريب. وقد غلب على فكره التوجّه الصّوفي وأسّس طريقة وليس حزبا أو حركة، ولكنّها طريقة لها صفات الحزب والحركة من حيث جمعها للمريدين وتوجيه قواهم للعمل وتحريكهم لمعارضة الحضور الأجنبي، وهي معارضة وإن كانت سلميّة فقد كانت ناجعة وضمنت للطريقة البقاء والقوة بعد رحيل الاستعمار.



الشّيخ   الخديم أحمد بمبَ (1270 –1346 ه / 1853 –  1927 م)

## II – الشيخ أحمد بَمْبَ (1270 –1346 ه / 1853 – 1927 م).

نشأ الشيخ في بيت علم ونفوذ، فأبوه عمل مستشارا لأمير كجُور لْتجُورْ، وكان خاله محمد بُص الذي تكفّل بتربيته من علماء المنطقة التي كانت تشهد حركة علمّية نشطة وقد عاش الشّيخ في فترة غلب عليها عدم الاستقرار السّياسي في المنطقة ونشطت فيها الحركة العلمّية، و كثرت فيها الحركات الدّينّية المناهضة للتدخّل الفرنسي في المنطقة، والعاملة على نشر الإسلام بين السكّان، باعتباره يمثّل هويّة قادرة على الصّمود في وجه الغزو الخارجي.

كان السنغال عموما، ومنطقة فُوتا تُورُو على وجه الخصوص مركزا للّتدخّل الفرنسي في إفريقيا الغربّية. وكانت مقاومة السكّان لذلك التدخّل عنيفة في بعض الأحيان وسلمّية في أحيان أخرى. فقد عرفت المنطقة حركات جهاد قادها زعماء دينيون من أمثال عمر بن سعيد طال (1794 –1864 م) ومَبَهْ (ت 1867 م)، والشّريف حَمَاهُ الله (1882 – 1943 م). كما عرفت حركات مقاومة سلمّية تدعو إلى التمسّك بالدّين وبالثّقافة العربّية الإسلامية،

قادها العلماء من شيوخ الزّوايا والمحاضر أي الجامعات البدوّية على ضفّتي نهر السنغال.

وقد تعلّم الشّيخ بالإضافة إلى أبيه مُمَارْ أنتَ سَلِي وخاله محّمد بن محّمد بُص وخال أمّه تَفْسِيرُ امْبَكِ أنْدُمْبَ الذين أخذ عنهم القرآن، وعلى الشّيخ صمْبَ تُوكُلُورْ كا وهو ابن خالة أبيه الذي " سبقت له رحلة في طلب العلم إلى أن حصل على حظّ وافر منه. .. وكان صمْب تُكُلُور هذا رجلا صالحا وعالما بارعا."[24] وكان قادرّيا وهو أوّل من أطلعه على الورد القادري.

و من معلّميه أيضا قاضي الأمير لْتجُور مَجَخَتِ كلَ الذي علّمه العربّية والنّحو والعروض، والشّيخ الحاج كَمَرَا الذي علّمه أصول الطّريقة القادرّية.

و"كان يحفظ النّصوص الكثيرة في مختلف الفنون،من توحيد وتصوّف وأدعية وفقه، كحكم ابن عطاء الله ودلائل الخيرات ونفح الطّيب والرّسالة، وكتواليف السّنوسي، وكذلك نصّ المختصر"[25]*.

---

[24] الشّيخ البشير امبك منن الباقي القديم I / 157

[25] الشيخ البشير امبك منن ... I / 12-13

كما أخذ عن شيوخ من البيضان الموريتانيين المتواجدين في السّنغال، و على الضفة الموريتانية من النّهر؛ أخذ عنهم العلوم المتوفّرة في ذلك الوقت، من فقه وتفسير وحديث ولغة ومنطق إلى جانب علم التصوّف.

و ذكرت المصادر من شيوخه البيضان محمّد بن محمّد الكريم الفاضلي الدّيماني الشاعر، وعبد الله التامكلاوي، والحاج إبراهيم البغدادي، وكلّهم"من أهل الصّلاح والعلم".[26] كما أخذ عن الشّيخ سِيدِيَا بَابَا رئيس الطّريقة القادرية في موريتانيا الذي كان له دور هامّ في حياة الشّيخ الصّوفيّة والعلميّة، والذي احتضنه حين ساءت العلاقة بينه وبين السلطة الفرنسّية، وقرّرت إبعاده عن السّنغال ثانية، وكان

---

* ابن عطاء الله أحمد بن محمّد الشادلي الاسكندراني المتوفّى سنة 709 هـ / 1309 م مـن كبار التمتصوّفة الشادليّة من مؤلّفاته : لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبّـاس وشـيخه أبي الحسن ،و المرقى إلى القدس الأرقى ، ومفتـ ـ ـاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتّاح.

* دلائل الخيرات للجزولي المتوفى سنة 854 هـ .

* نفح الطّيب من أسئلة الخطيب للسّيوطي المتوفّى سنة 911 هـ

* الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني المتوفّى سنة 386 هـ ـ

* المختصر : مختصر خليل بن إسحاق المصري ( ت 769 أو 776 هـ ) في الفقه المالكي

* تواليف السّنوسي : عقيدة أهل التوحيد أو العقيدة الكبرى وأمّ البراهين أو العقيدة الصّغرى.

[26] الشيخ البشير امبك م.ن II / 85

مثّل الشّعبة البكّائيّة من الطّريقة القادريّة التي انتشرت في موريتانيا على يدي الشّيخ المختار الكُنتي (ت 1226 ه / 1821 م).

و تقول بعض المصادر إنّ الشّيخ أحمد بمبَ بدأ نشاطه في السنغال خليفة للشّيخ سيديا بابا وداعية للطّريقة القادريّة قبل أن يعلن استقلاله ويؤسّس الطّريقة المريدّية. [27]

بدأ الشّيخ حياته الصّوفيّة بالانتساب إلى الطّريقة القادريّة التي كانت منتشرة في المنطقة بفضل جهود العلماء الموريتانيين، وقد ذكرنا أنّ من شيوخه الأوائل محّمد بن محّمد الكريم الفاضلي الديماني، والفاضلّية شعبة من القادريّة تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ محّمد فاضل بن مامين القلقمي (ت 1281ه / 1879).

توفّرت الظّروف للشّيخ للدّراسة وللمساهمة في حركات الجهاد والمقاومة السّلميّة، واختار الثّانية. لم يعلن الشيخ أحمد بمبَ الجهاد ولم يحارب الكفّار ولا المسلمين، فلم يؤسّس دولة ولا اهتمّ بالسّياسة مثل سابقيه من الىاهدين من أمثال عمر بن سعيد طال

---

27 Cheikh Tidiane SY La confrérie sénégalaise des Mourides p. 108

(1797 – 1864) أو مالك ـبَهْ( ت 1867)، أو عثمان بن فودي (1754 – 1817)، و لكّنه أعلن جهادا من صنف آخر هو جهاد علمي واقتصادي، إذا صحّ لنا نعت جهاد سابقيه بالجهاد السّياسي، فأسّس طريقة في التصوّف لها حضورها في التمع السنغالي، ودورها في نشر الثّقافة العربّية الإسلامّية في المنطقة، وامبراطورّية اقتصادية فاعلة في السّياسة، حافظت على هويتها الإسلامّية في زمن الاستعمار، ونافست الشّركات الأورّبية في إحياء الأراضي واستثمار الثروات، و أصبحت شريكا هاّما للدّولة الوطنّية بعد الاستقلال.

ولعلّ اّتجاهه نحو التصّوف لم يكن هروبا من المواجهة، ولا تخلّيا عن مشاغل الدّنيا وإن بدا من خلال تعامله مع السلطة الأهلية في إمارة كَجُور، أو مع السلطة الفرنسّية حين غلبت على المنطقة، غير راغب فيها، وغير ساع للقيام بمهمّة دنيوّية لعلّ ذلك كان تخطيطا محكما منه لإتمام مهمّته بعيدا عن كلّ عرقلة قد تحدث بسبب المواجهة المعلنة.

لم يكن التصوّف عنده "التفرّغ عن الدّنيا " كما جاء في كتاب " التعريفات" للجرجاني [28] بل إنّ فيه من العمل لها الشيء الكثير، وليس في ذلك من الغرابة وما يدعو إلى التساؤل عن طبيعة هذا التصوّف إذ ليس في الإسلام دعوة إلى ترك الدّنيا بل دعوة إلى العمل لها باعتبارها طريقا إلى الآخرة، وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. [29]

لقد كان واعيا بأنّه صاحب رسالة، يقوم بعمليّة تربية، و يدعو إلى إنشاء مجتمع تسوده أخلاق الإسلام ويقوم على العمل والتّكافل. كانت التربية عنده في اتّجاهين: اتّجاه يقوم على تلقين المريدين مبادئ أخلاقية ودينيّة إسلاميّة تحصّنهم من الانزلاق في الوثنّية أو المسيحّية، أو في الإيمان بمقولات الحضارة الغربّية الزّاحفة على البلاد. واتّجاه يحبّب إليهم العمل، بل يجعل منه واجبا دينّيا، العمل الذي

[28] الجرجاني كتاب التّعريفات / 83 - 84
[29] قرآن التوبة آية 105

هو الوسيلة الوحيدة لضمان العيش الكريم والاستقلال عن كلّ تبعيّة قد ينجرّ عنها تخلّ عن بعض المبادئ والقيم.

يعتبر الشّيخ أحمد بمبَ عند مريديه شيخ طريقة لا يقلّ شأنا عن شيوخ الطّرق الصوفية الكبرى المعروفة في إفريقيا جنوب الصّحراء، بل لعلّه أعظمهم شأنا والمرشّح لأن يكون أكثرهم أتباعا باعتباره آخرهم زمن ظهور، والجامع لما أتوا به، والمكمّل لما سبقوا إليه.

وقد ترك الشّيخ جملة من الآثار أغلبها في الفقه والتصوّف، وهي في معظمها أراجيز إذ كانت الغاية منها تعليميّة تربويّة ولم يكن أفضل من الشعر طريقة للتّعليم، وتلك كانت الطّريقة المتّبعة في عصره وقبل عصره.

و من مؤلّفاته، وهي كثيرة، "الجوهر النّفيس" و" مواهب القدّوس " في التّوحيد، و"مسالك الجنان " في التصوّف.



الشيخ محمد الأمين جوب (1883 -1967)

## III –المؤلف محمّد الأمين جوب(1883 / 1967)

### 1 / مولده ونشأته:

هو محمد الأمين جُوب بن تفسيرُ أحمدُ جوب بن بابكر جوب بن مالك جوب، من مريدي الشّيخ أحمد بمبَ ومقرّبيه.
ولد سنة 1883 بدَغَنَ (Dagana) لأب من العلماء والمتصوّفة المنتسبين إلى الطّريقة القادريّة التي كانت منتشرة على ضفتي نهر السنغال ,في أسرة عرفت عنها عنايتها بالعلم والتّعليم الذي كان يقتصر في الغالب على القرآن الكريم تحفيظا وتفسيرا، وعلى العبادات وما يحتاجه المسلم العادي من معرفة دينه.
و نظرا لموقع المدينة قرب النّهر فقد كانت محطّة على طريق القوافل التّجارية المتنقّلة بين الشمال والجنوب، بين موريتانيا والمغرب العربي والمناطق الإفريقيّة جنوب الصّحراء الكبرى. وكان أبو المترجم له على علاقة جيّدة بالشّيخ الخديم الذي زار المدينة في طريقه إلى موريتانيا سنة 1903. وقد أوصى أبناءه بسلوك طريقة الشّيخ

ومرافقته. ولّبى الشّيخ محمّد الأمين دعوة أبيه الذي لم يلبث أن توفّي، والتحق بالشّيخ أحمد َبمب في موريتانيا ولازمه.

## 2 / تعلّمه:

بدأ حفظ القرآن على يدي والده تفسير أحمد، وخاله محمّد دِيَنْ (Diène)، ثمّ انتقل إلى قرية أنْدِيَنْدَانْ (Ndiandane) حيث مدرسة الشيخ مُورْ كِبِ (Mor Kébé) فأتمّ حفظ القرآن على يديه، وكتب القرآن كاملا من حفظه مرّتين، وكان ذلك هو الاختبار لعمليّة الحفظ ولم يزد عن حفظ القرآن حتّى اتّصل بالشّيخ الخديم في موريتانيا، وبدأ في تعلّم العربيّة وبعض العلوم الدينّية على المحيطين بالشّيخ في موريتانيا، ثمّ في مقرّه في تِيَنْ جُلُوفْ (Thiéyène diolof) بعد رجوع الشّيخ إلى السنغال سنة 1907.

ومن معلّميه في هذه المرحلة الأخيرة َبارَ خَرِ فَالْ (Bara Khari Fall) ومحمّد الأمين غَيْ (Mouhamadou Lamine Guèye) ومحمّد فَاتِ (Mouhamadou

(Faty) وغيرهم من العلماء الذين توافدوا على الشّيخ في مقرّ إقامته. لقد كان حديد الذّهن كثير السّؤال ممّا سمح له باكتساب ثقافة واسعة في العلوم الإسلاميّة نلمس آثارها في كتاباته.

## 3 / خدمته:

لقد أدّى طول ملازمته للشّيخ إلى قربه منه، فعيّنه أمينا لشؤونه الخاصّة ومؤذّنا له، ومشرفا على استقبال الضّيوف القادمين عليه من داخل السنغال وخارجها. كما كلّفه بجمع كتبه وإعادة تحريرها. وظلّ على تلك الحال، إلى حين انتقال الشّيخ إلى جوار ربّه سنة 1927 فكلّفه الخليفة الأوّل محمّد المصطفى بالإشراف على معهد إسلامي أسّسه في قرية امْبُولْ ( Mboul)حيث قضّى ما يناهز العشر سنوات في الإدارة والتّدريس، عاد على إثرها للاستقرار بمدينة جُرَبَل (Diourbel) وتولّى إمامة مسجدها الذي بناه الشّيخ، وتفرّغ للتعليم والكتابة إلى أن وافاه الأجل المحتوم وانتقل إلى جوار ربّه سنة 1967.

## 4 / مؤلّفاته:

لقد صرف الشّيخ محمد الأمين جوب عنايته للّتأليف عن الطّريقة المريدّية ومؤسّسها الشيخ أحمد بمب، فكان بحقّ مترجما له، إلى جانب الشيخ محمّد البشير امبك ابن الشّيخ أحمد بمب. وقد ترك لنا:

- " إرواء النّديم من عذب حبّ الخديم ": وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

- " إغناء العديم في خبايا أوراد الخديم": اهتمّ فيه ببيان أصول الورد في القرآن والسّنّة وفي آثار السّلف. كما تحدّث عن أهمّية الورد في تطهير النّفس وترقيتها. وخصّص قسما من الكتاب للورد المريدي وفوائده بتحليل الفقرات الواردة فيه والتّعليق عليها.

- " المنح المسكّية في الخوارق البكّية " [30] وذكر فيه الخوارق والكرامات التي جرت على يدي الشّيخ. قال في مقدّمته:" جمعت

---

[30] ذكر A.SAMB نفس العنوان لكتاب آخر من تأليف محمّد عبد الله بن عبيد الرّحمان الكمليلـي العلـوي مـن علمـاء موريتانيـا. انظـر كتابـه expression arabe

فيه ما صحّحت من خوارق شيخنا الخديم رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وكشوفاته وكراماته، ما بدا لي أنا بنفسي وما بلغني عن ثقة، تاركا ما لم أصحّح وإن اشتهر وأمكن. "

- " حكمة البكّية " [31]

- خطبة ومسش: جمع فيه خطب السّنوات الأخيرة للشيخ أحمد بمب وقام بشرحها والّتعليق عليها.

- مرثّية طويلة في الشّيخ أحمد بمب نقل منها بعض الأبيات في كتابه "إرواء النديم" مطلعها: [طويل]

مَضَى الشيْخُ ِللمَولى الذي كان يعبد وقد كان يدري أّنه ليس يأبد[32]

---

Contribution du Sénégal à la littérature d'p.422 معتمدا كتاب " إرواء الّنديم" ويبدو أّنه لم يتبّين ما ورد في نصّ الكتاب وجمع بين شخصين ذكرا في نفس الـسّطر وهما المستعين الكمليلي وابن عبيد الرّحمان العلوي.

[31] ذكرها A.SAMB نفس المرجع ص 421

[32] نحن مدينون في كتابة هذه الّترجمة إلى الطّالب عبد القادر امبكي أحد أحفاد الـشّيخ أحمـد بمب وإلى السّيد مختار تفسير جوب ابن الشّيخ المترجم له الذي لم يبخل علينا بما لديه من وثـائق ومعلومات ،و إلى صديقنا موسى دمب جوب من مدينة سان لوي، جزاهم اللّه عّنا كلّ خير .

## IV – الكتاب:

### أ - النّسخ المعتمدة :

يعتبر كتاب " إرواء النّديم " إلى جانب كتاب "منن الباقي القديم " للشيخ البشير امباكي بن الشيخ الخديم، المصدر الأهمّ في سيرة الشّيخ وفي تاريخ الطّريقة المريدّية في السنغال. فعنه أخذ الذين اهتمّوا بدراسة الحركة المريدّية وكتبوا عن مؤسّسها. ومع ذلك فالكتابان لا يزالان مخطوطين، [33]و لم ينشرا مثلما نشرت أغلب أعمال الشّيخ الخديم وإن كان النشر تصويرا لمخطوطات تلك الأعمال دون تحقيق علمي لها. والنّسخة التي بين أيدينا محفوظة بمكتبة الشّيخ الخديم بمدينة طوبى عاصمة المريدّية وهي مكتوبة بخطّ مغربي صحراوي واضح في مجمله، لم يذكر النّاسخ اسمه ولا نسبه كما لم يذكر سنة النسخ، وغاية ما ذكر مكان النّسخ وهو مدينة جربل لورود اسم " المباركة " فيه وهو مكان إقامة الشّيخ بها. وقد اعتمدتا أصلا في التحقيق إذ بدت لي أقدم من بقيّة النّسخ،

---

[33] اطّلعنا على نشرة لكتاب " منن الباقي القديم " بالطبعة الملكّية بالدّار البيضاء بدون تـاريخ ، وهي صورة للمخطوط دون أيّ تحقيق.

و لظّني أنّ المؤلّف قد اطّلع عليها وهو الذي قضّى السنين الأخيرة من حياته في مدينة جُربَل إماما لمسجد الشيخ فيها، وقد تكون كتبت عن نسخته الأصلّية، ورمزت إليها في الهوامش بحرف " الجيم"، وتوجد نسخة أخرى في مكتبة مركز IFAN في دكّار، وهي في مائتين وعشرين صفحة، و كتبت في 9 صفر1382 (2 /7 / 1963) أي في حياة المؤلّف قد رمزت إليها بحرف " الدّال ". كما توجد نسخة ثالثة كتبت في طوبى في تاريخ غير مذكور وكتبها محمود امبكي بإذن من شيخه صالح امبكي الخليفة الحالي للمريدين. وقد جاءت في سبعين وأربعمائة صفحة من الحجم الصّغير وكتبت بخطّ غليظ في كلّ صفحة عشرة أسطر وفي كلّ سطر عشر كلمات وتبدو أحدث زمنا في كتابا من النسختين الأخريين ورمزت إليها بحرف "الطّاء".

و لا توجد بين النسخ فوارق كبرى في النصّ تغيّر المعنى أو تضيف معلومات عن الشّيخ أو الرّجال الذين عاصروه واّتصلوا به.

و غاية ما يوجد من اختلاف كان في رسم بعض الألفاظ، وخاصّة منها أسماء الأعلام، أو في استعمال بعض حروف الجرّ مكان البعض الآخر، أو في سقوط بعض الكلمات من نسخة ووجودها في الّنسخة

الأخرى دون أن يؤثّر السقوط أو عدمه على معنى الجملة. وقد وضعنا ما سقط من نسخة وأثبت في أخرى بين معقّفين [...] وأشرنا إلى ذلك في الهامش مع رمز (*). وفي الكتاب إشارة إلى تاريخ كتابته هو زمن خلافة الخليفة الثاني محمّد الفاضل (1945-1968)[34]

ب - **محتوى الكتاب**:

الكتاب في السّيرة وإن أراده صاحبه " نبذة تاريخيّة لمن أراد الوقوف على حياة الشيخ أحمد بمبَ "، هو كتاب في السّيرة بقلم مريد لصاحب السّيرة داعية له ولمذهبه. ولئن حاول صاحبه التزام الموضوعّية في نقل الأخبار والإكثار من الشّواهد وذكر الأشخاص والأماكن، فإنّ الكتاب لم يخل من عبارات التّمجيد وذكر الكرامات والاحتجاج لأعمال الشّيخ وأقواله، ولعلّ الأمر طبيعيّ بالّنسبة إلى كاتب لازم الشّيخ المؤسّس وخدمه سنوات، وساهم في نشر الطّريقة التي جاء بها.

---

34 ص 108 من المخ طوطة ج

و في الكتاب شهادات حيّة لأحداث شهدها المؤلّف، وفيه روايات نقلها عن أشخاص عرفوا الشّيخ من قريب، وفيه تأثّر واضح بكتب السّيرة النبويّة وخاصّة كتاب " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن القيّم، ومحاولة للنّسج على منواله في إيراد الأخبار.

و في أسلوب الكتابة بعض التّشويش قد يكون ناتجا عن تأثير التداخل بين اللّغتين العربيّة والولفيّة، من ذلك الانتقال من الغائب إلى المتكلّم ومن المتكلّم إلى الغائب دون تنصيص على ذلك، كما أنّ فيه استعمالا لصيغ غير عربيّة مثل " بياضين " و"سوادين " وهي صيغ شائعة الاستعمال في المنطقة.

**تنبيه**: لابدّ من التنبيه إلى أنّنا رسمنا أسماء الأشخاص وألقابهم، وكذلك أسماء الأماكن التي تضمنت أصواتا غير عربيّة، باللّغة العربيّة وحسب ما بدا لنا أنّه أقرب إلى النطق الحالي لهذه الأسماء في السّنغال، إلاّ ما شاعت كتابته بالعربيّة عند أهل المنطقة مثل " جُوبْ" و"جْرْبلْ " وكلّ ما فيه جيم ونطقها (دِيَ = die).

فالكتاب كان موجّها في الأصل إلى قارئ وُلُفِي أو غيره من الذين يفهمون الولفّية، والأسماء مكتوبة بالحرف العربي لكن بلغة أهل البلد أي الولفّية وفيها أصوات غير موجودة في العربّية اجتهد الولفيون في

إيجاد طريقة لرسمها بإضافة نقاط إلى الحرف العربي مثل (ݩدَ = nd) وقد رسموها بدال مثلّثة، أو (ݧيَ = gn) وهي مرسومة بجيم مثلّثة، أو (مبَ =mb) وهي بالباء المثلّثة.

و لقلّة وجود من يفهم تلك اللغة في الوطن العربي،و لعدم إمكانيّة طبعها بالبرامج المستعملة حاليّا للطّبع، خيّرنا تعويض الأصوات الولفيّة بأقرب الأصوات العربيّة إليها.

ثمّ إنّ كلّ هذه الأسماء مبنّية عند السنغاليين حتّى العربيّة منها لا تخضع للإعراب، فلم نخضعها له وتركناها على البناء. فإبراهيمَ مثلا تبقى منصوبة في كلّ الحالات، ومثلها دارُ التي تكون مرفوعة في كلّ الحالات مثل دارُ السّلامِ ودارُ المّنان.

و نظرا كذلك إلى عدم وجود خرائط للسّنغال بالعربيّة، ولرسم هذه الأسماء اليوم في السّنغال بالفرنسّية أو بالولفية بخط عربي، سواء تعلّق الأمر بأسماء الأشخاص أو بأسماء الأماكن التي يشاهدها المرء على اللاّفتات واللوحات الدّالة عليها، فقد ذكرنا مقابلها بالفرنسّية في الهامش واخترنا من بين عدّة طرق للّنطق بتلك الأسماء ما جاء في الأطلس العالمي لموسوعة Encarta.

# إرواء النديم

# من عذب حبّ الخديم

للشيخ محمّد الأمين جوب الدّغاني

[1] هذا "إِرْوَاءُ النديِمِ مِنْ عَذْبِ حُبِّ الخَـدِيِمِ" نبـذة تاريخية لمن أراد الوقوف

على حياة الشّيخ أحمد بمبَ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمـين، المؤسّس لطريقة المريدين بسنغال، تأليف الفقـير إلى رحمـة ربّـه وعونه،الرّاجي غفران ذنوبه وستر عيوبه ظاهرا وباطنا، حالا ومآلا، مُحمّد الأمين جُوبْ بن الشيخ أحمد جُوبْ الدّغاني، تـاب عليـه القريب المجيب، مريد المترجم له رضي الله تعالى عنه ونفعنـا بـه آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم , بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. يقول الفقـير إلى ربّـه المستعين به على خدمة مربّيه حبّه مُحمد الأمين جوب بن الـشيخ أحمد جوب الذغاني تاب عليهما القريب المجيب: الحمد لله الـذي أضاء أرضه بأوليائه وبيّن بهم طريق الهداة أنبيائه، طريقة التوحيـد والعبادة لربّ الأرباب ورفض ما سواهما من العقول أولي الألبـاب المتلقين الهدي من أولئك الأيّمة بإلقاء نفوسهم إلى أيديهم بالأزمّة، "أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتداء" وصلّى الله علـى سـيدنا

محمّد رئيس الكلّ وسائسهم والمطهّر لقلوب المغبطين من نزغـات الشياطين ووساوسهم، وعلى آله وأصـحابه المـوفين بـالعهود والمتمسّكين بعهوده والوعود.

أمّا بعد فإنّه لمّا منّ الله على أهل كلّ قرن بوليّ يسلك بـهم طريق الهدى، ويحيد بهم عن سبل الرّدى، ومنّ علينا أهـل القـرن الرّابع عشر بقرّة أعيننا شيخنا وشيخ [2] المسلمين أحمـد ابـن مُحمد بن حبيب الله " حفظه الله وحفظ له وشكر سعيه وتـولاّه، المعروف عند العامّة بالشيخ "أحمدُ بمبَ البَكِي " خديم النبي المكّـي صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنه وكرّم، أردت أن أبيّن نبذة مـن حال حياته لمن يأتي بعد ويريد الوقوف على شيء من صفاته ولقد علمت والله ثمّ والله بأنّي لا أعلم ولا آتي منه إلاّ بالقُـلّ فكيـف بالجُلّ، وكيف بالكُلّ ولكن أمهّد الطريق لمحبّ يأتي يُفـتح عليـه ويكثر العلم لديه ويلهمه الله نفع العباد به لا بتغاء مرضاة ربّه ففي الحديث الشريف" الخلق عيال الله وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعيالـه" فقد قالوا من أرّخ وليّا فكأنّما أحياه، فدونكم هذه النبذة المسمّاة "بإرواء النّديم من عذب حبّ الخديم" فمن رأى منها ما لا يعجبـه بجناية قصور الباع منّي فليستغفر الله لي وليـسترني ولا يهجرهـا

فسيرى منها بدله كثيرا ممّا يعجبه ولأنها مقدّمة وجيشها إن شـاء الله كتاب"منن الباقي القديم في مآثرالشيخ الخديم"لابن المترجم لـه شيخنا محمد البشير [35] أبقاه الله للمسلمين به كأبيه، فإ ّنه كتـاب جمع فأوعى تقّبله الله ونشره ذخرا عنده غدا وبعده، وببركته وبركة مؤلّفه وبركة المؤلّف فيه، يقبلنا ويقبل كتابنـا ويتمّـه وينـشره كذلك، فهو تعالى ذو الفضل وولّي التوفيق وولّي مـا هنـا ومـا هنالك.

---

35 Serigne Bassirou Mbacke الابن الرّابع للشيخ أحمد بمبَ توفّي سنة 1966 م ، وهو صاحب كتاب " منن الباقي القديم في سيرة الشّيخ الخديم " نقله إلى الفرنسّية خَـادِمْ امْبَـاكِي ونشره بدكّار تحت عنوان :

Bienfaits de l'Eternel ou la biographie de Cheikh Ahmadou Les BAMBA

Dakar 1995

# الفصل الأوّل

## في التعريف به وبأحواله إلى وفاة والده.

أمّا ولادته فقيل عام " شَرَعَ " [36] [1270 ه/1853 م] وقيـل عام يشَرَعَ [1272ه / 1855م ] في قصر أبيه في "اِمْبَكِ بَوَلْ " [37] وكان بجانب طريق [3] سفينة البرّ *. قال العلاّمة الحـاج حَامدُ بن عثمان الفوُتي التلْرِي [38]: [رجز ]

قَدْ وُلِدَ الخَدِيمُ مَنْ قَدْ شَرَعا شَرِيعَةَ المُخْتَارِ" عَامَ شَرَعَـ ـا"
ثُم مَضَى لِرَبِهِ عام شَ**وسْ** وعُمرُهُ "عَيْنٌ" وَ" دَالٌ" كَالشمُوسْ
وقِيـلَ إن عُمْرَهُ مَآلُ نِلْتَ المُنى وسَرك الـــــآلُ

---

[36] التّاريخ بحروف الغبار وهي طريقة كانت مستعملة في القديم ولكلّ حرف مـن حـروف المعجم عدد يقابله, فإذا جمعت الأعداد حصلت على التاريخ. مثال ذلك " شرع " الشين = 1000 والراء = 200 و العين = 70 فيكون المجموع 1000 +200 +70 = 1270. وتختلف القيمة العددية للحرو ف بين المشارقة والمغاربة .انظر محمد اليعلاوي "حساب الجمّل أو التّأريخ بالحروف" في حو ليات الجامعة التونسية VIII /1971

[37] Mbacké Baol قرية في ناحية طوبى

* يعني با السكّة الحديدية

[38] Thierno Hamidou Ane Tilleré (1889-1956) من علماء القادريّة في السنغال ، له قصائد في مدح الشّيخ مجموعة في "ديوان الشّعراء السّينغاليين مع ديوان الشّيخ إبـراهيم جوب المشعري " مخطوط في مكتبة الشّيخ الخديم بطوبى. ص ص 90-103. انظر عـن حياتـه د. عامر صمب . الأدب السّينغالي العربي I / 182 –195

لَيْلَةَ الأَرْبَعَاءِ في المُحرمِ        مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ مَضَتْ فَلْتَعْلَمِ

و كان أعني الشّيخ بعد ولادته في حجر والديه حتّى بلغ أوان التعلّم.و أما اسمه فأَحْمَدُ بن مُحمّد بنُ حَبيب الله بنُ مُحمّد الكَبير بنُ حَبيب الله الأوّل بنُ مُحمّد الخَيْر"و محمّد الكبير هذا هو الملقّب بمَ مَرَمْ [39] وهو الباني لِامْبَكِ بَوَلْ قيل عام" شَقْضَدِ"(1194 ه / 1780 م ولم يسكن فيها بل أسكن فيها أكبر أولاده مُحمّد فَرْمَةَ أخا الحَبيب وهو غير شقيق له، وبقي هو أعني الوالد الباني في جُلُفْ [40] وهنالك قبره يزار.

أمّا نسبه فتكروري، آباؤه أتوا من جهة فُوتَ [41] إلى جُلُفْ واشتهر أنّهم أتوا من أرض البياضين [42] إلى فُوتَ. وأبناء عمّهم في البياضين آل مُودِ نل [43] وأولئك يقال إنّهم شرفاء.

و أخبرني أخي وشيخي مُخْتَارُ ينتَ لُو بنُ الشّيخ إبراهيم شيخ انجُومِر" [44] أنّه سمع من الشّيخ المترجم له ما يؤيّد ذلك. قال:

---

[39] Mam Maram وهو الجدّ الثاني للشّيخ أحمد

[40] Djolof إقليم في شمال السنغال تأسّست فيه مملكة تحمل اسمه في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ثمّ انقسمت إلى إمارات .

[41] Fouta

[42] يعني با المناطق الواقعة في شمال نر السنغال وهي مو ريتانيا الحالية

[43] Modinalla قر ية مو ريتانية على حد ود السنغال

كنت يوما عنده نتحدّث حتى ذكرنا قبيلة من البياضين تنسب إلى الشرف فقال لي: أما تعلم أنّ أولئك إخواننا فصحّ لنا بذلك شرفهم. قلت وشرفهم لو لم يسمع ولم يقل فشاهد الحال عدل فيهم يدلّنا عليه من أخلاق مستعذبة من كرم [4] شيم بانشراح صدر وحلم مع شجاعة وإقدام إلى الخير والأنفة من دنايا الأخلاق إلى ديانة صادقة.

و أمّا أمّه فجَارَةُ الله مَرْيَمُ بنتُ مُحمّد بنُ مُحمد حَمّاد بنُ عَلـي الْبوصُوبي [45]، هؤلاء شرفهم صحيح ونسبهم مثبـت إلى الإمـام الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه فالشيخ شريف أمـا وأبا. أخبرني بعض أبناء عمّي وهو خبير بأرض "فُوتَ " بأنه سار من قرية ِاَمْبَكِ [46] إلى ِاَمْبُمْبَ [47] عاصمة في لاَوُ [48]، و مرّ بـأطلال فقيل له هذه آثار قرى البكّيين.

---

[44] Sérigne Makhtar Binta LO (1875-1949) من المريدين المقرّبين من الشّيخ وله في مدحه أشعار. انظر ترجمته في : شخصيات من مدرسة الخديم بقلم سرين شيخنا مختار بنـت ص ص 25-33

[45] Mam Diara Bousso

[46] Mbacké

[47] Mboumba

[48] Law

و أخبرني آخر من أهل بَبْهَبَ [49] أنّ البكّيين أبناء عمّهـم وإنّمـا أبدل هاءَ بَهْ بالكاف في الوُلُفيينَ، وهذا ضعيف عندي والمظنون أنه لقب قديم كألقاب الأعاجم فتعاضد القـولان وعليهمـا آثـار الصّدق. وأمّا البُوصُوبيون فقيل مسكنهم فوتَ قرية غُولِيرْ [50] فكلّ هذه الأماكن متقاربة وعلى الأماكن والأقوال آثار الصّدق وتـدلّ على شرف النّسبين.

فلمّا بلغ الشّيخ سنّ التعلّم سلّمه والده لخاله مُحمّد بن مُحمّد بُص [51] شقيق أمّه الصّالحة فابتدأ في تعليمه حتى ترعرع قليلا، ثمّ لمّـا تمهّر سلّمه الخال إلى خاله هو أيضا وخال أمّ الشّيخ تَفْسِيرُ اِمْبَـكِ نُمْبَ بنُ مُحمد شُخْنَ بُص بنُ مُحمد الكَبير المذكور،و هو شقيق جدّة الشّيخ أمّ أمّه عَاِئشَة فكان عنده، يمكثون في اِمْبَـكِ وقـت الصّيف، وفي الخريف في جلُفْ غالبا حتّى توفّي المفسّر وقد قارب من الحفظ.

[49] Bahbahb

[50] Golléré

[51] المعروف باسم Sérigne Mboussobe ( ت 1312 هـ / 1895 م ) من علمـاء جُلُفْ.

أخبرني بعض الثقات أنّ شيخنا المترجم له أخبره أنّ لوحـه بلـغ "لَتجِدَن "[52] وقت وفاة معلّمه المـذكور. ثمّ رجـع إلى والـده واجتهد لنفسه حتى حفظ وصحّح وجوّد من المـصحّحين [5] اذّاك كلّ ذلك بقرب والده ولا يغيب عنه إلا قلـيلا لأنّ أخـاه الشّقيق مُحمّد جَارَهْ[53] كان عند بعض المصحّحين خارج قريتهم ربّما يأتيه يمكث معه شهرا أو شهرين ثمّ يرجع. وكـانوا إذّاك في سَالُمْ[54] أيّام الـاهد مَبَهْ[55]، و كان أهل بيته حشروا مـع مـن حشر مع مَبَهْ، بل وأهل البلدين جُلُف وجلّ بُولْ[56].

و تراجع النّاس بعد وفاة الـاهد ورجع والده فيمن رجـع مـع لْتجُورْ،[57] وبقي الخالو عائلته هنالك وبقي المترجم له فيمن بقي

---

[52] قرآن: لَتجِدَن أَشَد الناسِ عَدَاوَةً لِلذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتجِدَن أَقْرَبَهُمْ مَودةً لِلـذِينَ آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إِنا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قِسيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. المائدة آية 82

[53] Mam Mor Diara

[54] Saloum نر يقع وسط السنغال واسم المنطقة حوله

[55] Maba Diakhou Ba) مجاهد سعى إلى تأسيس إمارة إسلامّية في منطقة سَالُم،و تحالف مع لْتجُورْ ضدّ الفرنسيين واستشهد في إحدى معاركه مع قبائل السرير Sérères سنة 1283 هـ / 1867 م

[56] Baol إقليم مجاور لإقليم كجور

[57] at Dior من ملوك السنغال الذين حكموا منطقة كَجُور Cayor (1862- 1886 ) ، قاوم الاستعمار الفرنسي

لتعلّم العلم، ثمّ شرع يتعلّم من عمّه صمْبَ تُكُلُورْ كَهْ " [58] ابـن خالة أبيه حتّى قرأ عليه مبادئ العلم وتمهّر بعض التمهّر ثمّ رجـع إلى والده وكان الوالد في بَطَارْ [59] قرية قرب قصر حَمْـدِ يـل [60] مسكن تُجُورْ إذّاك، لأنّ الأمير كان يحبّه غاية واتّخذه شيخا مشاورا يرجع إلى رأيه. وما كانت له رغبـة في مجـاورتم إذ لا يرغب في أموالهم ولا في عزّ ملكهم وإنّما ألجأتـه إلى موافقتـهم ومداراتم مصالح العيال يُسكنه حيث سكن وكان الشّيخ لا يقبل أن يساكنه في عاصمته لأنّه صاحب تعلّم وتعليم،و التعلّم والتعليم لا يجالسان الإمارة بل يسكن بقربه بحيث إذا احتاج إليه يأتيه بـلا تعب ولا إبطاء. وسكن مع والده يتعلّم منه مجتهـدا في الحفـظ والإتقان والتفهّم حتى برع في الفنون. وفي أثناء هذه المدّة كان يأتي القاضي مَجَخَتِ كَلّ [61] وهو ساكن مع الأمير، قاضـيا لـه بارعا في فنون العلم ولا سيما العربية مشتهرا بجودة الشعر يأخـذ

---

[58] Samba Toucouleur Ka

[59] Patar قرية في منطقة كَجُور Cayor وفيها سكنى والد الشّيخ.

[60] Keur - Amadou yalla قرية في إقليم لُغه Louga

[61] Madiakhaté Kalla كان قاضيا للأمير لـتجور وعالما شاعرا فقيهـا. تـوفّي سـنة 1319 / 1902 انظر عنه : عامر صمب. الأدب السّينغالي العربي II / 48 – 84

منه دقائق العربية وأسرارها. وربّما يأتي بأبيات قالها هو فينظر في إعرابا وعربيتها وعروضها ربما يكسر له أوّلا حتى فاته الشّيخ فصار كلّما عرض عليه [6] شيئا من شعره قال له: ايـت بـه أحفظه عنك،أي الشّأن في حفظه لا في تصحيحه. هكذا حاله مع القاضي لا قراءة كتاب تامّ مستقلّ. وكان أيضا هنالك عالم من علماء البياضين في مدينة أندَياني [62] يقال له مُحمّد بنُ مُحمّـد الكَريم[63] من بني دَيمانَ، [64] فخذ أولاد سِيدِ الفَاضـل، والعامّـة عندنا يسمّونه "مُحمّد اليَدَالي " وهو غـير صـاحب" الـذّهب الإبريز" في التّفسير، إذ ذاك يَدَالِي دَيْمَاني [65] قديم،ربّما يأتيه ويأخذ

---

[62] Ndiagne قرية في إقليم لُغه Louga

[63] محّمد بن محّمد الكريم الفاضلي الدّيماني الشّاعر من أساتذة الشّيخ أحمد بمبَ ،لم نعثر له على ترجمة ، وعدّه الشّيخ البشير امبك " من أهل الصّلاح والعلم " منن الباقي القديم مخطوط الجزء الثّاني ص 85

[64] بنو ديمان قبيلة موريتانّية أنجبت الكثير من العلماء

[65] محّمد اليدّالي بن المختار بن محمّ سعيد الدّيماني ( 1096 –1166 هـ / 1685-1753 م ) عالم شاعر متصوّف .له مصنّفات في التفسير والسيرة والتّصوّف. انظر الخليل النّحوي : بلاد شنقيط ، المنارة والرّباط. ص 529

و حقّق له محمـذن ولد باباه ثلاث رسائل ونشرها تحت عنوان : نصوص من التّاريخ الموريتاني تونس 1990

منه طرفا من علم البيان وأظنّ قال والمنطق في بعض حكايتـه لنـا والله أعلم.

ثم لمّا علم الوالد منه البراعة والنشاط والنصح ولاّه جلّ التـدريس، وربّما كان يُقرئه درسا أمامه في كتابه أو في كتاب ممّا يقرئه ليقرئه صاحب الدرس إذا أتى لثقته بعلمه وفهمه. فكان يفعل بـارك الله فيه فانقطع إليه جلّ أصحاب الشيخ واكتفوا به، فرضـي بـذلك الشّيخ الوالد.

ثم لم يلبث أن انتقل الأمير من قصر حَمْدِ َيل إلى سُغيرْ [66] عاصمته في كَجُورْ ونقل الشّيخ إلى القرب منه فبنى قصرا وسمّـاه امْبَـكِ كَجُورْ [67] ومكث ثمّة سنتين. ثم انتقل الشيخ إلى رحمة ربّه، قبـل في محرم ثلاث مائة وألف أي عام "سَشِ". وسمعت الشّيخ يقول إنّه لمّا احتضر الوالد جلس عند رأسه، وختم القرآن يوم الاثـنين وتوفّي ليلة الثلاثاء وحمل إلى دِقْلِ، وقبره هنا لك يزار، وقد زرتـه فللّه الحمد.

---

[66] Soguer
[67] Mbacké Cayor

ثم لمّا توفّي والده وحمل إلى دِقْل بدال مهمل مال وسكون القاف ولام مال، قرية من قرى كك [68] في ناحية اِمْباكُلْ [69]، سار فيمن سار معه للتّشييع على قدميه وربما يعرض له فارس أن يركب فرسه فيقول: السّير [7] برجليّ أحبّ إليّ.

فلمّا اجتمع أهل البلد جماعة لم يعهد مثلها قدّموا للـصلاة علـى الجنازة سِرين طّيبَ [70]محمـد نَمْـبُ مَارْسِـل الآتي ذكـره في باب"شهادات الكبراء "للمترجم له. فلمّا فرغوا من الصّلاة عليـه والدّفن أمر شَرِينْ طّيبَ " النّاس بالاجتماع والسّكون والإنصات ففعلوا فقام فخطبهم ووعظهم وأحسن في تعزية الشيخ الكـلام للكلّ وخصّ الشيخ المترجم له بالذّكر وقال: أين سرين بمبَ [71] كذلك كانوا يسمّونه إذّاك، فلبّى وقام وهو من طرف الجماعة ثمّ قال له الخطيب:ادن، فدنا بعض دنوّ حتى صار بحيث يراه ويـسمع هو منه ويردّ الجواب بلا تكلّف صياح وإنّما وقف ثمّة كراهة تخطية

---

68 Kokki قرية في ناحية لغه Louga با مدرسة لتعليم القرآن

69 Mbakol

70 Sérigne Taiba واسمه Mamamadou Ndoubé Mar من حاشـية لتجـور. وسرين كلمة ولفية تعني الشيخ والسّيد.

71 Serigne BAMBA

الرّقاب، قال له الخطيب: ادن، فقال: أسمع.ثمّ خصه الخطيـب بأحسن تعزية ثمّ قال: إنّي أطلب منك بعد أن تسير معـي ومـع جماعة منّا أجلاّء نظراء الوالد إلى الأمير فنعزّيه فيه تعزية تقـرّ بـا عيه، لأنّه كان خليله وحبيبه وشيخه ومشاوره؛ و كذلك نكلّمـه فيك وننصبك عنده فيقيمك حيث كان أقام الوالد فلا ترى منه إلاّ خيرا.

و كرامة هذا هو الرأي عندي فما قلت أنت ؟ فأجابه وقال: أمّا ما قلت من التّعزية والتّوصية فحسن، فجزيتم خيرا ووقيتم ضيرا.و أمّا أمر الأمير فأنا لا أذهب إلى الأمراء ولا أرغب في دنياهم، ولا أطب الكرامة إلاّ من الله ربّ الأرباب. فانكسرت الجماعـة وهـدرت صدورهم. و أمّا الصلحاء فللعجب من هذه الكلمة القاصمة لظهر محبّي الدنيا برزت من ابن لهم شابّ وضع قدمه على رقابم واطّلع. وأمّا العامّة فللعجب من امتناعه عن هذا العزّ الحاضـرو الغنيمـة الباردة. [8] وسفّهوه فبنى على قول الجماعة قطعتين حـسنتين عجيبتين أمّا إحداهما فقوله: (قالوا سفيه لصرفي عنهم بصري. ..) إلخ، لم استحضرها ولا أريت نسختها أوان الخدمة، وأمّا الأخـرى فقوله : [بسيط ]

قالُوا لي ارْكُنْ لأبوَابِ السلَاطِين

تَحُزْ جَوَائِزَ تُغْني كُلمَا حِين

فَقُلْتُ حَسْبيَ رَبي واكْتفَيْتُ بِهِ

ولَسْتُ رَاضيا غيْرَ العِلْمِ والدين

ولَسْتُ أرْجُو ولَا أخْشَى سِوَى مَلِكِي

لأنهُ جَل يُغْنيني ويُنجِيـ ـيني

أنى أفَوّضُ أحْوَالي لِمَنْ عَجَزُوا

عَنْ حَالِ أنفُسِهِمْ عَجْزَ المَسَاكِينِ

أوْ كَيفَ يَبْعَثُني حُب الحُطَامِ على

جوَارِ منْ دُورُهُمْ رَوْضُ الشيَاطِينِ

إِنْ كُنتُ ذَا حَزَن أوْ كُنتُ ذَا وَطَر

دَعَوْتُ ذَا العَيْنِ قَبْلَ الراءِ والشينِ

وهْوَ المُعينُ الذِي لا شَيْءَ يُعْجِزُهُ

وهْوَ المُكَوّنُ مَا شَاءَ أي تَكْوِينِ

إِنْ شَاءَ تَعْجِيلَ أمر كَانَ ذَا عَجَل

أوْ شَاءَ تَأجِيلَهُ يَبطأ إلى حِينِ

يَا مَنْ يَلُومُ فَلَا تُكْثِرْ ودَعْ عَذَلي

إِذْ لَسْتُ مِنْ فَقْدِتي الدنْيا بَمحزُونِ

إِنْ كَانَ عَيْبِي زُهْدًا فِي حُطَامِهِمُ

فَذَاكَ عَيْبٌ نَفِيسٌ لَيسَ يُخْزِينِ

و أمّا أمّه فهي في "بُرُخَانْ"[72] في القطر السالمي توفيت ثمّة أيّـام والده هنالك.

---

72 Porokhane

## فصل في أحواله بعد وفاة والده رضي الله عنهما.

وكان المترجم له في حياة أبيه لا يقوم ولا يقيم، بل هو طوع أبيه كالميّت بين يدي غاسله.

فلمّا مات أبوه بقي على الوظيفة سنة وزيادة والأصحاب أهل تعلّم فقط، وهو مدرّس صرفا، ومع ذلك كان دائم التطلّع على علـوم القوم وحبّب إليه [9] التجرّد والسّياحة كالقوم فكان ينـوّع في عباراتم ويبرز المعاني الدّقاق ويشعر بلسانم، إلى أن استولى عليـه سلطان الهمّة العالية فأقام وحرّك وسكّن ودعا بلطافة إلى حالـه. فلمّا استفحل عليه الأمر صدع بمراده ودعـا إلى همّتـه ثمّ جمـع الأصحاب وقام خطيبا معتمدا على عكّاز عزم:

" ألا من كان صحبنا للتعلّم فلينظر لنفسه وليذهب حيـث شـاء وليأو لجنسه،و من أراد ما أردنا فليسر بسيرنا وليقم بأمرنـا. " ثمّ انفصل داخلا فأوقع كلامه الأصحاب في المقيم المقعد فاضـطربوا اضطرابا شديدا بين من ينصرف ومن يبقى معه ومن يمنع خليلـه من الذّهاب ومن يمنعه من البقاء. كلّ ذلك والشيخ سـاكت لا يسأل، مصمّم لا يتردّد،حتى آل الأمر إلى ذهاب الجلّ وبقاء القلّ،

هذا هذا. وقبل هذا كان الشيخ في حياة أبيه شرع في التّأليف في العلوم النقلّية الشرعّية فنظم " ورقات الإمام السّنوسي " أعني" أمّ البراهين "[73] فتلقّاه والده بالقبول وصار يقرئ به بدلا من النّثـر. سمعت الشيخ يقول إنّ الشيخ الوالد أقرأ ذلك النظم ابنيه شَـيخ ثيورُ [74] واسمه السيد مُحمّد الخَليفَة و"سِرينْ عَاِفَية" [75]
و اسمه أحمدُ المُخْتَار. ونظم كتاب الإمام الغزالي الـذي يـسمّى" بداية الهداية " وسمّاه "مُليّن الصّدور" [76] ثمّ اختصره بعـد وسمّـاه "منور الصدُور" [77] بتاريخ عام " شرضد " أربعة وتسعين ومـائتين بعـد ألـف هجـري (1877 م) ثمّ "جَذْبـة الـصّغار"[78]، ثمّ

---

[73]( أم البراهين هي العقيدة الصّغرى للسنوسي التلمساني ( ت بعـد 830 هـ / 1427 م - 895 هـ / 1490م)
و نظمه الشيخ بعنوان " مواهب القد|وس في نظم نثر شيخنا السّنوسي " في واحد وخمسين وستّمائة ( 651 ) بيت.

[74] Cheikh Thioro

[75] Sérigne Afé

[76] مليّن الصّدور أو مذكّر القبور وقد نقل فيه عن الغزالي واليدّالي. وهو في الفقه والتصوّف. قصيدة في مائتين
و أربعة واربعين بيتا.

[77] منوّر الصّدور لدى المنازل وعند الدّور في مائتين وأحد عشر بيتا.

[78] جذبة الصّغار عن العب لخدمة المختار في التّوحيد وهو في مائة وثمانية وخمسين بيتا.

"الجوهرالنّفيس" [79] نظم فيه نثر" الإمام الأخـضري " [80] وغـير ذلك.

ثمّ لمّا صادقه الأصحاب على موافقته مراده ترقّى بهم عـن حـال التّدريس إلى حال التّربية والتّرقية. 10] قلت: ولا يبعد أن يكون هذا بإذن من رسول الله صاحب الحضرة صلّى الله عليه وسلّم،بل قد أخبرني بعض أشياخنا وهو ثبت ثقة، أنّ الشّيخ قال له إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شافهه بقوله " ربّ أصـحابك بالهمّـة ولا تربّهم بالدرس"مع ما انضمّ إلى ذلك ممّا يـرى ويـصرّح بـه في القصائد مثل قوله: [رجز]

وِمِنْ عَجَائِبِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهْ
صَلَّى عَلَيْهِ بِسَلَامِ اللَّهْ
بَاقٍ أَضَاءَ أَرْضَهُ بِالأَوْلِيَا
إِلَى الْقِيَامَةِ وكُـلّ ولِيّـا

---

[79] الجوهر النّفيس في عقد نثر الأخضري الرّئيس في ستّ مائة وثمانية وثمانين بيتا.

[80] الأخضري أبو زيد عبد الرّحمان من علماء القرن العاشر ، عدّه محمّد مخلوف في الطّبقة العشرين من طبقات المالكيّة، و هو من بسكرة ببلاد الزّاب. انظر شجرة

النّور الزكّية لمحمّد مخلوف ص 285 ترجمة عدد 1081.

سُنَتُهُ وصَانَهَا عَنْ بِدَعِ

تْبشِيرُهُ خَدِيمَهُ بِفَـ ـاصْدَعِ

أَمَرَهُ صَلى عَلَيْه اللّهُ

بِفي الآل والصحْبِ وَمَنْ وَالاُهُ

بِأَنْ يُعَلمَ المُرِيدِينَ وَمَنْ

يَقْبلُ مِنْهُ النصْحَ مِنْ أَهْل الزمَنْ

وأَنهُ أَوْصَلَهُ عَنْ تَخْلِيَه

لِرَبِّهِ مُبشرًا بَتحْلِيَـ ـ ـهْ

قو له "بِفَاصْدَعِ" يعني فاصدع بما تؤمر، أمر الله نبّيه صلّى الله عليه وسلّم بالإجهار بدعوته بعد أن كان يدعو النّاس سرّا. ومعناه في حقّه أنّه لمّا كملت له وراثته صلّى الله عليه وسلّم بإكمـ ـال الله تعالى وزاده بسطة في العلوم والحكم والأنوار والأسرار وقوّاه على حمل أعباء الولاية الكبرى أمره بالصّدع ودعوة الخلق إلى الّلياذ به والأخذ عنه، والوقوف عند أمره ونيه فقال: [رجز]

نَزَعَ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَا العُلومْ

وَ يُمْنَهَا لِي بكَوْنه العَلِيمْ

حَفِظْتُ مَا صِين عَنِ الدفَاتِرْ

فَلَا تَكُنْ عَنْ خِدْمَتي بفَاتِرْ
أعْطَانِيَ المُعْطِي بجَاهِ المُصْطَفَى
صَلى عَلْيهِ بسَلَامِ اصْطَفَى

[11] بَرَكَةَ القرْآنِ والعُلُوم

وَ قَادَ يُمْنَهَا إلَى تَعْلِيمي
إلىَ تَوَالِيفي يَقُودُ اللهُ
أسْرَارَ "لَا إلَهَ إلَّا اللــهُ"
نَزَعَ لي ولْيسَ منّي يَنْزعُ
وَ أنِني بِهِ حِمَى وَمَفْزَعُ
ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ الذِي
يَشَاؤُهُ وقَالَ لي قُلْ بي لُذِ

أي أمرني ربّي أن أصرّح بأنّي ملاذ وحمى ومفزع فمن أراد الخــير في كلتي الدّارين فليلذ بي ثمّ قال:

فَازَ مُرِيدٌ قَادَهُ اللهُ إلَى
تَعَلقٍ بي وَيحْظَى بِالْأُلَى
فازَ مُرِيدٌ لمْ يَمل مِنّي

ِبمَا بِهِ َيحوزُ خَيْرَ مَـ ـنٍّ

فَازَ مُرِيدٌ لَاذَ بي ِبمَا َيفُوقْ

ما ظَنُّهُ باللهِ جَارِيَ الرفِيقْ

كُل مُرِيدِ بي َيلُوذُ َيسْعَدُ

وَ ِإنهُ ِمنَ الأَذَى مُبعدُ

ِلكُلِّ مَنْ بي َتعَلقَ َنجَاةْ

ِمنْ كَدَرِالدنْيا وفِي َيوْمِ النجَاةْ

ثمّ بّين أنّ مؤمني الجنّ في عصره تعلّقوا به فقال: [رجز ]

بي َتعَلقَ الذِينَ أَسْلَمُوا

ِمنْ جِنِّ عَصْرِي دُونَ مَنْ لَمْ ُيسْلِمُوا

ثمّ حذّر من تعلّقوا به من الإدبار بعد الإقبال فقال: [بسيط]

وَيْلٌ ِلمَنْ عَني َتوَلى مُدْبرَا

َبعْدَ الإِرَادَةِ وعَنّي صَبرَا

ثمّ بّين لهم حدّ الإرادة وما يريد المريد فقال: [رجز ]

حَد اِلإِرَادَةِ بقَوْل السادَة

تَرْكُ المُرِيدِ مَا عَلَيْهِ العَـ ـ ـادَة
ثُم رُجُوعُهُ إِلى المُعْتَادِ
قَبْلَ وُصُولِهِ كَالارْتِـ ـ ـدَادِ
[12] إِذِ المُرِيدُ لَا يُرِيدُ أَبَدَا
غَيْرَ رِضَى الرحْمَانِ حَيْثُ قَصَدَا

ثمّ بيّن وصف المريد ونتيجة مرافقة الواصلين فقال: [رجز]

وَصْفُ المُرِيدِ تَرْكُهُ الإِرَادَة
لِوَجْهِ منْ يَفْعَلُ مَـا أَرَادَه
مَنْ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا سِوَى مَوْلَاه
يَصِلْ له وخَيْـرَه أَوْلَاه
فَمَنْ تَعَلقَ بِوَاصِلٍ وَصَلْ
وَمَنْ تَعَلقَ بِعَكْسِهِ انْفَصَلْ
وكُلُّ مَنْ لَمْ يَتَأَدبْ زَمَنَا
عَلَى يَدَيْ شَيْخٍ فَيلْقَى مِحَنَا
لِأَن مَنْ عَدِمَ شَيْخًا مُرْشِدَا
فَشَيْخُهُ الشيْطَانُ حَيْثُ قَصَدَا
فَالشيْخُ لَا يُخَالِفُ المُشَفعَا

فَمَنْ نَحَا أَمْرَ المُرَبِّي انْتَفَعَا

فَحَيْثُمَا أَمَرَكَ المُرَبي

فَامْتَثِل الأَمْرَ تَصِلْ لِلربِّ

وحَيْثُمَا نَهَاكَ عَنْ شَيْءٍ فَلَا

تَمِلْ لَهُ وعَنْ رِضًى لَا تَغْفِلَا

ثمّ بيّن أنّ المريد الصّادق له صفات إذا تحقّق بها أنتجت له كـلّ خير فقال: [رجز ]

صِفَاتُ صَادِقِ المرِيدِ بِاخْتِصَار

أَرْبَعَةٌ نَظَمْتُهَا خَوْفَ اغْتِرَار

الصدْقُ في مَحَبةِ الشيْخِ أَبَدْ

ثُمّ امْتِثَالُ أَمْرِهِ حَيْثُ وَرَدْ

وَتَرْكُ الاعْتِرَاضِ مُطْلَقًا ولَوْ

بَبَاطِنٍ عَلَيْهِ فِيمَا قَدْ رَوَوْا

ومَعَهُ سَلبُ الاخْتِيَارِ

لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِلَا إِنكَـارِ

فَكُلُّ مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الصفَاتِ

مِنَ المُرِيدِينَ فُيُدْرِكُ الثّقَاتِ

ثمّ بيّن أنّ للحجاب سّتة أصول ينبغي للمريد قطعها، و أنّ الملائكة [13] تبكي على المريد إن كان أكولا فقال: [رجز]

وِلْلحِجَابِ سِتةٌ مِنَ الأُصُولْ
وَ قَطعُهَا حَقٌّ لِمَنْ رَامَ الوُصُولْ
قُلْ كَثْرَةُ الأَكْلِ وكَثْرَةُ الشرَابْ
ثُم مُلاَقَاةُ البَرَايَا بِاصْطِحَـابْ
وكَثْرَةُ الكَلَامِ كَثْرَةُ المَنَامْ
وَغَفْلَةٍ عَنْ ذِكْرِ رَبّنَا السّلَامْ
فَانظُرْهُ في جَوَاهِرِ المَعانِي
لِشَيْخنَا المُعَظمِ التيجَـــانِي
قَدْ أخْبَرُوا أن مَلَائِكَ الجَلِيلْ
تَبكِي عَلَى المُرِيدِ إنْ كَانَ أكُولْ
لِرَحْمَةٍ عَلَيهِ فَانظُرْ ذَاكَ في
تَألِيفِ ذِي عَوَارِفِ المَعَارِفِ

ثمّ بيّن لهم أنّ المريد الصّادق يكون ابن وقته فقال: [رجز]

فَصَادِقُ المُرِيدِ مَنْ يَنْقَلِبُ
بِحُكْمِ وَقْتِهِ ولَا يَرْتَقِبُ
أَمَامَهُ وَقْتًا فَإن ذَاكَ
يَمْنَعُ مِنْ إصْلَاحِ مَا هُنَاكَ
فَلْتَنْظُرُوا فِي جُنَةِ المُرِيدِ
لِشَيْخِنَا الخَلِيفَةِ الرشِيد

إلى غير ذلك ممّا بين في أمره وأمر مريديه ممّا لو تتّبعته لأتيتُ بما يبهرالعقول ولخرجتُ عن حدّ هذا التّأليف الذي هو نقطة من بحر التعريف به. ولنثبت هنا قطعة منشورة بشّر بها المتعلّقين من كشف بعض أسرار الغيبة ليزيدهم رغبة وينشطهم فقال إرشادا: " اعلم بأنّ الذين تعلّقوا بي لولا تعلّقهم بي لدخلوا النّار بعد موتهم ولو مدّة قبل دخولهم الجنّة التي وعد المتّقون. وسبب غيبتي البعيدة أنّ الله تبارك وتعالى أراد في الأزل أن أكون شفيعا لجميع تلامذتي وحال [14] بيني وبين النّصارى وأدخل في قلوبهم الخوف منّي وفعلوا ما فعلوا لئلاّ أكون متنصّرا لأنّي لو تنصّرت لدخلت النّار والعياذ بالله تعالى. ولكن عصمني الله تعالى من النّار ومن كلّ

ما لم يرض لي بجاه رسول الله صلّى الله تعالى عليه بآلـه وصـحبه وسلّم وبارك ".

ثمّ كتب إلى جميع المريدين النّصائح فقال " إنّـه منّـي إلى جميـع المريدين والمريدات سلام طيّب يعـصم الجميـع مـن المريـدين والمريدات، ويدخل الجميع في السلامة والعافية في الدنيا والآخرة بجاه رسول الله صلّى الله عليه بآله وصحبه وسلّم وبارك. أمّا بعد، فإنّي أمرت كلّ من تعلّق بي لوجه الله تعالى الكريم، بتعلّم العقائد والتوحيد، وأحكام الطّهارة والصّلاة والصيام وغيرها من كلّ مـا يجب على مكلّف وإنّي تكلفت لكم ولكن بتواليف يكون فيهـا جميع ذلك لوجه الله تعالى الكريم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. "

و كتب لبعض المريدين جوابا مبشّرا، وعسى أن يسري فينا جميعا فقال " وعليكم السّلام ورحمة الله تعالى وبركاته إنّه قـد جـاءني كتابك أيها المريد الصّادق وتيقّن أنك من الآمنين عند رؤيتـك كلّ ما تخاف منه وعند خروج روحك وفي قبرك وبـأنّ الملكـين السائلين يعرفان شيخك، ويستغنيان بمعرفتهما شيخك عن التوجّه بالسؤال".

**تفهيم على نمط سؤال وجواب.** سؤال: ما دعا إليه الشيخُ أصحابَه وارتقى بهم إليه ما هو ؟ الجواب: ألا هو الإخلاص الذي هو روح العمل، نتيجة معرفة العارفين الذي به يحصل الوصول الـذي هـو عبارة عن كون العبد خالصة لله في حركاته وسـكناته وعقائـده وأقواله [15] وأفعاله وأحواله كلها ظاهرا وباطنا ولا يحصل هـذا غالبا بمجرّد التدريس إذ المدرّس دالّ مفهم فقط فالمنازلة بعد ذلك على المتعلّم قد يرشد وقد لا يرشد ,و لم يكن من وظيفة المدرّس مكابدته.

و شيوخ التربية من وظيفتهم مكابدة المريدين يحتّمـون علـيهم وظائفهم من تعلمّ وتعليم وأذكار وإخدام وإهداء بعـد تأسـيس أمرهم على محبّة صادقة ولا يفارقونهم حـتى يبـصّروهم بعيـوب أنفسهم ويُعملوهم في التطهّر منها ليمكن الوصول بإيـصالهم بإذن الله تعالى وعونه. هذا وأمر التربية أمر طويل الذّيل لا سـبيل للتعرّض له هنا.

**رجوع.** ثمّ لمّا أمر بتربيتهم بالهمّة ووافقوه على ذلك سار بهم على منهاج الرياضة بالتجويع والاستخدام الكثير والحمل على الـذّكر الكثير بالهيللة والقصائد ودوام الطهارة والاعتـزال عـن النـاس

وخصوصا النّساء ففاقوا غيرهم بذا إذ جادوا بأنفسهم وأمـوالهم في سبيل مرضاة الله ﴿إِن اللهَ اشْتَرَى مِـنْ الْمُـؤْمِنِينَ أَنفُـسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَن لَهُمْ الْجَنةَ﴾. [81] فدام الشّيخ والأصحاب على هـذه السّيرة المستقيمة من أوائل عام" أَسَسْ"(1301ه/1884م) إلى أن بنى في اِمْبَكِ بَوُلْ في ذلك العام وانتقل عن اِمْبَكِ كَجُورْ ومكـث نحو سنتين يأتيه النّاس من كلّ فجّ، بين من يريد التعلّق ومن يـأتي بالهدّية ومن يسترفد. فصار الطّريق إلى داره كالطّريق إلى السّوق. فاشتهر في هذه الأعوام الأربعة اشتهارا فائقا يتعجّب منه الخـاص والعام وسنّه إذّاك يناهز ثلاثين. وفي هذه المدّة جال في البلاد الوُلُفِية من سالُمْ إلى وَالُ بَرَكْ [82]و زار كبارها الأحياء والأموات واستجاز أشياخها،و تلقّن الأوراد من أهاليها. ومن جملة [16] من زار آل شَيْخْ سِيدِيَ [83] زار ضريحته في "تِنْدَوْجَ " [84]

---

[81] سورة التّوبة آية 111

[82] Oualo منطقة تقع في الشمال الغربي للسينغال شرق Saint-Louis

[83] Cheikh Sidya الكبير ( 1190 – 1284 هـ / 1777 – 1867 ) مـن العلمـاء الموريتانيين و" قطب من أقطاب العلم والتصوّف والسّياسة في البلاد " الخليـل النّحـوي م.ن ص 516 ..

[84] Tendouja من القرى الموريتانية.

و زار " الشّيْخ َبابَ " [85] ابن ابنه في المُيمُورْ [86] ومدحهم وأخذ منه، ونظم السّلسلة القادريّة من عند الشّيْخ َبابَ إلى انتهائه،و لذلك سأله بعض كبار مشايخ البياضين من شيخك قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ما بالك تذكر آل شَيْخْ سِيدِيَ وتخاطبهم بالشّيوخية وتمدحهم ؟ قال: كنت حينئذ كأعمى يلتمس الهداية ممّن علم ومن لا يعلم فلمّا ظهرلي صاحب الطّريق إمام الفريق الإسلامي وجذبني إليه عناية من الله ومنه سقط منّي أمر الوسائط غيره مع بقاء المواصلة في الله والتحابب فيه والتنافع فيه.

و صدق فأمره مع آل شَيْخْ سِيدِيَ آخرا يدلّ على صدق مقاله إذ صاروا له كالأبناء، وصار لهم كالأب ينفعهم بأمواله ما لم ينفعه ملك قطّ ولا شيخ لأتباعه.

و مدحه الشّيْخُ َبابَ بقصائد وقطع مجموع أبياتا يعدّ مئات ومن جملتها قوله:

[كامل ]

---

[85] الشّيخ سيديا بابا ( ت 1342 هـ/1924 ) عالم جليل ، فقيه ومحدّث وأصولي ومؤرّخ وشاعر. الخليل النّحوي م.ن ص 516 .و هو حفيد الشّيخ سيديا الكبير. كان على علاقة بالشّيخ أحمد الذي نفته السّلط الفرنسيّة ليقيم عنده ،و عنه أخذ الشّيخ الورد القادري

[86] مكان

الشَّيْخُ أَحْمَدُ نِعْمَةٌ أَوْلَاهَا        هَذِي الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَوْلَاهَا

و قوله:

إنّما الشّيخ نعمة أنعم اللـ ـ ـ ـهُ بها آية من الآيات

إلى غيرهما.

ولو لم يقل فيه إلاّ هذين البيتين لكفى شهادة على جلالة هـذا الشيخ وولايته، لأنّ " الشيخ باب " على جلالة قدره لايغلـو ولا يتّجر بالشّعر كالشّعراء وإنّما يقول عن إذن تقرّبا إلى الله جزى الله كلّ واحد منهما عن صاحبه خيرا وبارك في عقبهما وأبقى دولـة الكلّ إلى الجنّة التي وعد المتّقون. آمين.

و ممّن زاره من أشياخ البياضين الأستاذ بَابَ بنُ حَمْـدِ [87] أعـني الثّاني أتاه وظلّ معه و بات [17] قيل في قبّة واحـدة. أخـبرني خليلي الملقّب بِ"كَادُ"، الشّيخُ عبدُ القادر بن الأمين الكُمَيْلِيلي [88]

[87] لعلّه باب بن محمّذ بن حمدي بن الطّالب أجود الحاجي المتوفّى سنة 1898 ، قال عنـه الخليـل النحوي " عالم مدرّس ذو نفوذ نشط في السنغال ... " بلاد شنقيط ... ص 508

[88] ذكره الخليل النحوي " الكمليلي " ت سنة 1364 هـ / 1944 م . انظر كتابه " بلاد شنقيط : المنـارة والرّباط " ص 582. وانظر أيضا المختار ولد أبّاه الشعر والشّعراء في موريتانيا ص 116

وكان إذّاك مريدا للأستاذ َباب َ، أنّ الأستاذ أخبره بأّنه مكّن الشيخ الزائر من السرّ ولم يبّين لي ما هو.

قلت ولعلّه الطّريقة الشاذلّية لأنّ الشيخ كتب لنا أّنــه أخــذه أوّلا بواسطة قبل أن يلقى الواسطة العظمى رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم، ولم يبّين لنا عمّن أخذه.

و سبب إخبار كَاَدُ لي بذا أّني سألته بعد أن أخذ مــن شــيخنا الشّاذلية ثانيا: هل تعلم ممّن أخذ الشيخ الشّاذلية، فقال لا ولكــن أخبرني الأستاذ َباب َ إلخ... فاحتمل عنده لأنّ الأستاذ "باب" كان شادلّيا، و منه أخذت أوّلا، فاحتمل عندي بسبب ذلك ما احتمل عنده.

**حكاية ظريفة**: أخبرني كَاَدُ بأنّ الشّيخ أحمد لمّا وصل يوم زيارتــه للأستاذ في نار يوم صائف، فمذق له الأستاذ لبنا جّيدا بماء بارد وسكّر، وكان هذا في زمن تضييق الشّيخ على نفسه فقال لــه: اشرب، فقال: ما كنت أشرب مثل هذا. فقال: ولِمَ أيضرّك مــن جهة الطبّ أم تركته لله مجاهدا لنفسك ؟ فقال: نعم تركته لله. فقال:اشرب إذن. ولم يزل به حتّى شرب. وبعد ذلــك ســأل أصحاب الأستاذ عن سبب إكراهه للشّيخ على الشرب وما كان

يفعل، فقال: " لأنّه لا يريد إلا مخالفة نفسه وإيلامها في الله حتّى صارت تلك عادته، فلم أر شيئا أشدّ عليه من خرق عادته هذه للّه فعاملتعه با ولكن يبارك الله له فيها فإ"نه يصير بعد أقوى مما كان." أو كلاما نحو هذا.

و بعد هذا بكثير أتى أحمدُ بن الأستاذ َبابَ إلى الشّيخ أحمد في ـِأنجَارِيمْ [89]، وفرح به الشّيخ غاية وشرع يبالغ في إكرامه إطعاما وإسقاء [18]،فلمّا وصل من الأشربة إلى أَتايَ [90] علم كَادُ أن سيكون أمر، لأنّ أحمد لا يشرب أتّاي ولا يقدر أن يمنع الشيخ لهيبته ولحقّ الجماعة. فلمّا همّ الشيخ بمدّ الكأس لأحمد قال له كادُ: "إنّ أحمد ما كان يشرب أَتايَ"، فقال له الشيخ: " يا أحمد ما بالك أيضرّك من جهة الطبّ أم تركته لله مجاهدا لنفسك " ؟ فقال أحمد: "نعم تركته لل". فقال له: " اشرب إذن ". فلمّا شرب أحمد ضحك الشيخ تعجّبا وقال: " هذه بتلك فإنّ والدك فعل بي ما فعلت بك بارك الله لك فيها. "

---

[89] اسم ثان لجْرِيلْ

[90] الشّاي عند سكّان الصّحراء الكبرى وسكّان جنوبا.

و لمّا جال الشيخ في البلاد تلقّاه النّاس من كلّ أرض بالمحبّة والقبول لفوائده الممتعة فيه من علمه الكثير الصحيح وديانته الصّادقة الصالحة. واستغرقت كلّ ذلك فائدته المالية فإنّه لا يمسك درهما ولا دينارا ويبذل للكبير وللصّغير والذّكر والأنثى، والحرّ والعبد والغنيّ والفقير والصّالح والطّالح كلما امتدّت يد إليه ملأها مع الإعراض عن مال النّاس والتمسّك برأس ماله الذي هو الإقبال إلى الله بكلّيته، وكنه همّته.

ثم سار إلى أرض البياضين واستجاز أشياخها وزار أحياءها وأمواتها ونفعهم بأمواله الطائلة فأحبّوه فوق حبّ السّوادين ومدحوه بقصائد وزاروه في وطنه بعد واستفادوا منه. هذا ولمّا كان هذا النبوغ الرائق والارتفاع الفائق بين الأعمام، وأولادهم الشّيوخ والكهول من شاب من أنفسهم أمّا وأبا لا يرضون لأنفسهم أن يخمل ذكرهم ويسقط قدرهم تحرّك منهم ما كان ساكنا وبرز منهم ما كان كامنا لما عاينوا من دواعي الحسد فحسدوه وقالوا فيه وفعلوا.

و كان يصلّي معهم جماعة فألجئوه بكثرة الإيذاء إلى الاعتزال بجماعته ومسجده قبز [19] مسجدُه مساجدهم، و جماعته

جماعتهم فازدادوا حنقا عليه وغيظـا، وانـضمّ إلى ذلـك أنّ الأمراء لمّا كان ما كان من صداقتهم مع والده ومكانتـه عنـدهم طالبوه بمثل ذلك فقال: هيهات أين الثريّا من الثّرى فحنقوا عليـه وقالوا:استقلّنا واستخفّ بوالده إذ قبّح موالاته إيّانا.

و ليس الأمر كما زعموا، نعم قد كان في حياة والده يكتب له ولا يشافهه حياء وإجلالا أن فارق الأمراء فإنّ عِـزّهم الـدّنيوي ذلّ أخروي. فكان الوالد يقول له: صدقت وأحسنت بارك الله فيك ويعتذر إليه بعذر المصالح المتقدّم .

**حكاية طريفة**: قيل لمّا تاب بعض وزراء الأمير" لْتجُورْ" على يـد الشّيخ المترجم له، وكان من كبارهم المعتبرين عند الأمير، و كان من الشّجعان الأغنياء، ظفر بحظّ وافر من غنيمة صَمْبَ سَـادُيو [91] وصَمْبَ سَادِيو قرية شرقي اِنْدِيَمْبُورْ [92] فبينه وبين جُلُفْ وقعت

[91] Samba Sadio مكان قرب Louga وقعت فيه معركة بين لَـتْـجُـورْ وأحْمَـدُ شَيْخُ بَه التيجاني الزاهد سنة 1875 ، وقد تدخّلت فرنسا إلى جانب لتجور.

[92] Ndiambour

الواقعة التي بين أحمدُ شَيخُ بَهْ الفُوتي [93]، وبين الأمـير لْتجُـورْ بإعانة النّصارى، فغلب الشّيخ وقتل فغنم جيش الأمير غنيمة هائلة من الأموال والذّراري وجملتهم من أهل البلد من جُلُفْ وفُوتَ و كَجُورْ وهم مسلمون فاستفتى الأمير في استرقاقهم فأفتاه بعـض الأجلاّء بأنّه يجوز لأنّ الشّيخ المحارب ادّعى النبّوة فأبيح دمـه، و أكل ما غنم منه. فأمضوا ذلك والحال أنّ دعواه النبّوة لم يثبت عند جمهور الثّقات وإنّما أثار الحرب بينهم أشياء يطول ذكرهـا يحكيها أهل الخبرة. فلمّا تاب ذلك الوزير على يدي الشّيخ، أمره الشّيخ بتسريح كلّ ما بيده من أسارى صَـمْبَ سَـاجُ ففعـل منشرحا , فرأى الأمير وأصحابه أمر الشّيخ نقضا لفتوى من أفـتى بالاسترقاق [20] فحنقوا عليه وغـضبوا. وبلغـني أنّ الـوزراء أحضروا ذلك الوزير عند الأمير وقالوا له:

" ما بالك تجلس مع نظرائك على مائدة كرامة فتعرض عنـها ولم تكتف بالإعراض حتى أذريت عليها التّراب". فقال: "نعم أزعجتني

---

[93] Amadou Cheikhou من مجاهدي القرن التّاسع عشر ، سعى إلى تكوين إمارة تحكمها الشّريعة الإسلاميّة. انظر عنه J.Ki-Zerbo Histoire de l’Afrique Noire p.p 258 , 259 ,368 ,375 ,417-419

وغلة ذباب واقتحامه في أنفي، فأفزعتني فانتشأ منه ما رأيـتم لا قصد التكدير عليكم". عبّر بإصابة الإسلام شغاف قلبه بعناية من الله عن اقتحام ذباب في أنفه بغتة. فأنت تعلم ما في ذلـك مـن الانزعاج, فعلموا صدقه وأعذروه وسكتوا عن حاله.

أمّا الشّيخ فشرع الأمير يستقدمه إليه بلطافة يكتب إليه ويرسـل رسولا، كلّ ذلك والشّيخ يمتنع إن كتابا بكتاب أو رسولا بكـلام مشافهة. بلغني أنّه قال للرّسول: "قل للأمير أستحي أن تـراني ملائكة الله تحملني أقدامي إلى ملك غير الله. "

و سمعت من الشيخ آدَمَ صَلْ [94] بفتح الصاد وسكون اللام، و هو من أقدم المريدين للشّيخ وهو جُلِفِي أصلا يحكي أنّ آخر بـراوة كتبها الشيخ مجيبا للأمير في طلباته حملها هو، أعني الـشّيخ آدَمَ إلى الأمير كتب فيها الشّيخ " قال محمّد بن مسلمة رضـي الله تعـالى عنه: العالم على باب السلطان كالذباب على العذرة ". فدفع الأمير الكتاب إلى القاضي مَجَخَتِ وهو المفتي الجليل، فلمّـا قرأهـا أعلن بالاسترجاع: إنّا لله وإنّا له راجعون، قال الأمير: ماذا قال

---

[94] Adama Sall

(*) الزّيادة من د

؟ قال القاضي: لم يعنك إنّما يعنيني أنا. قال الأمير: بالله إلاّ مـا قلت. قال القاضي: العالم على باب السلطان كالـذّباب علـى العذرة. قال الأمير وهو عليّ أشدّ إذ رآك ذبابا ورآني ما تعلم. ولكن أيها القاضي ما ترى في أمره ؟ قال القاضي: أرى [21] أن يترك لأنّ مغالبته غرر فمن غلبه يكون من أعلى الأعـالين، ومـن غلبه هو يكون من أسفل سافلين وما أراه إلاّ غالبا. قال الأمـير: صدقت أيّها القاضي، فلربّما يجد الزارع في بستانه بقعة لا تلـين لحارث ولا تنبت له زرعا. قال القاضي: نعم. قال الأمير: فلنـذره تلك البقعة [في بلدنا هذا ] (*) فانقطع بذلك الطّلـب وانقـشع الكرب والحمد لله.

**حكاية ثانية** أطرف وأغرب وهي متفرّعة من هذه. وذلك أنّ أمر الحكاية الأولى لمّا انقطع بذلك الكتاب وانتفى به العتاب قضى الله أن سافر الأمير وقاضيه ذلك في بعض غيباته ونزل في قرية قـرب مـنزل الشيخ فلمّا سمع الشيخ بأنّ القاضي معه فزع للسّلام علـى القاضي صلة له لأمرين معتبرين أحدهما أنّ القاضي شيخه كمـا تعلم أنّ من علّمك حرفا واحدا فهو مولاك، و الثاني أنّ القاضـي

خليل وحبيب لوالده فوجب عليه لذلك برّه وصلته، وأنّ من أبـرّ البرّ أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه، أو كما قال في الحديث.

فلمّا وافاهما جالسين على فراش سلّم عليهما سلام احترام وجلس على التّراب ولم يطأ على البساط ثمّ لبث قليلا وصرّح للقاضـي إنّما أتيت للسّلام عليك فقط. ولمّا صرّح فطن الأمير إنّه إنّمـا صرّح رفعا للإيهام كي لا يتوهّم من لا يعلم أنّ إتيانه للسّلام على الأمير ومسالمته فهيهات، ثمّ التفت الأمير إلى القاضي وقال ينبغي لنا أن نكلّمه في أمرنا ذاك إذ نقض الفتوى وحاولنا الاجتماع به فلم يحصل والآن قد حصل. قال القاضي: نعم أنا قلـت إنّ الرجـل ادّعى النبوّة وحارب على ذلك، فأبيح دمه وأكل ما غـنم منـه واسترقاق من أسر ممن معه. وسكت فسكت الجماعة زمنا فقال الشيخ للقاضي: هل تكلّمت [22] لأجيبك ؟ قال: نعـم مـا تكلمت إلاّ لتجيبني. قال: قد أذنت لي في الجواب ؟ قال القاضي: نعم قد أذنت لك في الجواب. قال الشيخ: فمن يشهد لك بأنّـه ادّعى النبوّة ؟ قال القاضي: أهل كَجُورْ. قال الشّيخ أهل كَجُورْ أعداؤه وخصماؤه ومحاربوه ,أتقبل شهادتهم فيه ؟ قال القاضي:لا، و لكن أهل صَمْبَ سَاديو الذين وقعت عندهم الواقعـة. قـال

الشيخ: أهل صَمْبَ سَاجُ أتتهم الأحزاب من الـشّرق ومـن الغرب ووقعت الفتنة عندهم وهم لا يـشعرون؛ فمـا يـدريهم بالدّعوى والمدّعي والمدّعى عليه؟ فسكت القاضي وسكتت الجماعة هنيهة ثمّ قال الشيخ [القاضي]* أيّها الولد دللناك على الملك فسبقتنا فيه هنيئا لك ثمّ هنيئا فأذعنا له وسالماه. فانكشف الغبار ثمّ ودّعهما الشيخ وسار.

و لمّا كان كذلك انقطعت به السّبل إلاّ إلى الله تعـالى إذ أتي مـن جهة الفجّار والأبرار فتلا عليهم " وأفوّض أمـري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد، والله يعلم المفسد من المصلح.

هذه قوّة الشيخ وعزمه، أمّا التلامذة فهم أقوى وأعـزم يقـاتلون الناس في كلّ مدخل ومخرج، ترى الـاذيب منهم يطلع واحد منهم على رأس الشجرة فيسقط بأمّ رأسه ولا يؤثر فيه، [وواحد يدخل في النّار ويخرج ولا يحترق، و يتغنّون بالقصائد في أنديـة النّـاس ومدارسهم فيقاتلونم ولا يؤثّر ذلك فـيهم ] *، وقـد ضـربوا وكتفوا، وأخذ منهم أموالهم وأخرجوا من ديارهم، كلّ ذلك في

---

** إضافة من د

*إضافة من ط

سبيل تبديدهم وتشتيت شملهم فكانّ فعل المعاندين زيادة لهـم في الرغبة والإقبال، سرّ إلهي سرى من باطن شيخهم إليهم. فكـان الشيخ يثّبتهم ويقوّي بصائرهم بحمل هممهم إلى همـم أصـحاب رسول الله [23]صلّى الله عليه وسلّم. يقول: من هذا قد لقـي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما هو أشدّ، إذ قتلـوا في سبيل الله وأهريق دماؤهم وسلبوا أموالهم وأخرجوا مـن ديـارهم فلم يصدّهم شيء من ذلك عن مطلبهم حتى فازوا بمدح الله إياهم (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُـونَ فَضْلًا مِنْ اللهِ ورِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللـهَ وَرَسُـولَهُ أُوْلَئِـكَ هُـمْ الصادِقُونَ) [95]. أما علمتم أنّ أولئك آباؤكم في الدّين فعلام هـذا الجزع والموت في حقّكم قليل(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْـوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)[96].فاصبروا وأحسنوا إلى من أساء إليكم،(ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَهُ وَلِي حَمِيمٌ وَمَا يُلَقاهَا إِلا الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقاهَا إِلا ذُو حَظ

---

[95] قرآن سورة الحشر آ ية 8

[96] قرآن سورة الأحزاب آية 21

عَظِيمٍ). [97] فاجعلوا نصب أعينكم (يَوْمَ نَدْعُو كُل أُناسٍ بِإمَامِهِمْ) [98] فإذا لا يسوؤكم رفض من رفضكم. فكانوا يرتوون إذا وردوا فرات مواعظ الشيخ وينشطون ويصيحون ويرقصون.

و في هذه المدّة أكثر الشّيخ المنظومات العلميـة والمديحيـة فـنظم "مَسَالِكَ الجَنَانِ " لا مثل له في التصوّف في نحو الف وخمسمائة وثلاثة وخمسين بيتا و"مَوَاهِبَ القُدّوسِ" وغيرها. وفي هذه المـدّة صدّر كثيرا من كبار أصحابه كالشّيخ إبْرَاهِيمَ فَالْ [99]،و الـشّيخ إبْرَاهِيمَ صَارْ [100]

و الشّيخ عَنتَ اِمْبَكِ [101] والشيخ آدَمَ غَايْ [102] والشيخ الحَـسَنْ نِدِيَاي [103] وأضرابهم. ولمّا ازدادت إذاية الناس له في اِمْبَكِ أبـرارا وفجّارا، هاجر وبنى شرقيّ اِمْبَكِ قصرا [24] سمّاه "دَارُ الـسلَامْ

---

97 قرآن سورة فصّلت آية 34 و35..

98 قرآن سورة الإسراء آية 71

99 Cheikh Ibra Fall من أتباع الشيخ الأوائل ومن أمراء كجور بـايع الـشّيخ الخـديم وكانت بيعه سببا في إقبال النّاس عليه ، وله أتباع من المريدين يسمّون "بَايْ فَالْ" Baye Fall

100 Cheikh Ibra Sarr (1850-1918) من المريدين الأوائل ومن المقرّبين من الشّيخ انظر ترجمته في شخصيات من مدرسة الشّيخ الخديم ص ص 55-60 بقلم سام بوصو عبد الرحمن.

101 Cheikh Anta Mbacké

102 Cheikh Adama guéye

103 Cheikh Alassane Ndiaye

"، ثمّ انتقل إليها في أوائل عام "دسـش" 1304 ﻫ / 1886م في صفر، بنى"دَارُ السلَامْ "، ثمّ انتقل إليها ليبعد عـن النـاس للعلـل المتقدّمة، فلم يزدد هو وأصحابه بذاك إلاّ إذايـة مـن الفـريقين. فمكث نحو سنة والسّيرة مستقيمة ترقى، والأصحاب يزدادون على سيرهم يتعاضدون، والوفود تترادف والأرزاق كالأمطار. ثمّ تقدّم أمام القصر شرقي شماله بنحو خمسة أو ستة أميال فبنى طُوَبى أواخر " هسش" 1305 ﻫ / 1887 م [أو أوائل " وسش " ] * 1306 ﻫ/ 1888 م ثم انتقل بعياله إليها.

أخبرني شيخنا والخليفة الثّاني مُحَمدُ الفَاضِلُ [104] أنّ أخاه مُحَمـد المُصْطَفَى [105] الخليفة الأوّل ولد في دَارالسلَامْ ليلة جمعة حادية عشر في محّرم عام "وسش" 1306 ﻫ / 1886م قبل انتقال الشيخ لأنّ الانتقال قيل في جمادى الثانية. وفي ليلة "كَـزِّ رجـب"الـسابعة والعشرين منه ولد شيخنا محمد الفاضل فكان بينهما ولادة سـتة

---

*) إضافة من ط

[104] Sérigne Falilou Mbacké ( 1886- 1968 ) الخليفة الثّاني للـشّيخ ( 1945 –1968 )

[105] Mouhamadou Moustapha Mbacké ( 1886 - 1945 ) الخليفة الأوّل للشّيخ. (1927 –1945 )

أشهر وسبعة عشر يوما، بارك الله فيهما. وولد بعدهما شيخنا محمد الأمين، شقيق الشّيخ المصطفى إمّا في"حَسَسٍ" 1308 ه / 1888 أو في " طَسَسٍ" 1309 / 1891 م.

ومكث الشّيخ في طُوَبى يغيب ويرجع، و يتقلّب في حواليهـا إلى قصر من قصر كدَارِالمَنانِ ودَارِالرحْمَانِ، ودَارِ القُدوسِ، ولا يعلـم تفاصيل وقائعه فيما بينه وبين ربّه وفي نفسه، وفيما بينـه وبـين أصحابه من أنواع التربية والترقية والإخراج والإدخـال والتعلـيم بالتواليف، وفيما بينه وبين الأبرار من المداخلات والمنازعات لأجل أبنائهم وتلامذتهم الذين يتقلّبون إليه،و فيما بينـه وبـين الأمـراء ووزرائهم من المنازعات غيرة على ملكهم بكلّ طوائفهم في كـلّ النواحي إلاّ الله المحيط بكلّ شيء علما. [25]

و على كلّ حال فالسيرة مـستقيمة، والأصـحاب مـستقيمون يزدادون كلّ وقت وحين. فمن أطلقه منهم ذهب مستقيما، ومن دخل دخل مستقيما إلى أن حصلت الحركة المتّصلة بالغيبة البحرّية .

## فصل في بنائه في "جُلفْ "أوّلا وسببه

أخبرني شيخنا وابن خال شيخنا مُحمد بن محمد بُـص المعـروف بِامْبَكِ بُص [106] أنّ سبب بناء الشيخ في أرض جُلُفْ أنّ النّاس لمـا كثروا في طوَبى، وتزوّج كثيرمن الأصحاب،و انتقل إليها كثير ممن تأهّلوا في القرى بأهاليهم اختلطت أهل تربيته المحضة بغيرهم فاختلّ من نظام الأمر ركن، وهو ما كان يريد من اعتزال المتعلمين قرآنا وعلما جانبا وأخذ أهل الخدمة المحضة جانبا،و شقّ عليه اخـتلاط النّوعين واختلاطهم بغيرهم أشقّ مع ما انضمّ إلى ذلك من الشّوق الشديد إلى حجّ بيت الله الحرام وزيارة نبّيه الكريم صلّى الله عليه وسلّم وشرّف وعظّم حتى صار يبوح به لبعض خواصّه.

أخبرني بعض أصحابنا من البياضين الديمانيين مُحمّد بـن حَمْـدِ الأبهُمِيّ [107] أنّ الشّيخ قال له في ذلك العام في طُوَبى: هل لـك

---

[106] Sérigne Mbacké Bousso ( 1281 هـ / 1864 م – 1365 هـ / 1945 م ) تعلّم على والده خال الشيخ الخديم ، ودرس على الشيخ وعلى غيره من علماء جُلف. له رسائل حقّقها خديم مباكي وصدرت بإسطمبول سنة 1996 بعنوان " من رسائل الشّيخ محّمد البـصوبي المشهور بالحاج امباكي بوسو ". وله أشعار في مدح الشّيخ. انظر عن حياته شخصيات مـن مدرسـة الشّيخ الخديم ص ص 3-11.

[107] لم نعثر له على ترجمة

إلى الحرمين الشريفين من شوق ؟ قلت: أجل والله ثم أجل فمن لي به ؟ قال اذهب إلى أهلك وتّيا ووافني في آخر العام إن شـاء الله نترافق. فذهبت أصلح من شأني وشأن عيالي فإذا أنـا بالحركـة فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

**رجوع إلى الخبر.** قال الشيخُ امْبَكِ بُص : فلمّا حصل له القلق من العرضين العارضين، عرض الاختلاط وعرض الشّوق، نـاداني وفاوضني فيهما وشاورني في إنشاء [26] محلّ يتمكّن فيه مـن تمييز الفريقين من غيرهم، والتمييز بينهم هم أيضا ليـتمكّن أهـل التعلّم من التعلّم، وعيّن لتعليم القرآن الشيخ عَبْدَ الرّحمان لُو [108] و لتعليم العلم أخاه الشيخ إِبْرَ قَاطِ امبك [109] يـذهب معهمـا بحزبيهما إلى المحلّ الجديد دون غيرهم من عيالـه الخـاصّ وذوي

---

[108] Sérigne Ndam Abdourramane LO (1853-1944) معلّم أبناء الشّيخ انظر ترجمته في شخصيات من مدرسة الشّيخ الخديم ص ص 19-24 بقلم سام بوصو عبـد الرحمن.

[109] Mam Thierno Birahim Mbacké ( 1863-1943 ) أخ للـشيخ سـاهم بدور كبير في نشر الطريقة المريدية. تولّى تدريس القرآن في المدارس التي بناها الشيخ، واستقرّ في قريته " دار المعطي " في شمال مدينة طوبى. انظر ترجمته في شخصيات من مدرسة الشّيخ الخـديم ص ص 12-18 بقلم الشّيخ خادم أحمد لوح

العيال من الأصحاب. ثم قال لي: وأنت إذا تبقى في طُوَبى كـبير العائلة يـ ل عليك الزوّار بالهدايا توصل من أوصلت إلينا برأيـك، وتردّ من رددت كلّ ذلك بموافقة منّا ومنهم.

فوافقته وقلت هذا رأي مبارك إن شاء الله. فشرع يتـهيّأ لكـن بخفية من غير الخواصّ. فلمّا قوي عزمه على هذا المقصد وكـان بخفية من والدنا خاله وكان ساكتا في أمري معه يؤثره بي كـأن لم يحتج إليّ، علم الشيخ أن لا بدّ من إعلام الخال بالأمر، فأعمه وشقّ عليه ذلك لما علم من غيرة ملوك جُلُف وقلّـة صـبرهم خـلاف هؤلاء، وأنّ طلبته كذلك لا يسمحون بأولادهم وتلامـذتم و لا يصبرون خلاف طلبة هذه البلدة، وخاف أن يؤتى الشّيخ من كلّ ناحية من كلا فريقيها. ثمّ ناه بملاطفة ونبّهه على دقائق عوائـد البلدان من طول ما عهد وعلم أنّ مراده لا يوافق عوائدهم. ولكنّ الشيخ مصمّم نافذ العزيمة ككبار الصوفيّة لأنّ نفوذ العزيمـة مـن أصول طرقهم,فحلّ العزيمة عندهم ضرب من الارتداد فالموت أهون منه عليهم.

و حاصل الأمر أنّ الشيخ ارتحل بخدّامه وذلـك في شـوّال عـام "بيسش" 1312 ه / 1895 إلى أرض جُلُفْ إذ لم ير في بَـوَلْ

محلاّ يليق بذلك حينئذ. وحيث أنّه يذهب إلى جُلُفْ يـذهب إلى محلّ أجداده أوّلا فيه،إذ المحالّ دونه لا مـاء فيـه [27] بقـرب طُوبَى،أو يحتاج إلى مقاومة أهاليها ومداراتم وليست من شـأنه. فسار بم حتى [نزل في]*(*) اَمْبَكِ يَار [110] من محلاّتم وشرع في البناء وكلّم بعض وزرائهم، وظهر في أوائل محاورتم خـشونات أدّت إلى قول الوزراء: ما عهدنا في طلبتنا أن يتسلطنوا علينا، مـا هؤلاء النّاس إلاّ ملوك يأتوننا لينازعونا أرضنا فطالما سمعنا أخبارهم ممن ورائهم والله لا يرون منّا خيرا، والله لا يساكنوننا في أرضـنا على حالتهم هذه ونحو ذلك ممّا كان الشيخ [الخال علم وعهـد ] *(*)،و لكن الله إذا أراد أمرا هيّأ له أسبابا. قالوا إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود. هذا، ومن منن الله على الشيخ أن سلك به مسلك أوليائه (سُنةَ اللهِ الِتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَـنْ تَجِدَ لِسُنِةِ اللهِ تَبْدِيلًا)[111] ما تجرّد رجل قطّ لله، إلاّ ابتلي بأضداد يؤذونه غيرة من الله لئلاّ يركن أو يسكن إلى غيره، يتجلّـى لهـم

*(*) زيادة من د

[110] Mbacké Bari قرية في منطقة " جلف "

*(*) زيادة من د

[111] قرآن الفتح آية 23

بالجلال والجمال. فبالتجلّي الجمالي ينقاد لهم النّـاس يتـساقطون عليهم كالأذّبة على النّتون بتسخير الله إياهم له ميازيـب رحمتـه يسعد بم من سعد, وبالتجلّي الجلالي يزوي عنهم قلـوب قـوم فيكونون لهم أضدادا لا يرون لهم حرمة ولا يرونم على الصواب، يعيبونم في أنفسهم وأصحابم وأحوالهم مع الحفظ العنايي غالبا،إلاّ من أراد به أمرا ما يعلمه تعالى فينال منه أضداده مرادهم الـسيئ ظاهرا سبيلا لانتقامه (إِنا مِنْ الْمُجرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)،[112] نـسأل الله العافية.

هذا أمر الشيخ وأصحابه في أوائل جُلُفْ. وأمّا أمر من وراءه، فقد قال [28] الشّيخ امْبكِ بُص: أمّا التلامذة الذين في البلد فـإنّهم لمّا سمعوا بذهاب الشّيخ إلى جُلُفْ،

و سكناه ثمّة اخترق أهل كلّ ناحية منهم طريقا أقرب لهـم إليـه وتبعهم المسترفدون الذين لا حاجة لهم إلاّ لذاته فهجروا "طـوبى" إلاّ من له بما علاقة من ساكن أو مارّ، فبطل رأى نزول الـزوّار. كيف لا والأمر ليس على منهاج الرأي. وأمّا وزراء البلاد، فمـن كانوا عاينوا، فقد ازداد ما رأوا ومن لم يكونـوا رأوا فقـد رأوا

[112] قرآن السّجدة آية 22

الآن. فانضمّ إلى ذلك ما سمعوا من أمرهم مع أمراء "جلف" فأوتينا من فوق ومن أسفل. فلمّا عاين الأمراء ووزرائهم مـا عـاينوا،و كانوا أهل سلاح بها يتعيّشون لا غير، يصولون على من عاندهم أو نقموا منه شيئا وينهبون أموالهم بقتل وأسر، سنّة لهم قديمة توارثوها كابرا عن كابر، ومع ذلك لهم بعض مسالمة مع بعض ذوي البيوت الكبار لا يتعرّضون لهم بسوء، و لا لمن احتمى بهم كبيت المترجم له , تحيّروا في أمره، ولأمر آخر هو أشدّ لهم تحيّرا ألا وهو هيبـة الدّولة الفخيمة وصولتها. وذلـك لأنّ مـن عـادة النّـصارى الفرنساويين أنّهم كانوا كلّما تغلّبوا على أرض قدّموا على أهلـها رؤساء من أنفسهم رأفة بهم وتأنيسا فما أدراهم بأمور السّياسة.

و كان هؤلاء الأمراء والوزراء الـذين وجـدوا الأرض بأيـديهم قدّموهم على الزّوايا أي الطّلبة جريا معهم على غالـب عـادتهم، فصاروا تحت أحكامهم خدمة لهم يقفون عند أمرهم ونهيهم بعد أن كانوا يتصرفون في أنفسهم وفي غيرهم كما شاءوا بلا منع مـانع، سبحان الفاعل لما يشاء بلا منازع. فلمّا لم يكن لهؤلاء الـوزراء [29] الرجوع إلى عادتهم الأولى القبيحة مع المسلمين من نـهب

أموالهم ولو أدّى ذلك إلى قتل بعضهم بحيلوا ـة النـ ـصارى،شرعوا يسلّطونم عليهم بما أمكنهم من المكر والمكيدة.

و قال أيضا (تنبيه دقيق): ولم يكن قصد هؤلاء الوزراء بتـ ـسليط الدولة على المسلمين أن يستأصلوهم مرّة لأنهم لم يزالـ ـوا تحـ ـت رعيتهم ولو على وجه أنقص, وإنّما قصدهم أن يجدوا سـ ـبيلا إلى أخذ أموالهم. وربّما قالوا لهم أنّ فلانا يبغضكم وفلانا يمتنع مـ ـن أداء مغرمكم وفلانا يُترقب فتنة من جهته، وفلانا يتسلّح أو يركب الخيول أو يصغي النّاس إلى كلامه، أو كثير الطلبة والأتبـ ـاع, أو تلامذته يعظمونه غاية التعظيم بحيث لو أشار إلى بحر لخاضـ ـوه أو كذا وكذا مما يخبطونه من أباطيلهم [خبط عشواء ][*](*) رجاء أن يقولوا لهم أغيروا عليهم أو افعلوا بم ما بدا لكم،مـ ـع أنّ مهـ ـارة نصارى الفرنسيس في شأن السياسة أجلّ من ذلك إلاّ أنّ الكـ ـلام إذا كثر ممّن يزعم أنّه عين لك وبطانة تنظر لك ما وراءك فلابدّ أن يؤثّر ولو يوما، وخصوصا إذا كان المنقـ ـول عنـ ـه لا تمارسـ ـه ولا تجالسه

---

[*](* ) زيادة من د

ولا يبرئ عندك نفسه، وإنّما بينك وبينه وسائط السوء وخصوصا أيضا إذا شبّه حاله بحال رجال من أمثاله، لهم تلامذة وقع منهم نحو ممّا خيف منه كما شبّهوه بحال الشّيخ عُمَرْ الفُوتي [113] رجل من التّكارير وقعت له حروب مع أهل ناحيته في حدود السّبعين.

و بعد ذلك بقريب، وقعت في ناحية سَالُمْ حروب لرجـل مـن الوُلُفِيين يقال له "مَالِكْ بَهْ" [114] واشتهر "بِمَبَهْ " في حدود الثّمانين. وبعد ذلك بقريب [30 ] وقع لرجل من التّكارير يقال له أَحْمَدُ شَيْخُ بَهْ [115] مع أهل جُلُفْ وكَجُورْحتّى انتهى إلى أمره يوم صَمْبَ سادُيو بناحية لُغَهْ [116] في حدود التّسعين وبأمثال هذه أمـالوا آذان أهل الدّولة إلى الإصغاء لهم في حال هذا المترجم له حتى لم يكن لهم بدّ من النظر فيما بلّغوا عنه. هذا بعد قضاء الله المبرم، هو الـسبب

---

[113] El-Hadji Omar Tall ( 1797 - 1864) شيخ تيجانيّ الطّريقة ومن المجاهدين الذين أسّسوا دولة في منطقة تمتدّ من شمال غينيا جنوبا إلى حدود موريطانيا في الشّمال ومن نهر السنغال غربا إلى نهر النيجـر شـرقا. انظـر عنـه : Sékéné –Mody Cissoko Histoire de l'Afrique Occidentale p.p 310-319

[114] Ma Ba من المجاهدين الذين سعوا إلى تأسيس دولة إسلاميّة في منطقة سَالُمْ ( Saloum.) انظر عنه : J.Ki-Zerbo Histoire de l'Afrique Noire p.p 416 ,417,419

[115] سبق التّعريف به

[116] Louga

الأقوى الذي حمل النصارى على التعرّض لهذا السّيد الذي لا يتكدّرمن أجله راع،و لا يهرّ ضاري أسد في غابه,و ما بينه وبين كلّ طالب الدنيا إلاّ ما بين مشرق ومغرب والله على ما نقول وكيل.

و لو لا هذا لما كان بحسبان أن تلتفت إليه أرباب الدول الصغار فكيف بالكبار. لكن ذلك من مصداق قوله صلى الله عليه وسلّم: إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثمّ الأمثال، لأنّ القاعدة المستمرّة في هذه الأمّة كلّ من كان أكثر إيمانا كانت الدنيا أكثر انزواء عنه والأنكاد أكثر عنده ممن دونه. ففي صحيح مسلم وغيره " الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر".[117] وقال الله تعالى (والْآخِرَةُ عِنْدَ رَبكَ لِلْمُتقِينَ) [118].

فلمّا لم يكن للدولة بدّ من النظر في أمر الشّيخ أخذوا يرسلون إليه يستقدمونه إليهم رسولا بكتاب ثمّ رسولا بكتاب مرّتين أو مرّات

[117] موسوعة الحديث الشريف صحيح مسلم رقم 5256

[118] قرآن الزّخرف آية 35

وهو يترّبص أمرا [ما من رّبه و]*(*) من مخدومه صـلّى الله عليـه وسلّم.

فظّنوا بطأه امتناعا، ووجد المشاغبون سبيلا إلى الزّيادة في تشغيبهم فقالوا: قلنا لكم وقد عاينتم هل صدقنا أم لا،إلى أن آل الأمر أن أرسلوا رسولا بزمرة قليلة بالنسبة إلى ما عندهم إذ الأمر لم يبلـغ ذلك عندهم جيشا عرمرما بالنسبة إلينا , يأتون به. [31] هذا ما كان من أمر الدولة، انتهى كلامه مع بعض تصرّف.

* (*) زيادة من د

## فصل في غيبته البحرية المباركة

وأمّا ما كان من أمر الشيخ رضي الله عنه فإنه لمّا أتـاه الإذن من ربّه ومن مخدومه، وودّع مخدومه صلّى الله عليه وسلّم، وضرب عليه سورحفظ لا يصل إليه فيه شيئ من الضرر كما قال وكتب : [رجز]

وجَعَلَ المخْتَارُ صَلى اللهُ
عَلَيْهِ في الآلِ ومَنْ وَالاهُ
لَهُ حِجَابًا مَانِعًا مِنَ الضرَرْ
ثُمَ لَهُ قَالَ امْشِ لَا تَخْشَ الغَرَرْ

خرج من داره التي بناها في جُلُفْ للتعلّم والتّعليم يوم السّبت ثامن عشر صفر عام "جيـسش" 1313 ه/ 1895م. وفي جمـادى الثانية أو شعبان من هذا العام ولد الشيخ مُحَمّد البَـشِيرُ للـشيخ المترجم له. وصادف خروجه خروج القائد بجيشه من نحو لُغَـهْ، فالتقيا في جِيولْ[119] عشية ذلك اليوم.

---

119 Diéwal قرية في ناحية Louga

**كرامة،** ذكر لي الشّيخ اْمْبنغ انْدِيَايْ [120] المعروف بـ امبنغ ڤُـج، وهو ممّن سار مع الشيخ يومئذ قال: لمّا وصلنا إلى جِيوَلْ فقدنا ماء لقلّة الماء في البلدة وميضاة الشيخ ليس فيها شيء. فبينما نحـن متحيّرون إذا بشخص حامل قربة ممتلئة ماء فخاطبناه فلم يتفـاهم معنا،و مددنا له آلة فملأها لنا فشربنا وتوضّأ الـشيخ وكـان لا يتيمّم، فمضى الشخص ولم نعرف له خبرا ولا لغة، وكانت كرامة عجيبة للشيخ.

و ذكر الشيخ أنّهم لمّا صلّوا العصر أتاني النصراني قائد الجيش يريد مكالمتي فحوّلت وجهي [32] عنه إلى الله، وقرأت البسملة خمسين مرّة فلانت شدّته وانطفأت جمرته، فخرج مسرعا إلى حاجته وبتنا ثمّ مع الوزير السوداني وفي هذا يقول الشّيخ: [رجز]

وَبعدَ مَا لَاقُوا الذِينَ خَرَجُوا
لِدَارِهِ وفي الصدُورِ حَـرَجُ
سَارُوا مَعًا نَحْوَ الوَزِيرِ مُسْرِعِينْ
وَعِنْدَ وَقْتِ العَصْرِ صَلوا خَاشِعِينْ
وَبَعْدَهَا لَاقَاهُ ذَلِكَ الوَزِيرْ

---

[120] Mbangue Ndiaye

وحَوْلَهُ الجَيْشُ وفِيهِمْ منْ يَزُورْ

وَجهَ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ الكَرِيمْ

دُونَ الوَزِيرِ لِيَنالَ ما يَـ ـرُومْ

مُبَسْمِلًا خَمْسِينَ ذَا تَضَرعِ

لِمَنْ مَتَى يَكْبِتْ عَدُوا يُصْرَعِ

وخَرَجَ الوَزِيرُ مُسْرِعًا إِلَى

حَاجَتِهِ وَبَاتَ ثَـ ـم ذَا إِلَى

قوله"و فيهم من يزور" قال الشّيخ هو مريده عُمَرْ نيان[121] شـيخ ِانْكْنجُرَنيَان[122] قرية بجانب لغهْ وعمر هذا له م لة عند الـشيخ عظيمة وشهد له الشيخ يوم وفاته بخير كثير ووعده بخير يغبطه فيه غيره لحسن ظّنه وحسن قوله في الـشّيخ،و هـو في جرْبـل"[123] مدفون. قال الشيخ خرج عمر يريد زيارتي وصـادف خـروج الجيش وكان أهل الجيش يعرفونه ويعتبرونه فاغتبطوا بخروجه معهم وعدّوه من كبارهم والله يعلم ما هنالك.

---

[121] Omar Niane

[122] Ngounjdoura Niane قرية في منطقة Louga

[123] Djourbel مدينة في منطقة Baol وهي العاصمة الثانية للمريدين مع طوبى وقد كانت مقرّ إقامة جبرية للشيخ بعد عودته من المنفى أو الغيبة البحرية. .

و ذكر الشّيخ أنّ " النّصراني قائد الجيش كان هو حاكم لُغهْ إذّاك، وكان مصاهرا لأمير ـِأندَرْ[124] و لذلك استمعوا له فيّ وكان هـو الذي تولّى [33] كِبره لا يقول فيّ خيرا ولا يفعله ولا يوافق مـن أراده لي, صمّم على تغريبي فدافعوه فأبى إلاّ ذلك ووافق عزمه قدر الله وقضاءه. قال ولذلك مكثي طال في "أندَرْ" وهم ينظـرون في أمري". وأورد لهذا آية

(وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُـوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[125].قال: بين من يريد إثباتي في ـِأندَرْ فُيدفعِ بـ "إذن يأتيه النّاسُ في الجزيرة من كلّ ناحية، ويعطّلون مساكنهم قبلُ"،[وبين من يشير إلى قتلي فيدفعِ بـ " لا سبيل إليه "][*](*) وبين من يشير إلى تغريبي, فاتفق رأيهـم علـى ذلك. وفيه يقول:

[رجز ] وَأَدْخَلَ الإله ـِفي قُلُوبِ مَنْ
تَسَبَّبُوا ِفي نَقْلِهِ ذَاكَ الزمَنْ

---

[124] الاسم الأصلي لمدينة Saint-Louis العاصمة الأولى للسينغال قبل دكار.

[125] قرآن الأنفال آية 30

[*] (*) زيادة من د

إِخْرَاجَهُ إِلَى البِلَادِ النائِيَهْ
وَنَالَ فِيهَا فَوْقَ سَمْعِ السارِيَهْ

صدق الله العظيم في قوله " واللّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ "، قد أثابني بـدل ثلاثتهم بثلاثة، أيّ ثلاثة وذلك لأني وقت غيبتي بلغت ما لم تبلـغ الأشياخ من مراتب الشّيوخة، إيمانا وإسلاما وإحسانا إصـطلاحا، ولكن بقي عليّ ما يقلقني ويسهرني وفقده أشدّ علي مـن وقـع السّنان وتقطيع البنان، ألا وهو كمال الإيمان الذي هو المعرفة بالله حقّ معرفته وكمال الإسلام الذي هو اليقين وكمـال الإحـسان الذي هو الوصول إلى الله تعالى. ومـا نالـت هـذه الثلاثـة إلاّ بمخالطتهم التي هي سبب في سلب الإيمان كانت والعيـاذ بـالله تعالى.

**حكاية عجيبة** سمعتها من الشيخ [34] في أمر الحاكم الذي تولّى كبره، أي تحمّل معظم أمر الغيبة ولجّ في حصولها. قال رضي الله تعالى عنه " مصير ذلك الحاكم لأني كنت في الغيبة إذ سمعـت أنّ ذلك الحاكم سخطوا عليه، ونظروا في أمره فآل النظر إلى تغريبـه، فأشار واحد منهم لهم إنّكم إن كنتم فاعلين فـألحقوه بالـشّيخ الذي غرّبه هو. فوافقوه على ذلك نكاية من الله، فلم أشعر حـتى

قيل لي إنّ الحاكم في الجزيرة. فمكث مدّة في الجزيرة يختفي منّـي خوفا وحياء ولكن يقول للحاكم إياك والتعرّض لهذا الـشيخ بمـا يسوؤه،إنّه لم يقع لي ما وقع إلاّ به, ولا يكن بينك وبينـه إلاّ أن تدفع له ما التزم له في كلّ شهر. فكان سبب انقـلاب حـاكم الجزيرة كالثلج، واستحالة صعوبة الغيبة سهلا.

فلمّا برّد الله به ما كان حاميا ردّ ثانية إلى حيث جاء وشرّق به إلى جهة كيْ [126] فهنالك سحره بعض سحرة َبمْبَرَ [127] فمرض عند بيت بمَبرية فمات مذموما مطرودا. فانظر كيـف كـان عاقبـة الظّالمين.

فأشبه حال عدوه حال عدو مخدومه صلّى الله عليه "عـامر بـن الطّفيل"الذي قال حين اشتدّ مرضه في بيت امرأة سلولّية: " أغدّة كغدّة البعير وموتا ببيت سلولّية ؟".

---

[126] Kayes مدينة في مالي على نر السنغال

[127] Bambara قبائل تسكن مالي على الحدود الغربّية مع السنغال

وفي هذا الحاكم الظّالم يقول الشيخ في قصيدة مرّتبة من حـروف (مَثَلُ الْجَنةِ الِتي وُعِدَ الْمُتقُونَ) إلى قوله (تِلْـكَ عُقْبَـى الـذِينَ اتقَوا)[128]. [رجز]

ظُلْمِي امحَى بِنَصْرِ قَاهِرٍ كَسَرْ
سِلَاحَ مَنْ كَانَ يُبَاهِي فَانْكَسَرْ
لَهُ شُكُورِي وأَمَاتَ مَنْ مَكَرْ
في "جَيسْشٍ" وَمَوْتُه زَادَ الفِكَرْ
[35] لَيسَ لَهُ سِوَى نَكَالٍ وقَتَرْ
بَعْدَ اجْتِهَادِهِ وعَاقَهُ القَـتَرْ
هَولُهُ انْتِقَامُ رَبِّيَ وقَرّْ
في البَرّ والبَحْرِ وخَانَتْهُ النفَـرْ

و الوزير السودانيّ معروف الإسم والقبيلة ولكن لا أنجس قلمـي بذكره كأخيه المتنصّر المستهتر صاحب " اكْرَمْبَـصَا"[129] وكـلّ موضع لقي فيه الشيخَ الله حسيبهما.

---

[128] قرآن الرعد آية 35
[129] Krambassa مدينة في غينيا

و رأيت ما كتب الشيخ في كلّ منهما وأخبرني غير واحـد ممّـن يعرف عاقبتهما بأنّ كلّ واحد منهما مات ميتة سوء، أحدهما وهو البريّ في دَكَارْ[130] والبحريّ في كُنَاكِرِ[131] أعاذنـا الله وأعـاذ المسلمين مما ابتليا به أمين.

**<u>رجوع إلى أمر الغيبة</u>**: وقال رضي الله تعالى عنه: وغالب ذكـري في ذلك اليوم (إِن وَلِيي اللهُ الذِي نَـزلَ الْكِتَـابَ وَهُـوَ يَتَـوَلى الصالِحِينَ)[132] وذلك معنى قوله: [رجز]

أيسَ منّي اللهُ عند حِيوَل
إِبليسَ إِذْ نَادَيْتُهُ يَا وَلي

وبات الشيخ هنالك، وبعد صلاة الـصّبح ارتحـل إلى" كُـك "[133]وكان مقيلهم ثمّ، ومن ذلك المقيل شرع في نظم " أسماء أهل بدر" قال: [رجز]

---

[130] Dakar عاصمة السنغال
[131] Conacry عاصمة غينيا
[132] قرآن الأعراف آية 196
[133] kokki سبق التعريف بها

وَبَعْدَمَا قَالُوا مَقِيلًا دَخَلَا

في نَظْمِ مَا بِهِ أُنِيلَ مَدْخَلَا

هذا اليوم يوم الأحد,ثمّ ارتحل بعد صلاة العشاء بزمن قليل. قال لي بعض من سار مع الشيخ: عند طلوع القمر ليلـة الاثـنين ليلـة العشرين من "كُكّ" ونحن نمشي والمطر يرشّ علينا رشّا ضـعيفا، قال الشّيخ [36] رضي الله تعالى عنه: سريت تلك الليلة علـى مهر لي أشهب يسمّى "عَوْنَ اللهِ" سابق لا يلحقه أفراس وكلاء الأمير، وهم يجهدون أنفسهم ربّما يقول لي واحد منهم: يا شـيخ مهلا ارفق بنفسك وبنا فأقول لهم: ايتوا، ما بال مرؤوس أرسل له يتمهّل فيفحمون. وفي هذه يقول نظما: [رجز]

وارْتَحَلُوا مِنْ المَقِيلِ سَائِرِينَ

بَعْدَ العَشَاءِ مَعَ ضِيقٍ صَابِرِينَ

ووَصَلُوا قَبْلَ صَلَاةِ الفَجْرِ

وَبَاتَ يَسْرِي مُنْشِدًا ذَا زَجْرِ

و المنشود بيتا البوصيري: [بسيط]

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ

إن تَلْقَهُ الأُسدُ في آجَامِهَا تَجِمِ
كَأَنهُ وهْوَ فَرْدٌ في جَلاَلَتِهِ
في عَسْكَرٍ حِين تَلْقَاهُ وفي حَشَمِ

يعني ويزجر المهر على سبقه. ثمّ وصلنا إلى لُغَهْ قبل الفجر وكـان مقيلنا ثَم.

**حكاية.** قيل إنّ الشيخ لمّا دنا من لُغَهْ خاطبه بعض وكلاء النّصارى الذين معه على وجه الشفقة: أيّها الشيخ تسلّح فقـد قـارب العدو. وقال له الشيخ بصوت قويّ:الله لا يعجز ولا يتخلّـف. فلما وصلوا واطمأنّوا رجع ذلك الوكيل فقال: أيها الشيخ أنا قلت على وجه الشّفقة تسلّح فقد قربنا من العـدوّ فقلـت لي الله لا يتخلّف فما فهمت هذا بالنّسبة إلى قولي. فقال له الشيخ: نعـم معناه أنّ الله تبارك وتعالى لا يغيب عنه شيء ما الذوات وغيرهما ممّا تضمّنت فهو إذن حاضر معنا فإن دفع عنّي بقدرته فلا أحد يقدر, فإن خلّى بينهم وبين مرادهم فلا أحد يدفع (وَإِنْ يَمْسَسْكَ[37] اللهُ بِضُر فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلـا هُـوَ وَإِنْ يُـرِدْكَ بِخَيْـرٍ فَلَـا رَاد

لِفَضْلِه)[134]صدق الله العظيم وبلّغ مولانا رسوله الكريم. فانـصرف الوكيل منشرحا. قلت لأنّ الشيخ بيّن له حاله ووراثته فنبينا صلى الله عليه وسلم قال:"التوكّل حالي والاكتساب سنّتي، فمن ضعف عن حالي فلا يضعف عن سنّتي" [135]. فالشّيخ ورث مـن حالـه صلى الله عليه وسلّم وسنّته حظّا وافرا، ومن حال إبراهيم حـين ألقي في النار فطلب منه الملائكة أن يستعين بهم فردّهم، وقال لـه جبريل عليه السلام: سله، فقال: علمه بحالي يغني عن سـؤالي. فالشّيخ محمديّ الخلق إبراهيمي الهمّة، يعمل بحال النبي صـلى الله عليه وسلّم وسنّته.

فقد عاينت عمله بحاله فهاك عمله بسنّته. ومنه أنّه أخرج لنا قصيدة مؤسّسة من حروف (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[136]، وقال: بهذه القصيدة تحصّنت عشية يوم الجمعة حين عزمتُ على المسير يـوم السّبت معهم بعد أن حصّنني رسول الله صلى الله عليه وسـلّم، و أذن لي في المسير وقال "اِمْشِ لا تَخْشَ الضَرَرْ" فهاكها برمتـها

---

[134] قرآن يونس 107

[135] لم نعثر على هذا الحديث في كتب الحديث.

[136] قرآن سورة آل عمران آية 173

تبركا، وليغتنمها مسلم يحب التحصّن ممّا يسوؤه. ولتعلم بمطلعها أنّه مكاشف له بعصمته منهم، ولا تنس قول بعـضهم إنّ سـاعة الجمعة هي بعد العصر إلى غروب الشّمس ونصّ القصيدة:

[رجز]

حَمِدْتُ مَنْ يَعْصِمُني مِنَ الضرَرْ
مِنْ كل شَيْطَانٍ وجِنٍّ وَبَشَرْ
سُبْحَانَهُ رَبًّا حَفِيظًا أَحْتَمِي
بِحِفْظِهِ مِنْ البَلَا والنِّقَــمِ
به أَعُوذُ مِنْ هَوَايَ واللعِينْ
ومِنْ جَمِيعِ المُوذِيَاتِ كُل حِيْن
[38] نَوَيْتُ أَنْ أَدْعُوَهُ مسْتَشْفِعَا
بِجَاهِ حِبِّهِ شَفِيعِ الشفَعَـآ
أَحْمَدَ سَيِّدِ الوَرَى مُصَلِّيَا
عَلَيهِ ذَا تَوَسلٍ لِرَبِيــ ـــا
أَسْأَلُ رَبي بِجَاهِهِ النجَاةْ
مِنَ الرزَايَا وَتَنَازُعِ البُغَاةْ
لَكَ الوَرَى يَا رَب هَبْ لِي عِصْمَةْ

مِنْهُمْ ومِنْ كُلِّ بَلَا ونِقْمَهْ

لكَ جَعَلْتُ يا حَفِيظُ نَفْسِي
وَدِيعَةً فَأَنتَ دَأْبًا أُنسِـ ـي

هَبْ لِي مَا أُحِب في الدارَيْن
وَفِيهِمَا اعْصِمْنِي مِنَ العَارَيْنِ

وَجهْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ رَبِّي
معَ وَسِيلَتي وذَاكَ حَسْـ ـبِي

نَجِّ جَنَابِي مِنْ جَمِيعِ مَا يَسُو
وَ عنِي اكْفِ كُل مَا يُوَسْوِسُ

عَني اصْرِفِ الأَعْدَاءَ طُرا بِالنبي
وَأَهْلِ بَدْرِالكِرَامِ النجُـ ـبِ

مُن عَلَي بِالدخُولِ سَاكِنا
في حِصْنِكِ الحصِينِ مِنْهُمْ آمِنَا

أَنتَ الذِي تَعْصِمُ مَنْ بِكَ اعْتَصَمْ
مِنْ كُلِّ مَا يُؤْمُهُ مِنَ النِّقَمْ

لَكَ أُمورِي أَبَدًا أُفَوِّضُ
وَ كُلُّ مَنْ لَكَ الْتجَا لَا يُرْفَضُ

وقيتني يا رب كُفرًا فَقِني
ضَرَرَ أهْلِهِ وكُل فِتـ ـ ـ ـن
كُف أكُف المُشْرِكينَ عَنّي
بِأهْل بَدْرٍ واجْعَلْنهُمْ حِصْنِي
يَا رب كُنْ لِيَ ولا تُخْجِلْني
دُنْيا وأُخرَى وتَجَاوَزْ عَني
لِلْمُصْطَفَى اكْتُبِ الصلَاةَ وَالسلَامْ
بِآ لِهِ وصَحْبِهِ عَلَى الدوَامْ

(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتبَعُوا رِضْـوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)[137]

ثمّ قال (الْحَمْدُ لِلهِ الذِي هَدَانَا [39] لِهَذَا وَمَا كُنا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَـا أَنْ هدَانَا اللهُ [138] و (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلهِ رَب الْعَـالَمِينَ) [139]

---

[137] قرآن سورة آل عمران آية 174
[138] قرآن الأعراف 143
[139] قرآن سورة يونس 10

انظر إلى تحصّنه بذه الكلمة التي مدحها الله ومدح قوما تحصّنوا با، فقال (الذِينَ قَالَ لَهُمْ الناسُ إن الناسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْـشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ) [140] إلخ.

و انضمّ إلى ذلك قوله " ولمّا توجّه إليّ النصراني قائد الجيش حـين التقينا في جِيوَلْ يريد أن يكلّمني حوّلت عنه وجهي، و توجهت إلى الله متضرّعا متحصّنا فقرأت " باسم الله الرّحمان الرّحيم " خمسين مرّة فلانت شدّته وانكسرت شوكته وانطفأت جمرته.

و بلغني وصحّ، أنّ أخاه الشّيخ إِبْرَاهِيمَ، [141] من يوم غاب الشيخ إلى يوم رجوعه لم يترك لا صباحا ولا مساء ألفا من الصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصيغة " اللهم صلّ على سيّدنا محمـد صلاة تنجينا با من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا با جميـع الحاجات، وتطهّرنا با من جميع السّيئات، وترفعنا با عندك أعلـى الدّرجات، وتبلغنا با أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحيـاة وبعد الممات"،بعد ختم المصحف. أما المصحف فكـان قائمـا

---

140 قرآن سورة آل عمران 173

141 Mame Thierno Ibra Fati أخ للشيخ ونائبه أثناء غيبته ومن أتباعه. أسّس قرية "دار المُعطي " في ناحـية Louga وبا أحفاده إلى اليوم.

بحضور الشيخ صباحا ومساء،و أمّا الصّلاة فما كانت دائمة. فيمكن أن يكون الإدمان بأمر الشيخ أو بأمر هذا الخليفة الصالح النّاصح، حرصا على سلامة الشّيخ ورجوعه. وعيّن لها أهلا لا يغفلون عنها لا صباحا ولا مساء يرأسهم الشاب التقيّ الكُكّي صَمْبَ جُوبْ [142] المعروف [40] بصَمْبَ عَشْتَ، فقد صلح أمره وطال عمره وقد توفّي في عام وافر السّتر رحمة الله تعالى عليه.

و منه نظمه لأهل بدر وتحصّنه بم أيام مكثه في أنْدَرْ، وأتمّه وبيّضه وذكر سفره معهم إلى غيبته، وأنّهم يخزون من أراده بسوء وأطلع عليه كبراء الجزيرة الحاج مُحمّد أنْدِيَايْ مَابيي" [143] وأوصاه بحفظ البيت الأوّل حتّى يلتقيا بعد ففعل.

والتقيا بعد سبعة أعوام وأشهر، فحكى ذلك الصّالح البيت وبكى كثيرا رحمة الله عليه، وغير ذلك ممّا لم يظهر لنا من تحصّناته. وسمعته يوما يقول إنّه لم يترك يوما في البحر قراءة حزب البحر للإمام الشّاذلي وهو حزب رفيع كفاك اعتناء الشّيخ به. والبيت المأمور بحفظه مطلع قصيدة عجيبة أظهر الشيخ في أوّلها إلى خمسة

---

142 Samba Diop وكان يشرف على ختم القرآن في بيت الشّيخ صباح مساء.

143 EL Hadji Mohamed Ndiaye Mabhéye

عشر بيتا بعض أسرار غيبته مع أعدائه وأنّه آمن من ضررهم، وإنّما غرّهم إبليس فيّ وظنّوا ظنونا وخابت ظنونهم حتى رجع سالما

و هو: [طويل]

أَسِيُر مَعَ الأَبْرَارِ حِينَ أَسِيرُ
وَ ظَن العِدَى أني هُنَاكَ أَسِيرُ

مَسِيرِي مَعَ الأَخْيَارِ لِلهِ بِالنِي
وَ مَا لي لِغَيْرِ اللهِ عوْضُ مَسِيرُ

يَسِيرُ بِيَ الجَذْبُ الذِي قَادَنِي إِلى
كَرِيمٍ عَلَيْهِ ما أَرُومُ يَسِيرُ

شَكُورِي بِأَقْلَامِي وقَلْبِي وجُثتي
لِمنْ كَانَ لي بالجُودِ وَهْوَ شَكُورُ

نُصُورِي وَتَأْيِيدِي وَحِفْظِي لَدَى العِدَى
مِنَ الوَاسِعِ الوَهابِ فَهْوَ نَصِيرُ

أَسِيُر لَدَى سَيْرِي ومُكْثِي وسِيلتي
خَدِيمًا لَهُ وهْوَ الخَدِيمَ بَصِيرُ

أُجُورِي عَلَى الوَهابِ جَل تَكَرما
عَلَى خِدْمَةِ المُخْتَارِ وهوَ أَجِيرُ

[41] نذوري كوني عَبْدَ ذِي العرْشِ وَحدهُ
خَدِيمًا لِخَيْرِ الخَلْقِ وهْوَ نَـذِيـرُ
يُجِيرُني الكَافِي بِهِ مِنْ أذَى العِدَى
وَ مِنْ كُل سُوءٍ وهْوَ جَل مُجِيرُ
مَصِيري كَوْني عَبْدَهُ خَادِمَ النبي
وَ أمْرُ البَرَايَـ ـا للإله يَـصِيرُ
شُهُوري وأيامِي غَدًا لي شَوَاهِدُ
بكَوْني عَبْدَ اللهِ وهْوَ شَهِيرُ
سُتوري فِي الدارَيْنِ مَدْحِي مُحَمدًا
بَنظْمٍ وَنَثْرٍ وهْوَ نِعْمَ سُتورُ
بُذُوري كِتَابُ اللهِ والسنةُ التي
بَا أحْتَمِي عَما نَحَاهُ بـذُورُ
قُصُوري خَلَتْ والأهْلُ عَني تَفَرّقَتْ
لمَدْحِ الذي عَنْهُ المَدِيحُ قَصِيرُ
غُرُورُ الوَرَى غَر النصَارَى بِكَيْدِهِ
وَظَنوا الظُنونَ والظُنونُ غُرُورُ

و بعدما صلينا العصر دخلنا في سفينة البرّ إلى ٱنْدَرْ ثمّ وصلنا ٱنْدَرْ قبيل الغروب، وفيه يقول:

[رجز] نَفَى لِغَيْرِي اللهُ قَبْلُ فِي ٱنْدَرِ
بِأَهْلِ بَدْرٍ الأُسُودِ كَدَرِي
وَمَكَثُوا مَعًا لَدَى الجَزِيرَهْ
بِشِدَّةٍ والرَّقَــبا كَثِيرَهْ

و مكثتُ بقية صفر كلّها عشرة أيام ثم شهر ربيع الأوّل إلى اليـوم الآخر منه وكان يوم الخميس وفي هذه المدّة أتممت نظم " أسمـاء أهل بدر" وصحّحته تصحيحا، ولقيت كثيرا من أجلاّء " انـدر" وحواليه، ووفد عليّ رؤساء أهل ٱنْجَاْبُرْ [144] يريدون أن يشفعوا فيّ فقلت: خلّوا بيني وبين ربّي وهو أرأف بي منكم وأعلم بمـا هـو الأصلح لي فانتهوا.

و يحكى أنه لمّا أوقفوه بين أيديهم، وكلّموه بمحضر أهل الحـلّ والعقد من رؤساء النّصارى وهو متوحّش [42] بينهم حيران إلاّ في الله لا أنس له ولا جنس,قالوا: بلغنا عنك كذا وكذا وهو يقول

---

[144] Ndiambour اسم قديم لمنطقة Louga

لهم: أحضروا من أخبركم فإن ضمّني وإياه مجلسٌ عرفتم المحقّ مِنَ المبطل، وهم يذكرون له أشياء لا تصدر عن عاقل فضلا عن مثله. وما بلغهم إلاّ عن وشاة أزعجهم الحسد حتّى بلغوا مبلغا لا يستحيون من الله معه " فسوّل لهم الشيطان وأملى لهم"[145] فنطقوا من أباطيل ومخارف بما لا يرضى لنفسه أحمق طلاّب الدّنيا، فكيف بعقلائهم الزّاهدين فيها. ولمّا كان ذلك اليوم، ركب من اندَرْ وهو صائم، فوصلوا إلى دَكّارْ قبيل الغروب فأنزل في بعض الدور، وطفق يتهّيأ للشراب والفطور والصلاة فإذا هو برسول يطلبه فقام وسار معه فانطلق به إلى بيت يستعاذ منه شديد الظلمة والحرارة والنتن. فلما رأى ما حلّ به علم أنه البلية من الله لا حيلة إلاّ بالرّجوع إليه بالصبر والرضى والشكر إذ لم يكن أكبر من هذا وما دفع الله أعظم. فشرع يسترجع أي يقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

[145] (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ) محمّد آية 25

قال: وبتّ أحيي ليلتي بالزهراوين البقرة وآل عمران، فمنعتاني من النارين والعارين، وأتبعتهما بالصّلاة على مخدومي خير خلـق الله، فانشرح صدري واطمأنّ بالله وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم (ألَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِن الْقُلُوبُ)[146] فطابت لـيلتي في الله. وفي هـذا المتسّبب والقرية والبيت يقول الشّيخ: [رجز]

نَفى لِغَيْرِي اللهُ في ٱدّكارْ
كُل أَذّى لي جرهُ المَكارُ
إِذا ذَكَرْتُ ذَلِكَ المَبِيتا
و ذَلكَ الأمِيرَ و التّثْبيتا
[43] طَارَتْ إِلَى الجِهَادِ بِالْأَرْمَاحِ
نَفْسِي وَلَكِنْ ذَب عَني المَاحِي

146 قرآن الرّعد آية 28

## فصل في ركوبه سفينة البحر من دكار

ثمّ لمّا أصبحنا، غدونا يوم الجمعة أوّل يوم من ربيع الثّـاني (1895/9/21) إلى سفينة البحر وركبنا فيها، وقالـت الـسّفينة قيلولة وباتت، وأتاني وسط السّفينة جمع من المريدين يبكون ومـن جملتهم الشيخ إِبْرَاهِيمَ قَالْ[147] كبيرهم. وفيه وفي السّفينة يقول: [رجز]

عَلّمَنِي الرحْمَانُ في السّفِينَهْ
بأنِنِي خَدِيمُ ذِي المَدِينَهْ
و قَالَتِ السفِينَةُ المُمْتَلِئَة
قَيْلُولَةً مَعَ المَبِيتِ بِالفِئَة
وجَاءَهُ في فُلْكِهِ المَشْحُون
مُرِيدُهُ أي فَتى مَمْحُون
ووَدعَ المُرِيدُ ثُم رَجَعَا
إلى الجَزِيرَةِ بِقلْبٍ وَجِعَا

---

147 Ibra Fall سبق التعريف به

يعني بمريده الشيخ إِبْرَاهِيمَ قَالْ فسبق بذا غيره. ثمّ أتاه في السّفينة أيضا شخص يريد أن ينصحه قال له: إنّ هناك أميرا جديدا قدم من أرضهم لمّا يختلط مع السّوادين لو كتبت إليه كتابا يعلمه بأنّك مظلوم لردّك إلى دارك وعيالك. قال: ولم يزل بي الرّجل حتّى أمالني، فتناولت المداد والقلم. فلمّا هممت، أو كتبت سطرا أتاني الخطاب من حضرة ربّ البرية: أترفع حاجتك إلى مخلوق مثلك دوني ؟ فمتّ خوفا وحياء ومحوت ما كتبت، فألحّ عليّ الرجل فقلت: لا سبيل إلى ذلك.

قلت: ومخاطبات ربّ الأرباب لعباده المتمكّنين لا يعلم لها كيفّية إلاّ أهلها الذّائقون لمرارتا [45] وحلاوتا. فحسب العاميّ أن يـسلّم ويقف عند حدّه ليسلم إن لم يوفّق لقبوله. وفي هذا يقول: [رجز]

وطَلَبَ الذِي الأَمِيرُ أَرْسَلَا مَعَ الخَدِيمِ نَاصِحًا أَنْ يُرْسِلَا
بَرَاءَةً إِلَى أَمِيرٍ قَدِمَـا مِنْ أَرْضِهِمْ وَمَالَ ثُم نَدِما
ثُم مَحَا الخَدِيمُ مَا قدْ كَتَبَا ثمُ لَهُ خُوطِبَ ثَم بِاكْتِـبا
وكَتَبَ القَصِيدَةَ المَقْبولَـه لِذِكْرِ مَنْ يَرَى بِهِ سَبِيلَـهْ

والقصيدة المقبولة في حروف قوله تعالى (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [148][رجز ]

وَجهْتُ خَطّيَ إلى المَلِيكِ          في الأرْضِ والسمَاءِ والمُلُوكِ

إلخ. . وانطلقت السّفينة يوم السّبت الثّاني من ربيع الثّاني، وذكر أنّهم مرّوا "بكُناكِرِ" ودخل عليه في السّفينة رجل من وُلُفْ من القطر السالُمِي وأهدى له هديّة سنّية وقال له: إنّي سمعت بأنّك تأتي في السّفينة يراد بك نحو الغابون، ولذلك أتيت لأزورك وتدعو الله لي وتوصيني. قال: ومن هذا الرّجل سمعت اسم الغابون، و علمت الجهة التي يراد بي ثمّ إنّي دعوت الله له وقلت في الوصيّة: فاعلم يا أخي حيث كنت أنّه لا إله إلاّ الله ومن توجّه إلى غير الله فسيعلم أنه لا إله إلاّ الله، ومن توجّه إلى الله بغير محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسيعلم أنّ محمّدا رسول الله. ثم توادعنا وذهب. ثمّ ذكر أنّهم مرّوا [46] بِكَرَمْبَصَا [149] و ذكر شخصا كان يستهزئ به في السّفينة فحال الله بيني وبينه بحكمته، وذلك أنّ شخصا ركب من كُناكِرِ ولم يعلم بي حتّى قاربنا من كَرَمْبَصَا، فتراءى لي شخص

---

[148] قرآن غافر آية 44

[149] مدينة في غينيا سبق التعريف بها ص 46

سودانيّ من الغرفة وقال لي: أ فلان باسمي، فنظرت إليه فقال: بلغني أنّ أخي هو الذي أسرك وذلك من كثرة ما ينوّه بـك أصـحابك وكثرة ما كذا وكذا. وفي هذا صاحت السفينة صـيحة عظيمـة فذهب ينتظر انقطاع الصوت حتى يزيد في استهزائه به، فلم ينقطع الصوت حتى رست السّفينة فـ ل في جملة من نزل، فالحمد لله إذ لم ينل مراده. و فيهما يقول: [رجز]

هَدِيَتِي صَفَتْ لَدَى كناكُرِ　　لِلْمُصْطَفَى المَاحِي بِلاَ مَنَاكِرِ
بَرانِيَ اللّهُ لَدَى كُناكُـر　　مِنْ كُل جَالِبٍ إِلَى المَنـاكِر
أَذْهَبَ عَنّي اللّهُ في كَرَمْبَصَـا　　قَبْلُ مُبَارِزِي وعَني خَلْبَصَـا

أي تسّتر،أي نزّل وأذهب عنّي ويعني بديته تفهيمه للرجل معنى لا إله إلاّ الله وهو الذي يقع به الإنكار لو حاد عن السبيل. وقد برّأه الله من الحيد لا هدية الرجل المالية.

و ذكر أنم مرّوا "بدَاوُمِ"[150]،و ذكر كرامة عجيبة أكرمه الله بـا وذلك أنّه أخذ حِقّة من المسك كانت عنده ليرشّ با ثيابه وكتبـه، فقيل لي ألقها في البحر فلم أتردّد بل ألقيتها.
فلمّا رست السفينة دخل جمع من إخواننا المسلمين سمعوا بي ليسلّموا عليّ، فكلّ من سلّم عليّ دفع لي حقّة من المسك كلاّ أو جلاّ وفيه [47] يقول: [رجز ]

دَعَانِي الرحِيمُ عِنْدَ دَاوُمِ    لَهُ بِمَا أَغْنَى عَنِ التسَاوُمِ

و معنى الرّحيم المنعم بدقائق النعم، وهذه من دقائقها.

و ذكر من كرامات بعض ما أنعم الله به عليه في السّفينة، أنّ صاحب السّفينة أتاه يحدّثه ويتلطّف به ويظهر له شفقة، ويتوجّع كثيرا ممّا وقع له، ويكثر من قوله لي أنت مظلوم وذكر أنّ طبيبا منهم أتاني وصار يلاطفني ويقول لي: أنا أحبّك وأعينك كلّ عون.
و أتاني شاب نصراني من أهل الفلك أدخل الله في قلبه حبّي، فصار يخدمني خدمة المريدين. وذكر أنّه لم يزل في لطف من الله منـشرح

---

[150] Dahomey إسم بلد البنين سابقا

الصّدر حتى نزل في الغابون. قال ومكثت فيها مدّة غير طويلـة ثمّ خرجت إلى جزيرة أخرى ومكثت فيها خمس سنين. وقـال: وفي هذه السنين الخمس صرت مثل الشّمس. يعني رفعة مقام وانتشار صيت ونفع. وذكر أنّه ألّف في هذه المدّة تآليف لم يسبق إلى مثلها حسنا وكثرة نفع في الله وفي رسوله وفي دينه الإسلام صدق والله. هذه الجزيرة هي جزيرة مَأْيُنْبَا [151] بدليل قوله: وفي ساحل بحر تلك الجزيرة، وقفت مرتجلا مخاطبا البحر: [طويل]

لِي اشْهَدْ بِكَوْنِي عَبْدَ مَنْ يَغْفِرُ الذَّنْبَا
وكَوْنِي خَدِيمَ المُصْطَفَى بَحْرَ مَأْيُنْبَا

ولِي اشْهَدْ بِأَنِي لَا أُدَاهِـنُ مُشْرِكًا
خَلِيلًا حَبِيبًا لِلذِي كَرَمَ الجُنْبَا

[48] إلى أن قال: [طويل ]

أَيَا بَحْرُ وَحّدْ لاَ تُثَلّثْ قرَبنَا
تَعَالَى عَنِ التثْلِيثِ أَكْرِمْ بِهِ رَبا

---

[151] Mayumbé جزيرة في ساحل الغابون

فَكُنْ ذَا اضْطِرَابٍ مُزْبِدًا مِنْ مَخَافَةٍ
مِنَ اللهِ واشهَدْ أنني عَبْدُهُ صَبا

و ذكر أنّه بعد خروجه من تلك الجزيرة التي ألّف فيها تلك التّآليف دخل في جزيرة أخرى بتعب، ومكث فيها ثلاث سنين إلاّ قليلا مشتغلا بخدمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

و ذكر أنّ شابّا منهم أتاني في مكتبي وبيده سيف إصليت يدوّره على رأسي ويقول: لي أنت فلان باسمي ؟ فقلت نعم فقال: احذر منّي، فإنّ جدّي كان قتّالا للأولياء فأنا ابنه. فأومأت إليه بالقلم وانتهرته كأنّي أسطو عليه:اعلم بأنّك لست بجدّك القتّال، وأنا لست كمن كان جدّك يقتلهم. فأرعدت فرائصه وانهزم أمام القلم.

و ذكر أنّ أميرا منهم نزل بجيشه في الجزيرة التي هو فيها بعد أن كان الناس يترقّبون نزوله فاشتغلوا بتنقية الطرق ونصب الألوية أيّاما. فلمّا نزل بدأ بي وسأل عنّي فدلّ على بيتي، فدخل عليّ وسلّم، وذكر اسمي بالتعظيم ومدّ إليّ يده ليصافحني، فمددت يدي فإذا أنا بخطاب كأنّه صاعقة من السماء (يَاأَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)[152] فغشي على عقلي فصرفت يده صرفا عنيفا حتّى تدأدأ

[152] قرآن التوبة آية 28

أي تحرّك وتباعد منّي قليلا، فوقف طويلا كأنّه يتفكّر وينظـر في أمر كلّ ذلك وأنا أكتب. وبعد ساعة دعا ترجمانه وتكلّم معه طويلا فجاءني التّرجمان وقال لي: يسلّم عليك الأمير [49] ويقول لـك لا تجد عليه فإنّه ليس ممّن يبغضك ولا ممن أزعجك وغرّبـك عـن أوطانك، بل هو لو استطاع الآن لردّك. وإنّما اعتنى بك وبدأ بـك قبل نزوله لأنّ فلانا من إخوانك السينغاليين من خاصّة أحبابي شوّقني إليك، وطلب منّي أن أسلّم عليك عنه فإنّك مـن أحـبّ النـاس إليه,فلذلك أتيتك محبّا لا غير.

و قال الشّيخ للتّرجمان قل له ما فعلت ذلك ظنّا بك وبغضا. فذهب ولم يظهر تغيّرا. فلمّا اطمأنّ في مجلسه قيل لي أكرمه وكان عنـدي عدل من خبزهم المخلوط بسكّر في غاية الحلاوة فأرسلته إليه ففرح به وشكر لي سعيي ثمّ قال:و مثل هذا لو وقع ممن يظهـر شـجاعة تكلّفا لضرّه ذلك ولكن لا ضرر مع الإذن. فالحمد لله. ويحلـو لي إيراد أبيات ناظم الخوارق ابن حنبل[153] مثل هذا: [بسيط ]

[153] عبد الله السّالم بن حنبل , قال عنه المختار ولد أباه :" من شعرا النّصف الأوّل من القـرن الرّابـع عشر " انظر كتابه الشعر والشّعراء في موريتانيا ص 77. والأبيات المذكورة من قصيدة طويلـة في مدح الشّيخ بـ ـ ـمب أوردها
ولد أباه كاملة , ص ص 290 –292

ومُعْتد مُرْتَدٍ أثْوَابَ عِزتِهِ
يَخْتَالُ بَيْنَ قَبائِهِ وزُنـــارِهْ
تَمْشِي أُلُوفُ أُلُوفِ تَحْتَ سَطْوَتِهِ
لمْ يُعْنَ قَطٌّ بِنَاهِيهِ وآمِــارِهْ
أنزَلْتُمُوهُ حَضِيضَ الذُلّ مُنكَسِرًا
بِسَيْفِ نَصْرٍ حَدِيدِ النصْل بَتارِهْ
نَصْرٌ مِنَ اللهِ لِلْعَبْدِ الْخَدِيمِ بِهِ
صَارَتْ جُنودُ نَصَارَاه كَأنصَارِهْ
لَوْ بَاحَ بِالسِرِّ أبْدَى لِلْوَرَى عَجَبًا
لَكِنمَا صَدْرُهُ قَبْرٌ لِأسْـرَارِهْ

وذكر من كراماته في الغيبة البحرية ظهور أهل بدر، : وذلك أنم في بعض الجزائر جعلوني في بيت كبير أسكنوا فيه العـسكر وكنـت كواحد منهم، يلعبون ويشربون ويدخّنون وأنا ساكت على إذايتهم لأني [50] علمت أنّ الملكين الكاتبين مع كلّ مكلّف منّا، ومـا داما صابرين لطاعة ربّهما لا ينبغي لي أن أشتكي لأنهما يؤذيهما ما يؤذيني ولا يشتكيان. فقضى الله أنّ الجنـد خرجـوا إلى محـلّ

تدرّبم، فوجدوا جماعة على خيولهم وعليهم العمائم على مصطفّهم فخافوا ووقفوا، و ثّبتهم رئيسهم وهدّدهم بالقتل إن شاع الخبر من جهتهم. فلمّا أسفر الصبح جدّا غابوا عنهم. وكتموا الخبر عن غير أهله. قال الشيخ: وبعد ذلك بأّيام دعاني الحاكم ولاطفني وباسطني بأحسن كلام، و في أثناء الكلام قال لي: لعلّ عندك أعوانـا لـو حاولت أمرا لأعانوك. قلت له: ما عسى أن يكون إنسا أو جنّـا. قال: أنت أدرى. فأوهمته بأّني لا أعلم فسكت. و قد سأله بعض العلماء عن سبب ظهور أهل بدر له فقال: إرهابا للأعداء. وسأله آخر عمّن هم أناسهم أو ملائكتهم، فقال: ملائكتهم.

و سأله آخر هل معهم النبي صلّى الله عليه وسلّم هو رئيسهم وفيه يقول: [رجز]

يَسرَ لي المُنى لَدَى لِبْرَوَل [154]
مَن قادَ لِي مَا غَابَ عَنْ كُلِّ وَلي
لِي قَادَ أَهْلَ بَدْرٍ الأَسُودَا
مَنْ زَحْزَحَ الوَاشِي والحَسُودَا

---

[154] Libre-ville عاصمة الغابون حالّيا

يَقُودُ لِي حَيثُ أَكُونُ اللهُ

تَبْشِيرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

قال رضي الله تعالى عنه: ما غاب عن كلّ وليّ هو ظهور أهل بـدر مع رئيسهم صلى الله عليه وسلّم في تلك البقاع المظلمة له في البحر لزجر أعدائه المفسّر بقوله" لي قاد أهل بدر" إلخ... و قوله " تبـشير [51] لا إله إلاّ الله "هو قوله تعالى (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ)[155] وحيث قلت أكدار أو إضرار لا إله إلاّ الله، فهو قولـه تعـالى (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ)[156].

و ذكر أنّهم جعلوه في طريق ضّيق وأطلقوا عليه بقرة عادية , قال في عبارته: وهم واقفون ينظرون إليّ وظّنوا أنّها تنكبّ عليّ فلمّ دنت مّني طارت كأنّ لها أجنحة. وهذه البقرة هي التي يـذكرها نـاظم بعض الخوارق "عبدُ الله السالِم بن حَنْبلْ الحَسَنِيّ " بقوله: [بسيط ]

بِكْرٌ مِنَ الْبَقَرِ الأَهْلِيّ طَائِرَةً

فِي الجَوّ حَتى تَوَارَتْ فَوْقَ أَطْيَارِهْ [157]

---

155 قرآن يونس آية 107

156 قرآن الأنعام آية 17

157 في ج طّياره والإصلاح من د وأوردها ولد أبّاه " أطياره " . الشعر والشعراء في موريتانيا ص 292

و ذكر أنّه طال مكثه في بعض المواضع حتّى سئمت نفسه الموضـع وشكا، فبمجرّد شكايته سلّط الله عليه نملا كبارا كثيرا تؤذيه إذاية. فلمّا علمت أني دهيت من جهة نفسي، (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُـصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [158]نسخت شكايتي بالشّكر فقلت:

[رجز]

نَسَخْتُ بِالشكْرِ شِكَايَةً فَلَا  أَشْكُو لَهُ ضُرا فَضُرّي أَفِلَا

فذهب عنّي النّمل فبقيت مستريحا. ولعلّ نـاظم الخـوارق هـذا مقصوده في قوله:

[بسيط]

نَمْلٌ كَمِثْلِ الرِّخَالِ الجُوفِ في عِظَمٍ
يُلْقَى لَهُ المَرْءُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِضْرَارِه

و ذكر أنّ ذلك المتنصّر المذكور أساء إليه مرّة، فلامه بعض أصحابه وخوّفه حتّى خاف وندم وأتاني تلك الليلة مع من يقود له شـاة، وبيده هو حقّة كبيرة من الحبر وانبطح بين يديّ وزعم [52] أنّـه

---

158 قرآن الشّورى آية 30

تائب وأنّه لا يبرح حتّى أضع قدمي على رقبته، وصـرفته بقـول حسن. ووجدني أكتب فقلت في الحال: [بسيط]

أَلْآنَ لي اللّيْلَةَ قَلْبَ ذي ارْتِدَادْ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ بِشَارَةٍ وِمِدَادْ

وذكر من كراماته في البحر أنّه كان في بعض أحيانه ساكنا مع حاكم شديد لا يقارب ولا ينقاد لخير، فقلت يوما إنّي أختبر جهادي في أمر هذا الحاكم وأنظر كيف يسخّره الله لي.

فقمت من بيتي أريد بيته، فقيل له: إنّ الشيخ مقبل إليك، فقال: مستحيل لأنّه يطلب فيمتنع كيف يأتي بنفسه طوعا ؟ فقيل له: لا جرم أنّه هو الآتي. فقام من فوره وتلقّاني من بعيد وفرح بي غاية، فانطلق بي إلى محلّه الخاصّ فقال لي: ما تحبّ، بتوال وتكرار وأنا ساكت أنظر فيما أقول له حتى قلت له أريد شيئا من المداد، فأعطاني حقّة كبيرة مملوءة فولّيت عنه،و كنت في قصيدة مرّتبة على حروف أبتثج كلّ حرف نحو سبعة أبيات وبلغت حرف الفاء فكتبت منه: [رجز]

فَازَتْ بِقِلَامِي عِنْدَ أَعْلَفَ جَحَدْ وَرُضْتُهُ "بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ"

ثمّ كتبت أبياتا، بعده قيل لي إنّ هذا خيانة تتركهم مطلقا ثمّ تأخذ منهم خفية، فانتهيت ثمّ حفرت حفرا عميقا ورميت فيه المداد فعلمت صدق جهادي فالحمد لله.

و ذكر أنّ فتاة من بنات "اندر" رأت أهل بدر مناما، وفي تلك الأيام دخلوا القرية وطفقوا يذبحون أهلها حتّى إذا دنا واحد منهم قال له الآخر تلك مسلمة فانصرف عنها.

قال الشّيخ [53] رضي الله عنه: تلك البنت صالحة، وكانت تحسن إليّ بما تيسّر لها، و تقول لي: كلّ ما أعطيتك فهو من عمل يدي ليس فيه ثمن خمر ولا ثمن تبغ ويعرف بالتّتن والدّخان. وإنّما تقول ذلك لأنّ المعاملة هناك بهما، وتعلم بأنّي لا أستعملهما ولا ثمنهما. فقلت لها: وما تريدين بذا الإحسان ؟ فقالت: أمّا في الدنيا فأحبّ ذرّية، وأمّا في الآخرة فالجنّة فقلت لها: والله على كلّ شيء قدير. فلم تلبث بإذن الله أن حملت، وما كانت تحمل وحين تمّت مدّة حملها وضعت وماتت بالوضع، وصليت عليها وما وقع بصري عليها قطّ إلاّ حين وقفت أصلّي عليها وإنّما كانت تعاملني بالمراسلة.

و قيل إنّها بنت "دَ بَ سَيْ" واسمها " آمنة" وكانت تحت رجل يقال له "يَل سىْ"[159]، وهو من أركان الحاكم وهو أيضا من المحبّين المحسنين لي، له مع الحاكم يوم أيَوَم بسببي. وذلك أنّي ذات يوم نصبت أربعة عيدان في مصلاّي بباب بيتي لأصرف بها المارّين عن موضع صلاتي، فبصر بها الحاكم وقام من فوره وأتاني، ونقض المسجد وقلع العيدان ورمى بها وقال: لا صلاة هنا ولا الإسلام، تريد أن تفسد علينا الجند. فسكتّ وحلمت عليه. فلمّا علم به "يل سَىْ" قام من فوره والحاكم لمّا يزل، ووصل إلينا مغضبا وقال للحاكم: لم نقضت مسجده وهو بباب بيته لم يضيّق على طريق ولا على أحد؟ فقال الحاكم: كذلك أفعل لا مسجد هنا. فقال له يَلّ: لا بدّ أن أردّه على حاله. فقال الحاكم: لا تردّه. فحال الناس بينهما أن يتضاربا , فبقيا من العصر إلى الغروب يتخاصمان، كلّ ذلك [54] وأنا أكتب.

---

[159] شخص من العاملين في الإدارة الفرنسّية .

و في هذه القصة كتبت قصيدة (رَبنَا أَخْرِجْنا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا وَاجْعَل لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَـصِيرًا). [160]

[طويل ]

رَضِيتُ عَنِ الْمَوْلَى تَعَالَى الذِي رَبى

فُؤَادِي وأَغْنَانِي وأَكْرِمْ بِهِ رَبا

إلى أن بلغ قوله: [طويل ]

لَهُ اكْتُبْ صَلَاةً مَعْ سَلَامٍ بِآلِهِ

وأَصْحَابِهِ واجْعَلْ بِهِ مَسْجِدِي رَحْبًا

قيل له: استجيب لك سوف تراه. وقد رأيناه وهو مسجد جُرْبلْ وطُوَبى. وهي طويلة حسينة لها تأثير كبير في الدّفع والجلب بفضل الله تعالى وصدق النّاظم، فليّتق الله مستعملها وليرغب في خيرها. وكان من قضاء الله أن وفد عليه زائرا يلّ سَىْ من تلك النّاحية في أنجَارِيمْ [161]بعد ابتناء المسجد، فقال لي الشّيخ أنا وصاحب لي:اذهبا معه يزور المسجد فذهبنا وطاف به يمينا وشمالا،شرقا وغربا، ظهرا

---

160 قرآن النّساء 75

161 اسم ثان لجُرْبلْ

وبطنا، وذهب به العجب كلّ مذهب. فلمّا رجعنا قال له الشّيخ "كيف هذا وما كنت رأيت أيّها المقاتل عنّي ؟

قال: سبحان الله لا مناسبة بينهما. قال الشّيخ: هذا هو معنى قولي: [رجز]

نَفىَ لِغَيْرِ اللهِ في مَايُنْبا[162] مَا سَاءَ قَلْبِي وأعْلَى الجُنَبا

ما ساء قلبي هو نقض ذلك المسجد، وأعلى الجنبا هو ارتفاع منارات هذا.

**هذه حكاية طريفة** في **ضمنها كرامة.** قال الشيخ: " لمّا قلع الحاكم العيدان أخذ بعض الشامتين منها عودا وذهب به إلى مرحاضه أي بيت [55] اغتساله ونجاسته فنصبه

فلم يلبث أن دخل ذلك البيت واحتاج إلى ماء، فأخذ آلة فيها ماء شديد الحرارة ولم يعلم ولم يجرّبه بيده بل صبّه على عضوه، فنفر نفرة الظّليم المروّع وصاح بملء فمه: يا شيخ أدركني فقد هلكت. ورمى بالطست بعيدا، و جاءني ويده في سرواله،فقلت: فهل إلاّ صبر وقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

[162] Mayumbé سبق التّعريف با .

و ذكر أنّه في بعض الأعوام صام رمضان وما كنت أعرف شهر رمضان لو لا أنّ الله ألهمني أن أكتب الشهر القمري كلّما استهلّ عليّ هلال لأنّ أهل البلدة لا يعرفون إلاّ الشهر الفرنساوي. فلمّا كان يوم الفطر أفطرت مع الصّباح واغتسلت وفعلت ما أمرت السّنة به، وخرجت لأصلّي في ساحة القرية، فوقفت أنظر غربا وشرقا يمينا وشمالا متيقّنا بأنّه لا يأتيني أحد، ووصلت إليّ جاريتان ناهزتا البلوغ ووقفتا بإزائي تنظران، فكبّرت فشرعتا تضحكان، كلّما كبّرت ضحكتا وإذا قرأت ضحكتا هكذا هكذا، حتى سلّمت وخطبت ثمّ قلت في مناجاتي: " اللهم إنك تعلم أنّي صمت شهر رمضان كما أمرت، وأفطرت واغتسلت وصلّيت كما أمرت، ولكنّي لم أجد ما أؤدّي به زكاة الفطر، ولو وجدت لا أجد لها مصرفا، فصلّ وسلّم وبارك على سّيدنا ومولانا محمدا وآله وصحبه،و تقبّل منّي كلّما استطعت من أوامرك وفعلت، واكتب لي ثواب ما عجزت عنه ونويت،أو نحو هذا.

ثمّ أنشأت " اللهم صلّ وسلّم وبارك على سّيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه، واجعل هذه القافية الآتية [56] فـوق الميمـة ظـاهرا وباطنا. آمين يا رب العالمين بجاهه صلى الله عليه وسلّم: [طويل ]

أَلَا إِنني أَرْجُو مِنَ الوَاسعِ الحَق
بِجَاهِ المُقَفى نَاصِرِ الحَق بِالحَق
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثم سَلَامُهُ
لِقَائِي سَرِيعًا إِخْوَتي بِالهُدَى الحَق
وكَوْنِي لَهُ عَبْدًا سَعِيدًا مُكَمّلا
خَدِيمًا لِعَبْدِ الحَق مخْتارِهِ الحَـق
إلهي بجَاهِ المُصْطَفَى ثم آلِهِ
لِيَ اغْفِرْ ولي كُنْ ولْتَقدْني مَعَ العِتْق
سَأُرْضِيكَ بِالقُرْآنِ والسنةِ التِي
لَنا سَنهَا المُخْتَارُ يَا فَاتِق الرتـق
ورُض لي العِدَى طُرا دَوَامًا وَكُفِني
عَنِ الشرْكِ يَا قَهارُ ذَا الرتْقِ والفَتْق
وقُدْني إِلَى دَارِ السلَامِ التِي بِهَا
أُنَاجِيكَ بِالآيَاتِ ولْتعلِ لي أُفْـقي
إِلَاهِي سَرِيعًا رُدِني بِالمُنَى مَعًا
وكُنْ لي دَوَامًا بِالبِشاراتِ والرفْق
وَهَبْ لِي عُلُوما تَنفَعُ النفْسَ وَالوَرَى

وَ وَسِّعْ بِإِسْعَادٍ وبِالفَتْحِ والخَرْقِ
أَبَتْ نَفْسِيَ الإِصْلَاحَ وهْيَ عَدُوةٌ
فَلِي زَكِّهَا بِالطفِ يَا خَيْرَ مَنْ يُرْزِق
وَهَبْ لِي دَوَامًا مَا أشَآ في الوَرَى مَعًا
وعَني أَذَاهُمْ كُف يَا مُعْطِيَ السبْقِ
وسُقْ لي مَرَامِي عَاجِلًا ثُم آجِلًا
وَهَب لي عَظِيمَ الفَضْلِ وَالفَضْلَ لي أَبْقِ
إِلَاهِي قِني يَوْمَ الجَوى مَا أَخَافُهُ
وَلِي اجْعَلْ سُرُورًا عَاجِلًا ثم كَالبَرْقِ
وهَبْ لي نَجَاةً مِنْ نُزُوعٍ وكلِّمَا
يَخَافُ الوَرَى اجْعَلْنِي بَعِيدًا عَنِ الحَرْقِ
أَجِبْ يَا إِلَاهِي وامْحُ عَني مَعايِبِي
ولِي اشْهَدْ بِأني تُبْتُ مِنْ فِعْلَةِ الحُمْقِ
وكُنْ لي دَوامًا يَا إِلَاهِي وَنجِني
وحَقِّقْ رَجَائِي واكْفِنِي جَالِبَ الزَّنْقِ
[57] أَجِبْ دَعْوَتي يَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ
وجُدْ لي بِتَوْسِيعٍ وبِالزهْدِ والصِّدْقِ

بِجَاهِ النبي المُصْطَفَى وَاكْفِنِي بِهِ
حِسَابًا ولي سَخِّرْ بِهِ كُل ذِي فِسقِ
وصَلّ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْه بِآله
وأَصْحَابِهِ يَا مَنْ لَهُ الغَرْبُ كَالشَرْقِ

سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

و ذكر من كراماته في البحر،أنّ شخصا من أعيان المحلّة التي كنت فيها وعدني بحقّة من المسك من غير تسبّب منّي لأنّي لا أطلب منهم شيئا ولا أنتظر منهم، ولا أثق بوعد واعد منهم فإذا هو وعد شخصا من أمثاله مثل ما وعدني به، فلما لم يوف له بالوعد شرع يخاصمه ويعنف عليه وهو يردّ عن نفسه، كلّ ذلك بالقرب منّي والكلام بلغتنا الوُلُفية وليسا فصيحين فيها ولكن بمجرّد كونها لغتنا ذكّرتني بالجنس حتى كأنّني في بلدي لطول عهدي بسماعها، فشوّقتني، وأيضا كونه يخاصمه في الوعد وعدم الوفاء متسبب من ثقته بوعده وانتظاره، فحركتني مخاصمتهما إلى شكر الله ربي لكون ثقتي به تعالى وحده وانتظاري منه، فحملني الباعثان على إنشاء قصيدة شكر فقلت:

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلّم. اللهم إن أعدائي وأعدائك ألقوني في البحر كما ألقوا خليلك في النار وخاطبتها [58] " يا نار كوني بردا وسلاما علـى إبراهيم "، فصارت النار جنّة له عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام.

يا ربّنا يا ربّنا يا ربنا يا حيّ يا قيّوم، بحقّ (شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلناسِ وَبَينَاتٍ مِنْ الْهدَى وَالْفُرْقَانِ)[163] وبحقّ ذلك الخطاب سخّر لي هذا البحر وأهله وجميع أعدائي وأعدائك وبشّر المسلمين والمسلمات بلقائي ورؤيتي وسْمع رجوعي إلى دَارْ السلَامْ وطُوَبى عاجلا بلا مشقّة ولا تسّبب مني، آمين يا رب العالمين بجاهه صلّى الله تعالى عليه وسلّم. واجعل هذه الميمّية فوق ما ظننت كما هو عادتك معي فيما قلت قبلها، واجعلها لي زادا وجنّة في الدّارين، آمين يا ربّ العالمين : [طويل]

ألَا إِنني أُثْني عَلى خَيْرِ مُنْعِم
وَلَا أَشْتَكِي لِلْخَلْقِ مِنْ فقْدِ أَنْعُمِ

---

[163] قرآن البقرة آية 185

فَمَنْ ظَنني فِي غُرْبتي ذَا تَذلل
إِلى غَيْر مُغْنٍ وَاسِعٍ فهْوَ قَدْ عَمِ
لَهُ أشْتَكِي ضُعْفِي وفَقْرِي وغُرْبتي
وَأَرْجُو رُجُوعِي عَاجلًا خَيْرَ مُنْعَمِ
شَكَوْتُ لَهُ عَجْزِي فَأشْكَى وكَانَ لِي
بِمَا فَاقَ ظَني فَهْوَ أكْرُمُ مُكْرِمِ
نَحَا جَانِبي مَنْ غَرهُمْ كُفْرُهُمْ بِهِ
فَعَنْهُمْ حَمَانِي طَارِدًا كُل مُجْـرِمِ
لَهُ الشكْرُ مِني رَاجِيًا مِنْهُ مَطْلَبِي
بِلَا كُلْفَةٍ مِنّي وقَدْ زَال مَغْرَمِ
لَئِنْ غَرني مَنْ غَرهُ الظَن حَاسِدًا
فَمَا غَرني مَنْ قَادَني بِالتكَرمِ
فَمَنْ يُلْقِني لِلْجَحْدِ في البَحْرِ ذَا قِلَى
فَقدْ جَاءَني في البَحْرِ جُودُ المُكَرّمِ
ومَنْ سَاءَهُ كَوني لِمَولاَيَ عَابدًا
وَكَوْني خَدِيمًا لِلشفِيعِ المقَـدمِ

[59] فَإِنّيِ في الَبر وَالَبحْر عَابدٌ
خَدِيمٌ لمُنْجٍ مِنْ دَوَاعي التنـ ـدمِ
ومَنْ صَد عّني فَالموَاهِبُ أقْبلَتْ
مِنَ الوَاسعِ المُغْني الحَفيظِ المقَدمِ
ومَنْ يُلْقِني في البَحْرِ رومًا لِغُرْبَتي
فَلي مِنْ إلهي الروْضُ في كُل عَيْلَمِ
لِرَبي التجَائي في حضُوري وَغيْبتي
وَبِالمُصْطَفَى أشْكُو لهُ نِعَمَ سُلمِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثُم سَلاَمُهُ
بِآلِ لَهُ وَالصحْبِ مَعْ كُل مُسْلِمِ
إلهي عَلَى خَيْرِ البَرَايَا مُحَمدٍ
أدِمْ سَرْمَدًا أزْكَى صَلَاةٍ وسَلّمِ
مَعَ الآل والأَصْحَاب طُرا ورُدِني
سَرِيعًا إلَى طُوبَى وحطِني وعَلّمِ
إلهي عَلَى الدهْرِ كَوْني خَدِيمَهُ
وكَوْني خَدِيمَ الآل عَلمْ وفَهمِ
إلهي مِنَ الوَهابِ أبْغِي تَبحّرًا

وكَشْفًا وإلْهامًا فَلي اكْشِفْ وَألْهِمِ
تَوَجهْتُ لِلْفَتاحِ أبْغِي فُتوحَهُ
وأرْجُو فُيوضًا مِنْه والفَيْضُ يَنْهَمِ
رَضِيتُ عَنِ القَهارِ إذْ رَاضَ لي العِدَى
غَرِيبًا فَرِيدًا عِنْدَهُمْ أي مُبْهَـ ـمِ
سَأرْضِيهِ بِالقُرْآنِ شُكْرًا لَهُ به
عَلَى أنْعُمي بِالقَلْبِ والجِسْمِ وَالفَمِ
عَلَي لَهُ إدْمَانُ مَا اخْتَارَ لي هُدَى
وأرْضِيهِ بِالآيَاتِ إذْ صِرْنَ مَغْنَـمِ
شُكُوري ورِضْوَاني وحَمْدي لِنَافِعٍ
أتاني بِقُـرْآنٍ عَزِيزٍ مُعَظَّـ ـ ـمِ
هُوَ الكَنْزُ والنورُ المُبِينُ الذِي بِهِ
عَنِ النارِ والأعْدَاءِ والعَارِ نَحْتَمِ
[كِتَابٌ عَزِيزٌ مِنْ عَزِيزٍ أتى بِهِ
عَزِيزٌ أمِينٌ لِلْعَزِيزِ المُتَمـ ـ ـمِ] (*)
كِتَابٌ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ مُكَرَّمٍ
لِعَبْدٍ كَرِيمٍ مُنْقِذٍ ذَا تَرَحُّـ ـ ـمِ

عَلَيْهِ مِنَ المَوْلَى صَلَاةٌ بِلَا انْتِهَا
بِآلٍ وأَصْحَابٍ لَهُ حَيثُ يَنْتَـ ـمِ

[60] عَلَيْهِ صَلَاةٌ مِنْهُ مَا قَالَ شَاكِرٌ
أَلَا إنني أُثْنِي عَلَى خَيْرِ مُنْعِـ ـمِ

عَلَيْهِ سَلَامٌ مِنْ كَرِيمٍ يَكُونُ لِي
ولَا أَشْتَكِي لِلْخَلْقِ مِنْ فَقْدِ أَنْعُمِ

عَلَيْهِ صَلَاةٌ مِنْهُ تَكْفِينِيَ الْأَذَى
وَتَحْمِي جَنَابِي عَنْ لَعِينٍ وَمَنْ عَمِ

عَلَيْهِ سَلَامٌ مِنْهُ مَا فَازَ مُشْتَكٍ
إِلَيْهِ بِمَا يَحْظَى بِهِ خَيْرُ مُنْعِـ ـ ـمِ

بِآلٍ وأَصْحَابٍ رَجَوْتُ مِنَ العَلِي
دُخُولِي غَدًا فِي سِلْكِهِمْ ذَا تَنَعمِ (*)

**وذكر من كراماته** في البحر أنّه أصبح يوما، وتيّأ إلى خدمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،قال:" فإذا أنا لا أقدر لوجع عمّ بدني، والحال أنّ رئيسا من أركان الدولة بيته حول بيتي يتغلغل في ضحكه

(*) سقط البيت من د

مع أصحابه فقلت " اللهمّ إنّك تعلم ما تيّأت له وما عاقني عنه، فأسألك اللهمّ أن تنقل ما بي إلى من يتّخذ مع الله إلها آخر. فإذا به يئنّ و أنا أكتب."

**وذكر من كراماته** في البحر، أنّه كان في بعض المواضع وقلّ وجود اللّحم فيه ولا يستعمل غالبا إلا الحيتان الصغار المصونة في وعاء من حديد، واستعملت منه يوما, فلمّا فرغت غسلت يديّ وبالغت في الغسل حتى بالتّراب والصّابون و بكل ما يعالج به الرّائحة. فلمّا هممت بالخدمة وشرعت قيل لي: (وَمِنْهُمْ الذِينَ يُؤْذُونَ النبي)[164]، ففزعت فزعا شديدا، وغمّني ما دهاني، و من يومئذ تركت استعمالها بل ومطلق الحيتان وجعلتها من المبيعات. ويوم بعتها أو قريبا منه أتتني أكباش من الأصحاب ثمنا معجّلا للحيتان، هذا هذا. وقد كان معي في البلدة [61] رهبان يأخذون من أولاد كفار السّوادين أصحابا يخدمونم، ويدورون معهم بعد العصر حول السّوق.

[164] قرآن التوبة آية 61

و ظنّ الحاكم ّأني أطمع في مثل هذا، فقال لي: إن شئت ّاتخذت لك من الأولاد أصحابا يتمشّون معك. فقلت: لا حاجة لي بم.
ومن عوائد رؤساء البلد أيضا أن يّتخذوا من كبار السّوادين للـورد والطّبخ وغيرها، فطلبت واحدا منهم يوما للخدمة، فلمّا دنا مّني فإذا هو أنتن من كلّ منتن فاستقذرته. ومن ثمّ بعت صغارهم وكبارهم كما بعت صغار الحيتان وكبارها. وفي هذا قال: [رجز]

قُلْتُ وجَاءَ ثَمَنُ الصغَار و ثَمَنُ الكِبَارِ و الصغَار
مُحَمدٌ خَيْرُ ِ إمَامٍ جَري وفَيْضُه ِ إلَى فُؤَادي جَارِ

والأصحاب الذين أتوا بالأكباش هم مقدّمة ثمـن كبـار الكفّـار وصغارهم، والأكباش مقدّمة ثمن صغار الحيتان وكبارها.

**وذكر من كراماته** في البحر قال:" لمّا نظرت إلى حال أعدائي وأعداء الله معي وعلمت أنم تمكّنوا من إذايتي وإضراري بقضاء الله وقدره، وعلمت أن لولا حماية الله ووقايته لبلغ السّيل الزّبى، تركتهم ومرادهم وتوجهت إلى الله الذي بيده الأمور فناجيته في أمري وقلت اللهم إنك خلقتنا لعبادتك فقلت (وَمَا خَلَقْتُ الْجِن

وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)[165] و قلت: (يَاأَيهَا الناسُ اعْبُدُوا رَبكُمْ)[166]، فوفّق من سبقت له السّعادة للسمع والطّاعة وخذّل من سبقت له شقاوته فصدّ عن الإجابة وصمّ عن النّداء نكرا، فوفّقتني وجعلتني [62] من زمرة الإجابة، زمرة نبّينا محّمد صلّى الله عليه وسلّم إمام الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليهم أجمعين. وزدتني فضلا منك أن جعلتني خديمه وخليفته في دينه وأمّته، فقام زمرة من أعدائك أعداء له وتسلّطوا علي ليحولوا بيني وبين عبادتك وخدمته. فها هم في سعيهم مجدّون وأنت يا ربّ قلت على لسان نبّيك قولا معناه أنّ لكلّ أحد دارا في الجنة ودارا في النّار، فإذا دخل الجّنة كشف له داره في النار فقيل له: هذه دارك لو لم تعبد الله وحين عبدت ودخلت الجّنة فهي تورث كافرا. وإذا دخل النّار كشف له مقامه في الجّنة فقيل له: هذه مقامك لو عبدت الله، وحين لم تعبد ودخلت النّار فهو يورث مؤمنا. فإذا كان الأمر كذلك فهؤلاء الأعداء كما علمت يظلمونني ويفعلون بي ما شاءوا وأنا لا أنتقم منهم ولا أدعو عليهم ولكن أسألك منازلهم في الجنة. فاستجاب لي

---

165 قرآن الذّاريات آية 56

166 قرآن البقرة آية 21

ربي وملّكنيها. فلمّا تحققّت أنّها لي جعلتها هدايا أهل بدر ".

وفي هذا يقول: [رجز ]

أَعْطِيْتُ صَحْبُهُ مَنازِلَ عَدَى
ِفي الجَنةِ الِتي احْتَمَتْ عَمنْ عَدَى
عَنْ قَصْدِهَا ِإلَى الْأعَالِي انْصَرَفَتْ
وللصحَابِ الحُنفَاءِ صُرِفَـتْ
ِلي جَادَ رَّبي ِبالَمنَازِل لَدَى
تَغَربي مُطَّيبًا لي الخَلَـ ـ ـ ـدَا
ِإني جَعَلْتُهَا هَدَايا ِللصحَابْ
ِرضِيَ عَنُهُمْ مَنْ حَمَاِني عَنْ سَحَابْ

**هذا** وكرامات الغيبة البحرية لا ناية لها ولو تكلّفت تتبعها [63]ما صحّحت منها وما سمعت من العامّة، لأتيت بما يبهر العقول، ولخرجت عن حدّ هذه العجالة، و لذلك اقتصرت على بعض ما صحّحت منه. وذكر أنّ سني تغرّبه ثماني حجج إلاّ قليلا.

و لمّا أتم ما كتب الله له من التغرّب من أرض فجّـار الـسّوادين، التفت به عنايته إلى الرّجوع لأرضه لينفع قومه بما أتحفه الله به مـن

الأسرار في غيبته المباركة، و ليتشرّف بلقاء إخوانه أبرار البيـضان، فعطف عليه قلوب كبار الدّولة فرجعوا به.

## فصل في رجوعه من البحر إلى البرّ

ووصل إلى دَكارْ يوم السّبت سادس شعبان عام "كَـسَشٍ"(8/6 / 1320ه / 1902/11/8 م)، و مضى منه إلى ـِأنْدَرْ ومكث فيـه نحو خمسة عشر يوما إلى أوّل يوم من رمضان، وكان يوم الثّلاثـاء فانقلب منه إلى لُغَهْ [167] ونزل على أخيه شيخ ـِثُيورُ امْبَكٍ. [168]ثمّ في ليلة السّبت سرى من عنده ومرّ بدار شيخ ثل سِـيسٍ[169]، ثمّ إلى دار مريده سِرِينْ سر لُو[170] ضحوة يوم الأحـد في سَّنوسَـةَ [171]، ومكث عنده رمضان كلّه يستريح ويصوم. وفي هذه المدّة تـزاحم عليه النّاس فوق العادة ما بين متعلّق أخذ منه طريقته، وبين مسترفد يستقضيه حوائجه، وبين أجلاّء يزورونه ويهنئونه، ومـن جملتـهم

---

167 Louga

168 Cheikh Thioro Mbacké

169 Cheikh Thilla Cissé

170 Sérigne Ciré LO

171 Sanossi قرية في ناحية لـُغَهْ

أعجوبة الزّمان وشاعر الأوان الشّيخ إِبْرَاهِيمَ جُوبْ الـ ـشعري [172] وقصّته عجيبة ومليحة.

و ظهر للشّيخ فيها كشف عجيب، وذلك أنّ الشّيخ إِبرَاهِيمَ ركبه دين عظيم في زمن عسر قضاؤه فيه، [64] فأعجزه، وجال بين الأجلّاء من المشايخ فلم يأخذوا بيده وبقي مبهوتا مهموما إلى أن وصل الشّيخ إلى سّنوسة قدم عليه ومعه أبيات ذكر فيها أمر الدّين، وكيف قسّمه على النبي صلى الله عليه وسلّم وعلى خلفائه الأربعة حين يئس من إغاثة الأجلّاء إياه. ولمّا استأذن على الشّيخ أذن له فأتى وسلّم قبل أن يذكر حاله ودينه وكيف قسّمه في الأبيات، قال له الشّيخ: ائتني بذلك العفاص. فأتى له به، ثمّ بالثّاني فأتى به فقال له الشيخ: احسب ما في الكلّ على حدة, ففعل وكان في كلّ واحد ثلاث مائة والمموع ست مائة. فقال له الشّيخ: اعزل منها مائة وائتني بها، ففعل. ثم قال له: اجمع القسمين ففعل فقال له: استعن بهذا على مصالحك. و كان دينه خمسمائة، فأخذه الحال من

---

[172] Cheikh Ibrahima Diop ( 1888 – 1932 ) من أتباع الشّيخ كان تيجانيّا ثمّ بايع الشّيخ الخديم. له ديوان شعر في مدحه مخطوط بمكتبة طوبى. انظر عنه عامر صمب الأدب الـ ـسّينغالي ... ص ص 321

كشف الشّيخ وصاح صيحة عظيمة فقال له الشيخ: ما بالك، فحكى عليه قصته وسرد له الأبيات وها هي: [كامل ]

فَعَلَي أَدْيُنُ إِخْوَةٍ قَسمْتُهَا بَيْنَ الكِرَامِ لَعل أنْ يَقْضُـو هَا
فَعَلَيْكَ يَا مُخْتَارُ أولُ قِسْمَةٍ وعَلَيْكَ يَا صِدِّيقَنَا ثَانِيــهَا
وَعَلَيكَ يَا فَارُوقُ ثَالِثُ قِسْمَةٍ وعَلَيْكَ يَا عُثْمَانَنَا تَالِيـــهَا
وَعَلَيْكَ يا لَيْثَ الكَتَائِبِ يَا أبَا الحسنين نَوَرَيْ دِينَنَا بَاقِيــهَا
أنْتُمْ كِرَامٌ لا يَلوذُ بِجَاهِكُمْ شَاكِي النوَائِبِ فَانْثَنَى شَاكِيهَا
فَعَلَيْكُمُ أزْكَى صَلَاةِ اللهِ مَا بِكُمُ الحَوَائِجُ[قَدْ قَضَى قَاضِيهَا] (*)

[65] فتعجّب الشّيخ كثيرا وحمد الله، فاندرج معهم الحسّاد ولم يمهلهم حسدهم أن ينتظروا قدوم السّيد إلى داره ووصوله، بل شرعوا يحصّلون تمهيدات لما سيقع منهم بعد من التحريك عند ما عاينوا دواعي التّحريك عندهم .

ولمّا صلّى العيد يوم الفطر وكان يوم الخميس، مكث يوم الجمعة والسّبت إلى العصر، ثمّ ارتحل ومرّ بدار المريد كُورْمَكْ جَوْ[173]، ثمّ

---

(*) ساقط من د

[173] Gor Mag Diaw من أتباع الشّيخ

جمع بين المغرب والعشاء هنالك لجدّ السّير ثم مضى إلى مكّةْ [174] صَمْبَ بَابُ [175] وبات، ثم ابتكر يوم الأحد إلى دار عمّه الشيخ إبراهيم [176] بِامْبَكِ كَجُورْ.[177] ثمّ ارتحل عصر يوم الاثنين إلى مصَمْبَ قِرِ جُوبْ [178] وهو بكورْ مُخْتَارْ [179] وبات ثم قال، ثمّ ارتحل عشيّة الثلاثاء إلى مختار مَرِيمَ صِلهْ [180] بِنَيَخَلْ . [181]

و مكث أيّاما ثمّ ارتحل إلى مُخْتَارْ صَمْبَ جُوبْ كُك غي [182] ثمّ قال ولم يبت بل ارتحل قبيل الغروب وهم يهيئون الأطعمة ولم يطعموا. ثم سار حتى وصل إلى داره دَار السّلَام ليلة الإربعاء نحو إحدى وعشرين، وفيها أخوه سيّد المختار[183] في أثناء شوّال هذا. وطفق الأخ يكرمه بما لا طاقة به لغيره من جملة أصحاب الشّيخ المطيقين فضلا عن أن يطيقه غيرهم. ومكث مدّة عشرة أيّام كلّ

---

[174] اسم قرية لصَمْبَ بَابُ

[175] Samba Babou من أتباع الشيخ

[176] مضى التعريف به

[177] Mbacké Cayor قرية

[178] Samba Khary Diop من أتباع الشيخ

[179] Keur Mokhtar موضع

[180] Makhtar Marema Sylla من أتباع الشيخ

[181] Niakhal قرية في منطقة Cayor

[182] Makhtar Samba Diop من أتباع الشيخ و" ككّ كي " Coki-Gouye اسم قرية في ناحية Cokki

[183] أخو الشيخ وهو معروف باسم Mame Cheikh Anta

يوم يذبحون عشرة من الثيران فإن لم يتمّ العدد تمّم بجمل أو جمال حسب ما نقص، وهم يهيئون له منازل عند الأخ " شيخُ إبراهيمَ " بين " دَار السلَامِ " و" طُوَبى" سمّاه الشّيخ "دارُ المنّانِ "[184] ثم تقدّم إليها في أوائل ذي القعدة. ولا تسأل عن أحوال الشّيخ ـِإْبَرَاهِيمَ هذا [معه فهو فوق ما يوصف، وإبراهيم هذا هو ] (*) [66] الذي ترك الشيخ العيال والأمتعة عنده أيام غيبته، فاجتمعت عليه أصحاب الشيخ أهل الحلّ والعقد يرأسهم الشيخ أَحْمَدُ أنْدُمْبَ[185]، وهو الذي كان يذهب ويأتي وينّبه الوسنان، و أقام قراءة أولاد الشيخ حتّى حفظوا في مدّة قليلة قبل رجوع الشيخ، لم ينخرم شيء من أمر الشّيخ، يضرب به الناس مثلا في الاستقامة. وصلّى العيد

---

[184] Darou l Marnane
(*) سقط من ج
[185] Amadou Ndoumba

هنالك، وبقي على حاله وتربيته وأمره وجماعته، فوق ما كان بأضعاف مضاعفة والمصاحف تقرأ في النّهار بالنّظر وفي الليل عن ظهر غيب، والقصائد كذلك وتدريس العلم وخدمة أهل الخدمة، كلّ ذلك لا يوصف. وكما أنّ أصحاب الشيخ وأحواله ارتقت فوق الوصف، فكذلك حسّاده وأحوالهم ارتقت فوق الوصف فعاد الأمر كما كان من تشغيب المشاغبين، حتّى آل الأمر إلى جرّ عسكر إليه.

و كان سبب جرّ العسكر إليه أنّ الوزير المتولّي أمر تلك النّاحية في ذلك الوقت معلوم الاسم والقبيلة ولكن لا أصرّح باسمه خوف التكدير على أبناء عمّه، ولو لم يوافقوه على نيّة وقول وفعل، ولكنّه ابن عمّ كفى أنّ الحاضرين يعرفونه إسما وذاتا وقبيلة، وأعاذ الله الغائبين أن يعرفوا اسمه، قد زعم أن الشّيخ عنده مدافع وبارود وآلات حرب أخرى،و هو متهيئ الآن. فإن ضممتم إليّ جندا لرأيتم ولعلمتم ما أفعل. فوافقوه ظاهرا، و لكن لا يثقون بقوله فحشروا أمراء البلاد معه، أمراء كَجُورْ [186] وَبُولْ [187] و سينْ "[188]

---

[186] Cayor من أقاليم السينغال سبق التعريف به ,

[187] Baol من أقاليم السينغال سبق التعريف به

[188] Sine من أقاليم السينغال قديما ، ويقع اليوم في محافظة فاتك Fatick

ولكنّ أمير سينْ" هو أحسنهم اعتقادا [67] وقولا. نعم هنالك أمراء بلغنا أنّ بواطنهم مع الشيخ لو رأوا موجبا. وبلغنا أنّهم لمّا وصلوا، شرع المتكّبر الذي تولّى كبره يقطع الجدر بسيفه ولا يستفتح بابا. كلّما تعرّض له جدار قطعه ولا يستحي، من غربي الدار إلى شرقيها. وكان صاحب "السينْ " قبل وضع له رقباء خوف أن يميلوا إلى بيت ويضعوا فيه أسلحة أو بارودا تصديقا لزعمهم، ولم يقع. ولو أرادوا لما يمكن لأنّ الأصحاب وإن كفّوا أيديهم فهم معهم بأعيانهم وأعينهم.

ثمّ لمّا لم يظهر شيء من زعمهم ولم يلح لهم شخص كالح الوجه عابس بل كلّ من رأيت من أصحاب الشيخ تظنه تطهّر للعيد وتزّين، علموا أنّ العدوّ مان، فخجل كلّ الأمراء واستحيوا إلاّ هذا المتمرّد، بل خجل ولكن تستّر بتجلّد. وتطلّب ضيافة الأمراء والعلف للدّواب، و ما طلبوا شيئا إلاّ وجدوه أهون من ماء الغدران في بحبوحة الخريف، فانقلبوا نادمين، جزى الله كلّ ذي نّية منهم نّيته.

كرامة: وقبل وصول الجيش اجتمع على الشيخ أقاربه وهم أشـدّ عليه من العقارب وهم من فزعهم خلعوا جلباب الحيـاء يعنّفـون

عليه، وكادوا لمّا بلغت قلوبم الحناجر أن يخرجوه من بين ديـارهم لو استطاعوا، إلاّ ما كان من أفرادهم الذين تربّوا عنده.

و الشيخ في كلّ هذا منشرح يقول لهم أبشروا والله لا ينتطح فيـه ع ان، ولكن من يسمع، فالقلوب طارت با العنقاء. وفي تلـك الأيّام أخرج لهم الشيخ قطعة عجيبة وقال: إن قرئت بـين أيـدي الجيش فلا شيء تسمعون أو ترون ممّا يسوءكم. وهي مرتّبة مـن حروف "رحمان رحيم " وها هي:

[بسيط ] رَبي بَما يَشْرَحُ الأَذْهانَ قَدْ فَجَأْ
بِجَاهِ أَفْضَل مَنْ لِلهِ قَدْ لَجَـأْ
حَمْدِي لِرَبٍّ كَرِيمٍ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَصَدْرِيَ الْيَوْمَ نُورًا سَاطِعًا مَلَأْ
[68 ] مُحَمدٌ صَلَوَاتُ اللهِ في أبد
عَلَيْهِ في حِزْبِهِ كلّي بِهِ كَـلَأْ
أَدْعُو إِلَاهِي الذِي عَمتْ مَوَاهِبُهُ
لِجُمْلَةِ الخَلْقِ مَا يَخْتَارُ منْ بَرَأْ
نَاجَيْتُهُ جَل أَعْوَامًا وكَرمني
تَكْرِيمَ هَادٍ وكُلي مِنْ لَغَى بَري

رَحْمَانُ هَبْ لِجَمِيعِ الخَلْقِ رَحْمَةَ مَنْ
يُغْنِي عَنِ الشَرِ مَنْ قُرْآنُهُ قَـرَأَ
حُطْ أُمةَ المُصْطَفَى مِنْ كُلِ مَفْسَدَةٍ
وَلْتَرْحَمِ الخَلْقَ يَا مَنْ جَدهُمْ بَدَأَ
يَا مَالِكَ المُلْكِ يَا مَنْ جَل عَنْ قَوَدٍ
ارْحَمْ جَمِيعَ الوَرَى يَا هَادِيًا رَدَأَ
مَحَوْت مَا قَدْ نَحَاهُ القَلْبُ مِنْ ضَرَرٍ
بِجَاهِ أَفْضَلِ مَنْ لِلهِ قَدْ لَجَأَ

أخبرني أخي مُحمّد بن عَلي اليَعْقُوبي المعروف عند العامّة بمُحَمّد طُوبى [189] لملازمته الشّيخ با وكثرة الذّكر بالهيللة، وكثرة قراءة قصائد الشّيخ: " لمّا أبرز الشيخ القصيدة أعني" رَبي بِمَا يَشْرَحُ "قال لي احفظها فحفظتها قبل وصولهم، فلمّا وصلوا دعاني فقال لي: اقرأها جهرا. فقرأتا كالمؤذّن وكرّرتا نحو ثلاث مرّات، فقال لي:حسبك فالأمر تمّ وصلح فكان كما قال لم نلق كيدا". قلت: وهذه القصيدة فعلت بجيش طُوَبى كرامة للشّيخ ما فعلت الطّير

[189] من مريدي الشّيخ لم نعثر له على ترجمة .

الأبابيل بجيش مكّة إرهاصا لنبّينا محمد صلى الله عليه وسلّم،إلاّ أن أولئك أهل سوء كُلاّ، فعوملوا بوفق نياتم (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)[190]، وهؤلاء جلّهم أهل خير أكرهوا وقلوبم مع الشّيخ، فأخّرهم الله حتّى تاب كثير منهم، حتّى مقدّمهم الذي هو الماحل تاب على شكّ بعض النّاس في أمره، لما علموا أنّ العجز لا يعدّ توبة. قال الشّيخ:

[رجز ]

حَقِيقَةُ التوْبَةِ تَرْكُ ذَنبِ
سَبَقَ مِثْلُهُ لِوَجْهِ الــ ـ ـرب
عَلَى اخْتِيَارٍ لَا كَمِثْلِ الصمَمِ
وَدَاءِ فَرْجٍ وعَمَى وَبَـكَمِ
[69 ] بَلْ تَرْكُه فَقَطْ لِتَعْظِيمِ العَظِيمِ
والخَوْفِ أيضًا مِنْ عَذَابِهِ الَألِيمِ

قلت: وعلى كلّ حال هو ينتسب إلى جماعة الشّيخ وبم يتعّيش عجز أو تاب، فكم تاب الله على مسيء رجع وتاب، فترك

---

[190] قرآن الفيل آية 5

التعرّض له أسلم وحسن الظنّ به أتمّ. قال الله تعالى (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ) [191] صدق الله العظيم.

و لمّا ارتحل الجيش خرج بعدهم بإذن ربّه ومخدومه إلى الغيبة الثّانية التي يقول فيها:

[رجز]

مَنْ ظَن سَيْرِي غِب عَامِ" أَكْسَسْ"
مِثْلَ مَسِيرِي رَأْسَ عَامِ "جَيْسَسْ"
ثَبتَ كوْنُهُ جَهُولًا غُمْرَا
بَلْ هُوَ تَطْبِيبُ العَلِيِ لي العُمْـرَا
لَمْ يَكُ سَيْرُ "أَكْسَسْ" سِوَى جَزَا
مَنْ لي قَادَ بَعْدُ وَعدًا أُنجِـ ـزَا

---

[191] قرآن البقرة آية 275

## فصلٌ في الغيبة الثانية إلى أرض البياضين

ولمّا كان يوم السّبت تاسع عشر شهر المولد عام " أكسش " (15/ 3 / 1321 ه / 15/ 6 1903 م)، خرج الشّيخ من داره دارُ المّنان بعد كتب ورسل من الدّولة تستقدمه أنْدَرْ، بعد صلاة الظّهر فبات في " انغَبُ "[192] مع قائد الجيش،و أصبح إلى أنجَاريمْ[193] ثمّ إلى تُول[194] ثمّ إلى تيوَاوُن[195]. ومن هناك ركب في سفينة البرّ إلى أنْدَرْ[196](*)، ثمّ في سفينة البحر إلى دَغنَ[197]، كلّ ذلك في أسبوعه. ثم مكث فيها خمس ليال، ثمّ عبر النّهر من دَغنَ بعد كذا والعشرين من شهر المولد [70] مع صاحب شيخ سيديَ بَابَ وهو شيخنا أبْنُ دَادَهْ[198]، ولعلّ ذلك لما يقال إنّ شيخ

---

[192] Ngabou ، قرية في ناحية طوبى

[193] اسم ثان لجُرْبِلْ سبق التعريف با.

[194] Toulé قرية

[195] Tivaouane مدينة في محافظة تييس Thiès وهي عاصمة الطّريقة التيجانية في السينغال

[196] Saint-Louis

(*) في ج لغه وفي د دغن والصّحيح اندر إذ لغه بعيدة عن النّهر ودغن لا تصلها السكّة الحديدية

[197] Dagana قرية شمال السّينغال على نر السّينغال وإليها ينسب المؤلّف.

[198] لعلّه الشّيخ سيدي محمّد بن الدّاه بن داداه المتوفّى سنة 1360 هـ/ 1941 م عن تسعين سنة وهو ينتمي مثل الشيخ سيديا بابا إلى مدرسة أولاد أبييري. انظر عنه المختار بن حامد حياة موريتانيـا II / 350. ذكره له الخليل النّحوي رسالة في " وظيفتي المفتي والقاضي " بلاد شنقيط ... ص 513

سِيدِيَ[199] قال لهم: إنّ هذا الشّيخ لا يخشى من جهته سوء ما، فقالوا له: أتضمنه لنا ؟ فقال: أضمنه لكم،فقالوا: إذن نسّيره معك. فرضي. وأمّا الشّيخ فلا ينازع إلا ريثما ينتظر الإذن من ربّه ومن مخدومه، فيظنّ أنّه نازِع وما نازع فسار مع الوفد إلى أن وصل إلى "الشيخ سيديَ " في بعض المنازل، وهو إذّاك ليس في مواطنه بل في منازل غيره من بَنِي دَيْمَانَ[200] لأمر ما بين قومه وبين بعض القبائل. ف ل معهم وارتحل بارتحالهم مرّات. ثمّ لمّا كثر عليه الارتحالات في شهر أو شهرين لا يكادون يستقرّون وذلك خلاف عادة بلاده، ضرّه ذلك هو وعياله. وأيضا فإنّ أصحابه يأتونه حيث كان، والمحالّ بعيدة واللّصوص كثيرة في الطّرق فقد ضرّوهم غي ما مرة. فطلب مفارقتهم لذلك فأبوا عليه حرصا على مرافقته،و للعلّة السّابقة من وصّية الحكومة.

و لكنّ الشّيخ صمّم فعلموا صدقه وأنّـه لا يطلـب أمـرا لهـوى نفساني،فوافقوه وعذروه، وباسطهم ببيت قديم:

[وافر] وَلَوْ نُعْطَى اَلخَيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا

---

199 سبق التعريف به

200 سبق التعريف بهم

وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الزمانِ

فقال هو لا خيار مع الحشيش، يعني أنّكم تطلبون المرعى حيث كان فأطربم ذلك.

ثم إنّ رمضان في ذلك العام صامه في صَرْصَارَ [201] موضع[71] معروف عند أهله.

و كثر الوافدون عليه فيه والآخذون منه لا سّيما من "بَنِي دَيْمَـانَ"، ومن أعيانم أولاد "بَيْدَحَ عَبْدِ اللهِ" [202] وإخوتـه، وفي ذلـك يقول: [بسيط ]

حَمْدِي وَشُكْرِي لِمَنْ كُلِي بِهِ صَارَا
لَهُ رِضَى دُونَ سُخْطٍ عِنْدَ صَرْصَارَا

لَهُ ثَنَائِي ورِضْوَانِي بِلَا سَخَطٍ
مُذْ قَادَ لِي مِنْ بَنِي دَيْمَانَ أَنصَـارَا

لِلهِ كُلي لَدَى آبَارِ مَكْرُمَةٍ
مِنْهَا ارْتَحَلْنَا وفيْهَا جَم مَنْ زَارَا

---

201 Sarsara قرية جنوب موريتانيا

202 فرع من بني ديمان

إن الذِينَ إلى صَرْصَارَ قَدْ قَصَدُوا
زِيَارَتي فَارَقوا الدارَيْـنِ أوْزَارَا

وفي " صَرْصَارَ" هذا ذكر أنّه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقظة لا مناما، ولقّنه ورده هذا. وتقدّم قبل هذا أنّه جاءه " السّيد الأمين "[203] في البحر،و سلب منه كلّ ما كان أخذه من النّاس حتّى لم يبق معه شيء، ثم أعطاه القادريّة إلى آخر النّقلة التي تدلّ على أنّه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلّم في البحر. وجاءه "جبريل" وهو " السَيدُ الأَمِينُ "الذي سلب منه ما سلب، وردّ له ما ردّ بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

و لقد حضرت يوما وسأله بعض علماء البياضين عن " السيدِ الأَمِينِ " أهو جبريل أم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: هو " جبريل". فقال:أ جبريل يلقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ فأجابه الشيخ ببيتي "نَاظِمِ الغَـزَوَاتِ " [204]: [72] [رجز ]

[203] جبريل كما سياتي

[204] هو أحمد البدوي اللسي المتوفى سنة 1208 هـ / 1793. عالم شاعر له نظم أنساب العـرب ونظم الغزوات و نظم الفتوحات. انظر الخليل النّحوي بلاد شنقيط ... ص ص 503 ، 549

وَقِيلَ إن " جِبْرِيلَ" يَحْضُرُ      مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وقَوْمٌ أنكَرُوا
مَجِيئَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ       والحق أن لَيسَ لهُ تَنَاهِ

ثمّ قال له: لكنّ مثل هذا الكلام موجّه إلى أهله الذين لهم ذوق فيه وتصديق، فحسب العامي أن يسلّم أو يسكت لئلاّ يتضرّر. قلت فمثاله مثال من أُذن له في إيقاد نار لغرض صحيح فأوقد فأقبل الفراش يقع فيها فيموت فلا عليه. فكذلك المأذون إذا تكلّم.

و قلت: ورؤية الأولياء للملائكة أمر لا ينكر، بل نقلت من خطّ شيخنا الخليفة الحاج مُحمّد الفَاضِل[205] و هو نقله من بعض اللامع الصّحاح ما نصّه: "المفتوح عليه سواء كان نبّيا أو وليّا، لابدّ أن يشاهد الملائكة بذواتم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبوه، وكلّ من قال إنّ الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلّمه فذاك دليل على أنّه غير مفتوح عليه انظر ولابدّ .

و هذا حجّة لمن وافق على من خالف، فحيث أنّ جبريل يحضر من مات مؤمنا وأن المفتوح عليه يرى الملائكة ويكلّمهم، وحيث أنّ إلهام الأولياء يأتي بواسطة ملك وبغير واسطة، فجبريل أمين وحي

---

[205] ابن الشّيخ أحمد والخليفة الثّاني للمريدين ( 1945-1968)

الله غير مستحيل أن يكون واسطة في إلهام الله لبعض أوليائه الكمّل إذ هم ورثة الأنبياء , فقد أعان سّيدنا حَسان [206] رضي الله تعالى عنه بحضرة الّنبي صلى الله عليه وسلّم معجزة له وكرامة لولّيه،[73] فغير مستحيل له أن يعين خديمه بعده معجزة له تأخّرت وكرامة لولّيه المتأخّر الخديم له خدمة حسّان ولّيه المتقدّم. فهما أخوان في الخدمة."، إلى آخر الّنقلة.

ولا بأس بذكر الّنقلة حتى تشاهدها فها هي: قال رضي الله تعالى عنه: " أمّا الباب الذي فيه أوراد الّناظم فلا فصل فيه. فأوّل ما أخذ الّناظم من الأوراد الطّريقة القادرّية، وبعدها الطّريقة الشّادلية وبعدها الطّريقة التّيجانية. وأمّا الورد القادري فقد عمل به مدّة طويلة وكان يطلب فيه الإذن من كلّ من كان يظّنه مقدّما فيه حتّى أخذه من رجال متعدّدين. ثمّ بعد ذلك ظهر له يقينا أنّ كلّ من كان يأخذه منهم ليسوا بمقدّمين، فطلبت من الله تبارك وتعالى أن يهب لي فيه ما لا يكون لي معه تحّير ولا تذبذب. وبعد ما غّيبني إلى البحر وحدي، وحده جاءني " السّيد الأمين " عليه السّلام وسلب مّني كلّ

---

[206] حسّان بن ثابت الأنصاري شاعر الرّسول ( ت 53 هـ )

ما أخذته عن الناس حتى لم يبق لي شيء، ثمّ أعطاني القادريّة بواسطة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " وهذه النّقلة وما شابهها من المكاتيب تدلّك على لقاء النّبي، ولقائه جبريل من غير ما دعوى النبوّة ولا وحي بل بحسب ما اختصّ الله بعض أولياءه الكمّل.

قوله "أوراد النّاظم" يشير إلى القصيدة التي ذكر فيها المشايخ الشّراف الثّلاثة، ووراثته إيّاهم، وذكر سيّدنا أنس [207] وسيّدنا حسّان رضي الله عنهما، ووراثته إيّاهما بقوله: " لي قدت [74] بما فاق به الجيلاني"إلخ. فمن أراد إزاحة لبسه في ذلك فلينظر"تنوير الحَلك في إمكان رؤية النّبي والملك "[208] للسّيوطي، فإنّه البحر المحيط في ذلك.

ثمّ إذا تأملت في هذه النّقلة وما يأتي بعدها وجدت واقعة البحر في سلب ما كان أخذه من غير رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وردّه ثانيا منه صلى الله عليه وسلّم ومن نوابه المشايخ الشّراف الثّلاثة ليكون نائبا عنه صلى الله عليه وسلّم وعنهم رضي الله عنهم في أورادهم. فهو المقدّم المطلق الذي لا حجر عليه في ورد ما.

---

[207] أنس بن مالك الصّحابي

[208] رسالة للسّيوطي

ووجدتَ واقعة " صرْصَارَ" في تخصيصه بورده الخاصّ الذي لم يتقدّم لشيخ بتربيته تمسّك ولهذا كان لا يأمر من تعلّق به، وقد أخذ وردا قبله أن يترك ورده، بل يأمره بالتمسّك به على نية أنّه أخذه منه. وإذا تعلّق مريد ولم يقل شيئا يأمره بورده الخاصّ. ولذلك قال شيخنا "مُحمّد البَشِير امبكي"[209] ابن المترجم له في قصيدة أبان فيها مزيّة ورد الشّيخ على الأوراد فهاكها برمّتها، ففيها قوله " لي قدت ما فاق به الجيلاني" إلى الأبيات التي ذكرها مُحمد البَشِير امْبَكِ في قصيدته هذه: [رجز ]

بِسْمِ الإِلَهِ أَبْتَدِي نَظْمًا يُفِيدْ
مَنْ كَانَ سَالِمَ الفُؤَادِ يَسْتَفِيدْ
الحَمْدُ لِلهِ وصَلى بِسلَا مِ
عَلَى النبِي المُصْطَفَى خَيْرِ الأَنَــامِ
و آلِهِ وصَحْبِهِ الغُرِ الكِرَامِ
مَنْ كَشَفُوا دُجَى القُلُوبِ والظَلَامِ
[75] وَبَعْدُ فَاسْتَمِعْ مَقَالَ نَاصِحِ

---

[209] صاحب كتاب " منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم " المذكور في أوّل الكتاب.

لِنَفْسِهِ ولكَ بِالمَناجِـــــجِ

يَا رَائِمَ الكَمَالِ فِي السعَادَةِ

مِنْ طُرُقِ المَشَائخِ الثلَاثــــةِ

طَرِيقَةِ الشيْخِ الِإمَامِ الجيلي

والشـاذلي الحائـز التفضيـل

ثم أبي العباس فخْرِ الكُمل

مَن حُكْمُهُمْ في القَصْدِ حُكمُ الْأول

مَعَ خَصَائِصَ لِكُل يَحْتَوِي

بَا طَرِيقُهُ اخْتِصَاصًا قـــدْ رُوِي

فَالْتزِمَنْ طَرِيقَةَ العَبْدِ الخَدِيمِ

مَنْ خَصهُ بِإِرْثِها الرب القَـــدِيمُ

لأنــهُ لِكُــل وِرْدٍ سِـر

في كِلْمَةٍ فِيه هدَاكَ البِـــــر

وعِلْمُهَا عِنْدَ ذَوِي البَصَائِرِ

لَا غَيْرُهُمْ حِكْمَةُ رَبٍ قَاهِـــر

مِثَالُهُ اللَيْلَةِ في شَهْرِ الصيَامْ

وسَاعَةِ الجُمُعَةِ في الكمّل تُرَامْ

أوْلَاهُ مَوْلَاهُ الخَيْياتِ مَعـا

مِنْ بَعْدِ ما خَدَمَهُمْ و رَفَعَـا

جَنَابَهُمْ لِوَجْهه الكَرِيمِ

حَتى حَبَاهُ الكُل بِالتقديـ ـمِ

ثُمتَ رَقاهُ الرسُولُ المُصْطَفَى

صَلى عَلَيْهِ رَبّه كمَا اصْطَفـى

لِحَضْرَةٍ تَغِيبُ عنْ سِواهُ

لَدَى العِلي فَوْقَ مَا يَهْـ ـوَاهُ

مِنْ ثَم قدْ أَوْرَثهُ المكْنونَا

بِالخَيْرِ سَابقًا جلَا فُتونـ ـ ـا

بِإِذْنِهِ جَل تَعَالَى مُصْطَفَى

بِالمُصْطَفَى مَخْدُومِهِ المُولي الصفَا

مِنْ كُثْرِ مَا خَدَمَهُمْ وَأخْلَصَا

لِرّبه الدِّينَ وَفيا مُخْلِـصَـ ـا

فَجَمَعَ الكُل وزَادَ وارْتقَى

بِمُحْكَمِ الكِتَابِ نِعْمَ مُرْتَقـى

[76] فَإِنْ أَخَذْتَ وِرْدَهُ أَخْذًا

وِرْدَ الجَمِيعِ لَا تَخَافُ كَبْتَا

والوَعْدَ مِنْهُمْ تَحُوزُ ثُم لَا

خَوْفَ عَلَيْكَ مِنْ وَعِيد مُسْجَلَا

لِأَنهُ لِلتْرْكِ كُليا وَمَنْ

أَخَذَهُ فَبِالخَصَائِصِ قَمِنْ

فَأَخْذُهُ الحُسْنى مَعَ الزِيَادَهْ

لِجَمْعِهِ الجَمِيعَ مَعْ زِيَادَهْ

وأَصْلُهُ اسْتَعِذْ وسَمِّ واقْرَأ

آيا مِنَ الكِتاب ثُمتَ ابْدَأ

مُحَسْبِلًا مُسْتَغْفِرًا مُهَيْلِلَا

مُصَلِّيا عَلى إمامِ النَّبَلَا

وَبَعْدَهَا خَاتمَةٌ مُسْتَحْسَنَهْ

تُنيلُ عِندَ الله كُلَّ حَسَنَهْ

وهَذِهِ أُصُولُ أَوْرَادِ الجَميعْ

ثُم لِكُلٍ اخْتِصَاصٌ مَا رَفِيعْ

فَحَازَ هذَا الشيْخُ مِيراثَهُمْ

مِنْ يَدِ خَيْرِ خَلْقٍ مُوصِلِهِمْ

قَالَ مُحَدِّثًا بِتِلْكَ النِّعَمِ

يَشْكُرُ مَنْ يذْكُرُ خَيْرَ مُنْعِمِ

"مَلكَنِي مَالِكُ كُل جَامِعِ

وكُل مَسْجِدٍ مُنى المَجَامِعِ"

وقَالَ شَاكِرًا كَرِيمًا فَرْدَا

أَوْرَثَهُ الكِتابَ إِرْثا أَجْـدَى

"مَدَدْتُ لِلهِ يَدِي ومَدا

فِي البَحْرِ لِي مَدَدُهُ فَامْتـدا

كِتَابُهُ العَزِيزُ صارَ وِرْدَا

لِي وَنفَى عني عِدَايَ طَرْدَا"

فَكَانَ مَنْ لاَزَمَهُ التِّلاَوَهْ

بِقَدْرِ طَاقَةٍ يُرِي حَـ ـلاَوَهْ

وإِنْ تُرِدْ تَفْصِيلَ مَا ذَكَرْتُ

فَهَاكَ مَا مِنْ نَظْمِهِ سَطَرْتُ

" لِي قُدْتَ مَا فَاقَ بِهِ الجِيْلاَنِي

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الذِي أَعْـلاَنِي

ِإلي قُدْتَ ما ِبِهِ أُبو الحَسَنْ
فَاقَ ِبخِدْمَةِ النِبي جَدّ الحَسَنْ
[77] تَممْتَ ِلي بَما بِهِ الّتيجَاِني
فاَقَ وكُنْتَ ِليَ ِبالمّرجَاِن
ِلي قُدْتَ مَا زَحْزَحَ عَني الدَنسْ
صِرْتُ خَدِيمَ المُصْطَفَى ِمثْلَ أُنسْ
مَلكْتِني وقُدْتَ ِلي إِحْسَاَنا
وَرِثتُ في مَدْحِ النبي حَساَنا
عَلْيهمُ الرضْوَانُ والسلاَمُ
كَمَا ِبِمْ قَدِ اْنتفَى الظـ ـلاَمُ"
وقَال مُثْنِيا ِلشُكْرِ الصمَدِ
عَلَى الكِتَابِ والنِبي وَالحُمدِ
"هَدِيَتي ِمْنكَ وِمنْ مُحَمد
سَّيِدَنا مُغْنَيةٌ عَنْ كَمَـ ـدِ
دَرَجَةُ المَاحِي مَحَتْ تَرَددِي
والجَاهِ ِلي جَرتْ بلَا تَخددِ
يَشْكُرُ كلي رَاِفعًا مُؤَيدي

عَلَى الكِتَابِ والنبي الجَيِّدِ

إن الكِتَابَ وَرَسُولَ الصَّمَدِ

قَدْ رَفَعَا كلي بغَيْر عَمَـدِ

لَيِنَ لي الذكْرُ فُؤَادَ المُهْتَدِي

ولِسِوَايَ سَاقَ كُل مُعْتَدِ

لِلْمُنْتَقَى وَجهْتُ قَلْبِي وَيَدِي

بِخِدْمَةٍ وَلي حَبَا بِالَأَيْـدِ

أَجَابَنِي السمِيعُ نِعْمَ صمَدِ

في رَمَضانَ بِالنبي مُحَمدِ

هَدَى فُؤَادِيَ اللهُ صَانَ جَسَدي

عَلَى رِضَاهُ وأَزَالَ مَفسَدِي"

وقَالَ أَيضًا في مُنَاجاةٍ مَعا

مَوْلَاهُ بُشْرَى لِلْمُحِبِّين مَعَـا

"يا مَنْ عَفَا عَنْ وَالدي وأُمي

ومَنْ يُحِبني بغَيِر غـمّ

وَعِبْتَ بي فِيكَ وَفي خَيْرِالوَرَى

عَنِ الوَرَى وَلي وَهَبتَ السوَرَا

قَدْ غِبتَ بِي قَبْلُ مَعَ المُخْتَارِ
عَنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ ذَا اسْتِتَارِ
عَبْدًا خَدِيمًا في الْبُحُورِ كَائِنًا
بِكَ مَعَ الحَقِّ هُنَاكَ بَائِنًا"
وقَالَ في بَعْضِ المَوَاهِبِ الَتِي
خُصَّ بِهَا مُتبعُوا الطرِيقَةِ
[78] "وَجَهَ رَبِّي لِغَيْرِ مَنْ بِهَا
تَعَلَّقُوا أَذًى يُلَاقِي الأَغْبِيَا"
أُتحَفهُ رَبٌ عَلَى ذَاكَ قَدِيرْ
بِهَا وهُوَ بِالإِجَابَةِ جَدِيرْ
بِالمُصْطَفَى البَدْءِ الخِتَامِ الأَكْمَلِ
صَلى عَلَيْهِ رَبُّهُ بِالكُمَّلِ

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العلمين.

ولنرجع إلى الكلام في أصل الورد ونصّ ما كتب في ظهر نسخته من الورد هكذا:

(بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما. ليعلم النّاظر في هذه الحروف المكتوبة بعد تمام الورد أنّ كاتبها أحمد بن محمد بن حبيب الله البَكِيّ نسبا، البَوَلي وطنا، أذن لأخيه في الله تبارك وتعالى السّيد مُصْطَفَى عُثْمَان،[210] الحلبي مولدا والمدني موطنا في العمل بأمور هذا الورد المبارك وفي إعطائه من شاء من الإخوان والأخوات كما أخذه من الله تبارك وتعالى بواسطة رسوله صلّى الله عليه وسلّم يقظة لا مناما عام"بَكْسَشٍ "(1322 ه/ 1903) من الهجرة النبوّية على صاحبها أبقى صلاة وأنفع تسليم في موضع يقال له " صَرْصَارَ " في (شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلناسِ وَبَيِنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)[211] والله على ما نقول وكيل. سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.)

---

[210] لم نعثر له على ترجمة

[211] قرآن البقرة 18

قال أخونا مُحَمّدُ عَبْدُ اللهِ العَلَوِي [212] في كتابه"النّفحات المسكّية [79] في الخوارق البكّية " إنّ الشّيخ أعطاه الله ورده هذا،فأعطاه لمريديه ورغّبهم فيه وكان حقيقا بذلك، وقال لهم أنّ من واظب عليه مع شروطه يدخل الجنّة بغير حساب ولا عقاب، ويمنعه الله من المكاره في الدّنيا والآخرة ولا يقربه الشّيطان. ويكفي هذا الورد من الشّرف، أنّه لا يغني عنه ورد ويغني عن كلّ ورد. وقال شيخنا ووسيلتنا إلى ربّنا تعالى حين أعطانا هذا الورد الشريف: أعطيتكم هذا الورد لوجه الله تعالى الكريم فخذوه لوجه الله تعالى الكريم. ثمّ قال: خذوه بقوّة ومن كان منكم عنده ورد قبله وقدر على جمعه معه فهو نور على نور، وإن لم يقدر اقتصر على هذا الورد الشريف، انتهى منه. وقال المؤرّخ: بسم الله الرّحمان الرّحيم هذا

---

[212] محمّد عبد الله بن عبيد الرّحمان العلوي ( ت 1370 هـ / 1950 م ) ذكره الخليل النّحـوي في المؤلّفين الشّناقطة وذكر له كتاب النّفحات المسكّية في السّيرة البكّية " ولم يذكر " الخوارق ". بلاد شنقيط ... ص 590

تقريظ وتاريخ أَحْمَدَ بْنِ الْحسَنْ [213] لورد شيخه الشيْخِ الخَدِيمِ نفعنا الله به في الدّارين آمين

[رجز ]

أسسَ رَبّنا لَنا أعْمَالَنا
بِورْدٍ خَيْرِ مَوْرِدٍ بُشْرَى لَنَـ ـا
بورْدِ شَيْخَنا البكِي أحْمَدَا
عَنْ رَبّه وَاسِطَةً بأحْمَـ ـ ـدَا
صَلى عَلْيه رَبّنا وسَلمَا
ما دَامَ لِلْفَوْزِ العَظِيمِ سُلمَـ ـا
أعْطَاهُ ذَا الورْدَ عن المُرِيدِ
يا لَكَ مِنْ شَيْخٍ ومِنْ مُرِيـ ـدِ
قَدْ خَصّهُ بلُؤْلُؤٍ مَصُونِ
في صَدَفٍ عَنْ غَيْرِهِ مَحْصُونِ
[80] دُر لِشَيْخِنَا الرّضى المُعَظّمِ

---

[213] من الشعراء الموريتانيين ومن مريدي الشّيخ الخديم ، وقد قرظ الورد المريدي وأرّخه في قصيدة من سبعة وسبعين بيتا سّماها " دليل من رام الدّليل في ورد شيخنا المقدّم الجليل "و هي مثبتة في مجموع بعنوان " دواوين شعراء أهل الزّوايا المررتانيين في مزايا الشّيخ الخديم ." مخطوط في مكتبة الشّيخ الخديم بطوبى.

ِفي حَوْزِهِ حوْزُ جِوَارِ الأَعْظَمِ

أبرَزَهُ يوْمَ العَرُوبَةِ ِلمَنْ

أَسْعَدَهُ اللهُ مِنْ أبناءِ الزمنْ

خَامِسَ شَوالٍ شَهِدْنا كرَمَا

مُنْشِئ ذَا التّارِيخِ تَاجِ الكُرَمَا

أَحْمَدُ شَيْخُنا البَكِي مَنْ سَفَرْ

عَنْ وَجْنَةِ الحق بحَضَرٍ وسَفَرْ

في الغَيْبَةِ الثانِيَةِ التي حَبَا

بِهِ البَياضِينَ اِلإلهُ مَرْحَبـ ـَا

أبرَزَهُ لَنا ِلوَجْه الله

باللهِ عَنهُ لَا تَكنْ بـ ـ ـ ـلَاهِ

ِلوَجْهِهِ ِإذَا أَرَدْتَ الظفَرَا

ِبمَا أَرَدْتَ الصَيْدَ ِفي جَوْفِ الفَرَا

يَا رَبّنا ِبجَاهِ قَائِدِ الأُمَمْ

ِإلىَ الهُدَى مُحَمدٍ جَالِي الغُمَمْ

عَلَيْهِ بالآلِ وبالأصْحابِ

أنمى سَلامٍ مِنْ مُنْشِئ السحَابِ

وجَاهِ شَيْخِنَا الْبَكِي هَبْ لِي
إِدْرَاكَ ما أَرَادَ مَنْ مِنْ قَبْلِي
مِنَ الْعُلَى مُنْتَظِمًا في سِلْكِ
منَ قَرُبوا إِلَيْكَ يَا ذَا الْمُلْكِ

**و لنرجع إلى ذكر الغيبة الثّانية:** ثمّ إلى تَنْتَ مُغْزِينْ،[214] وفيه وقعت له واقعة فظيعة وذلك أنّ رجلا من البياضين معروف الاسم والقبيلة وأنا أعرفه ذاتا،إنّما سترته سترا لبني عمّه من المسلمين أراد الفتك بالشّيخ فأعاذه الله منه. وذلك أنّه وفد على الشّيخ وأظهر له ودادا صادقا أو تعلّقا فستره الشّيخ، وأدخله من جملة عياله وكتب له ثلاثة أبيات، وأمره بملازمتها والدّوام على قراءتا ليلا ونارا ففعل. والأبيات هكذا: [رجز]

[81] إلى سِوَايَ الضُر كَالشَيْطَانِ
مَا لَهُمَا عَلَي مِنْ سُلْطَانِ
اللهُ رَبّي والنبي المُجْتَبى
صَلى عَلَيْهِ مَنْ هَدَاهُ واجْتَبى

---

[214] Tamta-Maghzine قرية في جنوب موريتانيا

خِلّي وحبّي وأبى مَضَرِتي
وَرَاَمَ مِنْ رَب الوَرَى مَسَرِتي

فكان البيضاني يقوم بها آناء اللّيل وآناء النّهار، بين الملإ وفي الخلاء بعد سورة يس يقرأ كالمؤذن يقول يس، يس، يس، حتى يكرّر لفظ يس سبع مرّات، ثمّ يسرد إلى آخر السّورة ثمّ الأبيات ثمّ يس بالكيفيّة، ثمّ الأبيات بالتّكرار ثم هكذا. ولا يكاد يسكت إلاّ لتعب أو نوم، فدام على تلك الحال أيّاما قيل أو شهرا، وكان الشّيخ إذّاك مع آل "شيخ سيديَ" مختلطا بخيامهم فأمر التلامذة أن يبنوا دارا خارج الحيّ ففعلوا. فلمّا تمّ أعلم " الشيخ بَابَ" [215] فأمر أخاه الشّيخ سِيدِي مُخْتَار [216] أن يذهب لتشييعه إلى القصر ففعل، فأمر الشّيخُ أحمدَ البَيضَانِي [217] أن يذهب معهم ويقرأ الأبيات الثّلاثة كعادته ففعل حتّى وصلوا.

و في تلك اللّيلة سوّل له شيطانه بأنّ حيلتك تمّت فأنفذ عزمك. فقام بعد وهن من الليل وهدوء من النّاس، ونزع ثيابه وبقي كما ولدته

---

215 سبق التعريف به

216 أخ للشيخ باب سيديَ

217 ( من مريدي الشّيخ الموريتانيين

أمّه، فدخل باب دار الشّيخ يريد البيت الذي فيه الشّيخ، وكان يعلم مكان سيف الشّيخ في النّهار، فتوجّه إليه وأخذه وجرّده من غمده. وكان من قضاء الله أنّ رجلا من أهل بيت المملكة الكَجُورية ومن أحسنهم توبة وانسلاخا [82] من الدّنيا يقال له عُمَرْ فَالْ اَنْدَت[218] كان في المسجد يتهجّد فلمّا مرّ به الرّجل قام مسرعا إلى القائم بأمور الشّيخ الداخلية مَحّمّد الأمين اَنْيَنْغ[219] بن مُحمد الأمين مَتِ[220] و هو أي الوالد ابن خالة الشيخ شقيقة. فأعلمه بأنّ شخصا متجرّدا توجّه نحو بيت الشّيخ، فقام المريد مسرعا فوجد الرّجل أخذ السيف وجرّده وهو يتأمّل كيف يتمكّن من الضّرب والشيخ مضطجع قريب منه. فلما هوى إليه تعلّق السّيف بحاشية الخيمة، وصادف وثوب الرّجل عليه كأنّه جمل صائل حمله، وصرعه فصاح اللصّ وصاح المريد عليه كأنّه يريد أن يأكله فملأت الأرض صيحتاهما، فصاح من كان بالقرب، واجتمعوا فقام الشّيخ وحال بينهم وبين الرّجل أن يقتلوه وسكّنهم. ثم أرسل خفية إلى جماعة

---

218 Omar Fall Ndaté
219 Mouhamadou Lamine Niang
220 Mouhamadou Lamine Maté

باتوا بعيدا عن محلّ الواقعة كان وعدهم بالإطلاق ثمّ دعاهم وقال لهم: ليصحبكم هذا البيضاني إلى محلّ ُبسطة[221] النّصارى في خماك [222] أي سهوة الماء، ثم خلّوه وامضوا إلى سبيلكم.

ثمّ أوصاهم بالرّفق به وإعانته على متاعه، وأخفى عليهم الخبر استبقاء لنفسه لله، ولم يؤاخذه بسوء فعله. ويخيّل لبعض الأصحاب أنّ ردّ الشّيخ البيضاني إلى ذلك الموضع إشارة إلى أنّه دسّ منهم والله تعالى أعلم. وقد ذهب كيده باطلا، وظهر للشيخ في الأبيات كشف عجيب، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا .

قلت: وهذا من سلامة الصّدر والرّضى [83] بالله وبقضائه لم يعهد في غيره من أهل عصره وتذكّرنا بأمر مخدومه في بعض غزواته إذ وجده الأعرابي اسمه " دُعْثُورُ " [223]مضطجعا منعزلا عن أصحابه، فاخترط سيفه فهوى إليه وقال: من يمنعك منّي ؟ فقال: الله، فأرعد الرّجل وسقط السّيف من يده، فأخذه صلّى الله عليه

---

221 poste

222 Khoumak قرية في جنوب موريتانيا

223 هو دعثور بن الحارث بن محارب. انظر غزوة غطفان في كتاب المغازي للواقدي I / 194 - 195

وسلّم وقال: من يمنعك منّي أنت يا دعثور ؟ فقال: كن خير آخذ. فعفا عنه، ولم يعاقبه.

و هذا البيضاني رجع إلى الشّيخ في " خمَاكْ " فهمّ به التّلاميذ، فعلم الشّيخ وخرج شدّ النّهار ولم ينتعل وهو يقول جهرا: اتركوه، اتركوه، ألا تحّبون أن يغفر الله لكم، بتكرار فانتهوا. فأمره بالخروج خفية بعد الإحسان. ورجع إليه في جرْبِل°[224] كذلك، يدافع الشيخ عنه ويقول له: صاحب السّيف، ويقول هو: لا بل صاحب الإغماء، فيضحك الشيخ ثمّ أخرجه بعد إحسان.

ورأيته أنا بعد ذلك في تياسْ چِنْقِيْن [225] ومعي جمع من الطّلبة، لم يعرفه غيري لو قلت هذا فلان، لقتلوه ولكن أين خلق الشيخ، الحمد لله.

ثمّ إلى "جَرار "[226]، موضع للعلويين وسّماه بير الخير وفيه يقول هذه القصيدة:

[بسيط]

---

[224] Diourbel

[225] Thiès مدينة ومقرّ محافظة إلى الشرق من دكّار

[226] موضع

قَدْ جَاءَنِي السّولُ من رَبي بتكْرَار
لَاسِيَمَا عِنْدَ بِير الخَيْر جَـرار
حَمْدِي وشُكْرِي لِرَبّ قَادَ لي مِنَنًا
فِي السر وَالجَهْر مَحْبوًبا لأبْرَار
لِي قَادَ يُمْنَ صِحَاب المُصْطَفَى مَلِكِي
وكَانَ لي لَا يُرِيني شر فُجار
شُكْرِي لِبَاقٍ قَدِيمٍ قَدْ حَمَى قِبَلي
عَنْ كُل سُوءٍ بِفَيْضٍ مِنْهُ لي جَار
[84] لَهُ شُكُورِي لَدَى عُزٍّ قَدْ انْتَسُبوا
إلى عَلِي بلَا عَادٍ و غَـرار
صَلى وسَلمَ بَاقٍ لَا شَرِيكَ لَهُ
عَلَى الذِي السؤْلَ آتَانِي بِتَكْرَار

قال العلويون لم يدروا لم سّماه الشّيخ " بير الخير" وهو لم يسبق إليه، و لم يسمعوه من آبائهم حتّى دفن فيه الشّيخُ أَحْمَدُ بنُ بَدّ "[227]

[227] الشيخ أحمد بن بدّي (محّمدي ) بن سيدينا العلوي ذكره الخليل النّحوي ( ت 1323 هـ / 1905 م )
و عدّه " من أكابر التيجانّية ". بلاد شنقيط ... ص 502

فعلموا سرّ تسميته به،و علموا كشف الشّيخ. وفي الشّيخ أحمدَ بن بَدِّ" قال المترجَم له أشياء وكتب.

أخبرني الحاج مُحَمّد بن آب، لقبٌ للشيخ أحمد بن َبدّ، بأنّ والده كتب إلى الشّيخ، أو قال له أن يسلّم عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعلى الشّيخ أحمد التّيجاني رضوان الله تعالى عليه، وأن يأتيه بردّ سلام من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومن الشّيخ المذكورفردّ له الشّيخ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ عليه السلام وكذلك الشّيخ التّيجاني. قال المخبر: وأخذ والدي الحال من ذلك، وصار يهزّ رأسه دائما ويُهَيْنم حال المتعجّب بما بهر عقله. ولم يزل كذلك حتّى مات رضي الله عنه، ونحن بعيدون عن الشيخ المترجم له، ولمّا نعلم به أحدا وهذا في الليل ولم نعلم حتّى وافانا رسل الشّيخ صبحا وقالوا إنّ الشّيخ أرسلهم لحضور دفن الوالد ولتعزية أهله. وكتب في ذلك قصيدة يعلم بجلالة الشّيخ عند رسوله حتى أكرمه بهذه الكرامة فقال: هذا جزاء السّيد أحمد بن َبدّ وجزاء خليفته.

[85]" بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى الله على سّيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما. نزل في ليلة وفاة " السّيد أحمد

بن بدّ من السّماء روح القدس عليه السّلام مع كثير من الملائكة إكراما للسيد أحمد بن بدّ لحسن ظنّه بالعبد الخديم كان له بكرمه الباقي القديم، ولم يرجعوا في تلك اللّيلة إلى السّماء إلاّ بروحه الطّيبة التي رجعوا با وهذا هو الوعد الذي وعد له ". وإلى بعض ما هنالك أشار الشّيخ الخديم بقوله : [طويل ]

لَقَدْ جَاءَ رُوحُ القُدْسِ وَهْوَ مُفرجُ
بِجُنْدٍ عَظِيمٍ حِينَ أَحْمَدُ يُخْرَجُ
لأَحْمَدَ عِنْدَ اللهِ مَا كَانَ يَرْتَجِي
لَهُ بَانَ خَيْرٌ بَابُهُ لَيسَ يُرْتَجُ
جَزَى اللهُ مَنْ أَعْلَى الخَدِيمَ الذِي لَهُ
[مِنَ اللهِ جُودًا خَيْرُهُ وهْوَ أُنتَجُ] (*)
مِنَ اللهِ رَب العَرْشِ أَبْغِي مَوَاهِبًا
لِمُهْدٍ بِهَا وهْوَ السعِيدُ المُتوجُ
مَضَى سَيدُ السادَاتِ شَيْخًا مُقدمًا
بِتَقْدِيمِ شَيْخٍ وِرْدُهُ الدهْرَ مَنْهَجُ

---

(*) سقط العجز من ط

[لَهُ بَانَ في أُخْرَاهُ كَوْني خَدِيمَ مَنْ
لَهُ السبْقُ والتقْدِيمُ وهْوَ المُتَـوجُ] (*)
عَلَى سَيدِ السادَاتِ رِضْوَانُ شَيْخِهِ
ورِضْوَانُ خَيْرِ الخَلْقِ نِعْمَ المُبهجُ
مِنَ اللهِ أَبغِي لِلْخَلِيفَةِ ما نَوى
بِجَاهِ الذِي أَنْوَارُهُ تَتَبَلـ ـ ـ ـجُ
عَلَيْهِ سَلَامَا مَنْ هَدَاهُ مُفَضّلًا
كَمَا كَانَ في الإِسْرَاءِ يَعْلُو وَيَعْرُجُ

و السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ". بخ بخ، قوله "لِمُهْدِيهَا " فالضّمير في لفظة با استخدام يعني أطلب من الله مواهبا [86] لدنية لمن أهدى لي الكتاب المسمّى" المواهبُ اللّدنّية"[228]. أخبرني أخي وخليلي الشيخ إبراهيم حَمَرْ المعروف عند العامّة بِإِبرَ جُورْ،[229] أنّ الشّيخ أرسلني من صَرْصَارَ أو تُنتُ مُغْزِينْ [230] إلى

(*) سقط البيت من ط

[228] كتاب للقسطلاني ( ت 923 هـ / 1517 م ) في السيرة النّبويّة ، عنوانه الكامل " المواهب اللّدنّية بالمنح المحّمدية

[229] Cheikh Ibrahima Hamar المعروف ب Ibra Dior من أتباع الشيخ.

اندَرْ، أشتري له كتاب" المواهب اللّدنّية"للقسطلاني، فذهبت وأتعبت نفسي كلّ إتعاب فلم أظفر بشيء، فرجعت منكسر الخاطر. فلمّا حاذيت حيّ الشيخ أحمد بن َبدّ، وكان بيني وبينه معرفة، ملت إليه للسّلام وللزّيارة. فلمّا وصلت إليه فرح بي غاية الفرح ونزل ورحّب، فلمّا اطمأنّ بنا الملس ودار الحديث بيننا، سألني بنّيات عن طريقي فقلت له: إنّ الشّيخ كان أرسلني إلى أنْدَرْ إلخ... وذكرت له توجّعي من عدم نيل حاجة الشّيخ، قام من فوره وفّتش في الكتب حتى أخرجه لي بجزئيه وقال لي: قل للشّيخ إّنه هدّية منّي لوجه الله. ففرحت با غاية الفرح، و فرح بي الشّيخ أكثر من فرحي بالكتاب وبالمهدي. هذا هو معنى " لمهد با " أي" المواهب اللّدنية ". وهذه القصيدة زيادة في جواب من قال "أجبريل يأتي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم".

**ومّما كتب** للسّيد أحمد بن َبدّ وابن أخيه [الشّيخ أحمد بن الشيخ محمّد الحافظ ][231]( * )

---

[230] سبق التعريف با

[231] توفّي سنة 1325 هـ / 1907 م. ذكره محمّد المختار ولد أّباه في دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا ص 109والمختار بن حامد م .حياة موريتانيا II / 19 وذكر له الخليل الّنحوي عدّة مؤلّفات. بلاد شنقيط...ص 559

" بسم الله الرّحمان الرّحيم. اللهم صلّ على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراتك المستقيم، وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم، ليكن في معلومات الشّيخ [87] أحمد بن الشّيخ مُحمّد الحافظ، وفي معلومات غيره من العلويين والعلويات وغيرهم من المسلمين والمسلمات،أنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه بآله وصحبه وسلّم وبارك، ردّ السّلام على الشّيخ أحمد، وأنّ الشّيخ التّيجاني رضي الله تعالى عنه، ردّ عليه السّلام، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه بآله وصحبه وسلّم وبارك، أكرمه إكراما يماثل إكرام أخيه الشّيخ محمد الحافظ، على الحيّ رضوان الله تعالى وتأمينه من كلّ مخوف،وعلى الماضي رضوان الله تبارك وتعالى ورحمته.

و أنّ الشّيخ أحمد التّيجاني عليه رضوان الله تبارك وتعالى وتقريبه جعله كولده عنده. فكلّ من أخذ الورد التّيجاني عن هذين الشّيخين الأحمدين عليهما رضوان الله تبارك وتعالى وتأمينه ورحمته،فكأنّما أخذه عن الشيخ محمّد الحافظ رضي الله تعالى عنه.

---

* الزيادة من ط

وكلّ من أخذه عنهما ومال إلى غيرهما من جميع المشايخ على نّية تركهما، فقد خسر في الدّنيا والآخرة والعياذ بالله تعالى. وكلّ من أخذه عنهما ومات على ذلك فقد ربح في الدّنيا والآخرة. وليعلم كلّ من نظر في هذا الخطّ، أنه مرسوم بإملاء من الشّيخ التيجاني عليه رضوان الله تبارك وتعالى. ولكاتب هذه الأبيات: [رجز ]

رَد سَلَامٍ طَيبٍ قَدْ فاقَا
كَل سَلَامٍ يَجْلِبُ اِلوفَاقَا
مِنْ عَبْدِ رَبه خَدِيمِ المُصْطَفَى
ِإلى الذِي حَازَ عُلَى قَدْ تُجْتَبى
[88] يَا أيهَا الشيْخُ العَظِيمُ الشاِن
أَمْنتَ منَ ضَرَرِ كُل شَانِ
أَمْنتَ مِنْ سَلَبِ خَيْرٍ فِيكَا
ِإلَى اِلجنَانِ معَ مُقْتَفِيكَــا
أَمَنكَ اَلبَاقي منَ الأَسْوَاءِ
ِبحُرِمَةِ المُخْتَارِذي اللــوَاء
وجَاهِ شَيْخِكَ الرضَي التيجَاِني
مَنْ صَارَ عِنْدَ الغُر كَالمرْجَانِ

صَلى وسَلمَ عَلَى خَيرِ الوَرَى

بَاقٍ لَهُ قَادَ العُلَى وَالسوَرَا

رِضْوَانُ بَاقٍ يَجْلِبُ الوِفَاقَا

عَلَى وَلِيّ مَنْ قَفَاهُ فاقَا

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين،و الحمد لله ربّ العالمين.

**وممّا كتب** للمختلفين في المعّية: " أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم وإنّي أعيذها بك وذرّيتها من الشّيطان الرّجيم. ربّ أعوذ بك من همزات الشّياطين، وأعوذ بك ربّي أن يحضروني. بسم الله الرّحمان الرّحيم اللهم صلّ على سيّدنا ومولانا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى سراطك المستقيم، وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم صلاة تنّبه بها كلّ من نظر في هذا الخطّ أنّ الله تبارك وتعالى معنا معّية تليق به سبحانه، لا معّية تدرك بالعقل، وأنّه تبارك وتعالى قرب منّا قربا يليق به لا قربا يدرك بالعقل، وأنّ علمه سبحانه كجميع صفاته تعالى مقدّسة، وأنّ ذاته تبارك وتعالى

لم تفارق صفاته ولا تفارقها، وأنّ كلام الشّيخ السُنوسِي [232]عليه رضوان الله تعالى، ومن معه في ذكر المعّية صحيح [89] نزّلوا به العامّة منازلهم لأنهم إن جاوزوا المقام الذي اختير لهم الاختصار فيه، وقعوا جميعا في الهلاك. وأنّ كلام الشّيخ التّيجاني عليه رضوان الله تعالى لم يخالف كلامهم.

و أمّا ما يقوله المنتسبون إليه عليه رضوان الله تعالى حتى جرت العداوة بينهم وبين أبي بكر بن فَتى[233] فإنّ تلك العداوة من الشّيطان الرّجيم. فإنّ اللّعين يدخل الشّبهة في قلب كلّ من لم يكن مشاهدا، والدّليل على ذلك أنّ العبد الخديم كان له بكرمه الباقي القديم، أتاه وقت كتابته لهذه النّصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وبارك وقال له: إنّ السّنوسي والتّيجاني والغزالي لم يختلفوا وإنّما اختلف غيرهم. فالحقّ الذي ينبغي الرّجوع إليه ترك التأمل في كيفية المعّية، والإيقان بوجودها. فالتأمّل في كيفيتها ممّا يسلب الإيمان والعياذ بالله تعالى والسلام "

---

232 السّنوسي التلمساني سبق التعريف به.

233 أبو بكر بن فتى الحسني ( ت 1324 هـ / 1906 م ) من العلماء الشّناقطة ذكره الخليل النّحوي. بلاد شنقيط .... ص 538

**وممّا كتب** في أبي بكر بن فَتى في شأن المعّية: " بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى الله على سّيدنا محمّد وآله وصحبه صلاة وسلاما وبركة يعلّم بها النّاس أنّ ما قاله أبو بكر بن فتى في قول الشّيخ التّيجاني ليس مراده أنّ الشيخ عليه رضوان الله تعالى وافق أبا بكر في جميع ما ذكره في أجوبته، وأنّ الصّواب أن يشتغل الناس بغير الخوض في نحو ذلك فإنّ الخوض فيه من المفاسد، وأنّ كلام الأقطاب عليهم رضوان الله تعالى ليس ككلام العلماء عليهم رحمة الله تعالى. فالعلماء العاملون [90] بالنّسبة إلى الأقطاب كنسبة الأولياء عليهم رضوان الله تعالى إلى الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. فالعلماء موحّدون حماة للشّريعة المطّهّرة والأقطاب مخلصون مقرّبون ذابّون عن الحقيقة المنوّرة المقدّسة. فاحترام الجميع لوجه الله تعالى متعّين، والتحابب بين العلماء رحمة الله تعالى عليهم حياة للشّريعة المحمدّية.

و اختلافهم في المسائل تعلّم وتعليم، لا عداوة ولا تحاسد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

**وممّا كتب** في أحمدَ بنَ الكَوْر الدْيمَانِي[234]: أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم، باسم الله الرّحمان الرّحيم، وصلّى الله تعالى على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم وبارك صلاة وسلاما وبركة يعلّم بها الناس أنّ أحمدَ بن الكَوْر الدّيماني وأبا بكر بن فتى الحسني غفر الله تبارك وتعالى لهما يوم عرفة عام (شهدنا بكرم) /(1322 ه / 1903 م) وأنّ كلّ واحد منهما كاد يهلك، و سبب ذلك خطأ الدّيماني وإنكار الحسني. فأحمد بن الكَوْر لم يصادق الشّيخ التّيجاني رضي الله تعالى عنه فيما خاض فيه في المعّية،و أبو بكر فاته الأدب مع الشّيخ التّيجاني رضوان الله تعالى عنه[بعدم تسليمه لا بمجاوبته أحمد بن الكَوْر والشيخ رضي الله تعالى عنه ]* بمعزل عنهما معا. هذا هو الحقّ الذي لا ريب فيه والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".

[**وكتب** لبعضهم: "السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته] *(*) أما بعد فقد رأيت ما جرى بينك وبين غيرك في شأن المعّية، فقولي

---

[234] ذكر الخليل النّحوي أحمد بن الكوري بن سيد أحمد الدّيماني ، وله من المؤلّفات شرح قرّة الأبصار ، وشرح نظم الغزوات للبدوي.. بلاد شنقيط ... ص 543

* الزّيادة من د وط

* الزيادة من د وط

في المعّية [91] أنّ ذات الله تبارك وتعالى لا يخطر  ببال [أحد ] أن يحّريها  فمن ثمّ كان الخوض في المعّية كمخالفة اليهود والّنصارى عصمنا الله تبارك وتعالى وإياكم من  الاشتغال بما لا يغني. فالاشتغال بامتثال الأوامر واجتناب المناهي أولى من الاشتغال بالخوض في ذلك الـ الـ. قال الله تعالى (ثُم ذَرْهُمْ ِفي خَوْضِهِمْ َيلْعَبُونَ) [235] والسلام عليكم ورحمة  الله وبركاته ".

ثمّ انتقل الشّيخ من موضع إلى موضع، إلى أن بنى في سَهْوَة الماء وعند العاّمة "خماك"  مسافة يوم تاّم شديد للمجدّ من دَغَنَ[236] ومن بُدُوْر[237] سواء، وذلك بعد الرّبيع عام "بكسش "(1322 ه / 1904م). ثمّ صار يتحوّل في البقعة من دار إلى دار متقاربة، وحاله وحال وفوده يزداد كلّ وقت وحين.

و بالجملة فتفاصيل أحوال الشيخ في الغيبتين حالا حالا، وقعة وقعة،لا يمكن لاّ له، لو تصدّى لها رضي الله تعالى عنه.

---

[235] قرآن  الأنعام آية 91

[236] Dagana سبق  التعريف با

[237] Podor  قرية  على  نر السينغال

كرامة: ووقع له في خماك أي سَهْوَة المَاء، في بعض ليالي أحد الربيعين عام "جكسش" (1323 ه / 1905 م) مرض رِجل شديد أسهرنا تلك اللّيلة، فبتنا حول خيمته لا نظنّ إلاّ وفاة وهو يثّبتنا ويقول: ارجعوا لا بأس، ولكن لا سمع لنا ولا عقول. وبعد برئه منه في غدها أخبرنا أنّه كانت بلّية من الله إلى أصحابه وكانوا ينقرضون بها لو وقعت فقلت: يا ربّ لم خصصت أصحابي بهذه عن سائر النّاس، فقيل لي: لأنّ الله تبارك وتعالى جعلك [92] في مقام رجّحك به على أقرانك لا بدّ لك من خصوص بلّية تختصّ بها دونهم، فلا شيء أشدّ من هذا، فقلت: يا ربّ هل لي أن أحملها عنهم، قيل لي: نعم لك ذلك دونكها فكأنّ صاعقة من السّماء نزلت عليّ فوقعت مغشّيا عليّ فرفعت إلى الخيمة ولم أشعر.
أخبرني الذي رفعه مُورْ قِرِ دِيْنغ [238] أنّها حيّة لدغته. فالحمد لله على السّلامة والظّفر.

[238] Mor Khary Dieng

## فصلٌ في رجوعه من الغيبة الثّانية

ثمّ مكث إلى ليلة المولد عام " هكسش" (11/ 3 / 1325 ه/ 25 / 4 / 1907م) وكانت ليلة جمعة قدم عليه الشّيخ ٍإبرَ فَالْ [239] من جهة أنْدَر، ومعه تسريح الحكومة للشّيخ بالرّجوع إلى أوطانه في سِنَغَال،و أتى المريد لإعانته على الانتقال، فشرع يتهّيأ ويودّع أهل البلد إلى الجمعة القابلة تاسع عشرة من الشهر، فارتفع من داره تلك سالكا طريق أنغانَيارْ أي أنَغايْ [240] قرية شرقي شمال دَغَنَ يمرّ با النّهر. وطالبوه بالصّلاة في جامعهم وهم إذّاك يجدّدونه، تبرّكا.

و ذهب مع إمامهم مُخْتَار صَوْ [241] وصلّى ركعتين أوّل الضّحى. وهنالك عبر النّهر إلى دَغَنَ، ومكث إلى يوم السّبت الثّامن والعشرين من الشّهر وركب في السّفينة البحرّية ظهرا إلى أنْدَرْ.

و في ليالي مكثه في دَغَنَ كانوا يأتونه بأنواع الضّيافة ليلا ونارا. وفي الليل يقدّمون أمام الجفان [93] سرجا مضيئة، فقال فيها: هذا

239 Cheikh Ibrahima Fall سبق التّعريف به

240 Nganiar أي Ngaye

241 Mokhtar Sow شيخ من العلماء في مالي

مصداق قولي في بعض القصائد المأخوذة من حروف (وَلِلهِ مُلْكُ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[242] آخر ما كتبت في دَار المّنان بطُوبى. وبلغ حرف الضّاد منها وهو: [رجز]

ضِفْتُ الكَرِيمَ وأطَابَ لِي القِرَى وَلَا أزَالُ كَالسرَاجِ فِي القُرَى

ثمّ لمّا وصل إلى أنْدَرْ ليلته، نزل على المريد الشيخ إِبْرَ فَال[243] ومكث ليالي إلى لُغهْ[244] نزل على الشّيخ الحاج مَصّنْبَ سُخنَ[245]. ومن هنالك أرسل الخادمين إلى ثِيَانْ أي ثِيَانْ جُلفْ[246] يبنون له م لا قبل وصوله.

ثمّ تقدّم إلى أنْغَانِيَاخْ،[247] و بات في المسجد وهنالك قبر وليّهم،ثمّ إلى دار الشيخ الحسن اندِيَايْ[248] قال وبات ثمّ قال، ثمّ ارتحل إلى

---

[242] قرآن الفتح 14

[243] Ibra Fall أو Ibrahima Fall سبق التعريف به

[244] Louga سبق التعريف با

[245] El Hadji Mssamba Sokhna من أتباع الشيخ

[246] Thièene Djolof قرية في منطقة Djolof وهي التي أقام فيها الشيخ تحت المراقبة الإداريّة قبل انتقاله إلى جربل

[247] Nganiakh قرية في محافظة Thiès

[248] Cheikh El Hassane Ndiaye من أتباع الشيخ

كُكِّ[249] ونزل على الشّيخ محمد مَامْ [250] جدّ شيخنا محّمد البشير[251]،ثمّ إلى دَارُكَ [252] على الشّيخ مَدُونْ صَمْبَ[253]جدّ شيخنا المْرتضَى،[254] ثمّ إلىكُورْ بَاسِين[255] على الشّيخ محمدُ أُمِنَ خُمَ جُوبْ"[256]،ثمّ إلى ـثِيان[257]في أيّام قلائل أوائل ربيع الثاني وقد حصل بعض الأبنية. ثمّ لمّا وصل إلى الدّار أوائل ربيع الثّاني عام" هكسش"(1325 ه/ 1907 م) ونزل سّماها دَارُ الرّحمان[258]، و مكث وأحواله وسيرته مستقيمة تزداد كلّ وقت وحين إلى أحد الجماديين من عام "زكسش"(1327 ه / 1908) بنى "دَارُ القدوسْ " [259] غربي القرية بميل أو دونه. ومكث ولا تسأل عن

---

[249] Kokki سبق التعريف با

[250] Cheikh Mouhamadou Mame ، صهر الشيخ وجدّ ابنه الشيخ محّمد البشير

[251] ابن الشيخ ، سبق التعريف به

[252] Darou Ka قرية قرب Kokki

[253] Cheikh Madoune Samba وهو صهر الشيخ وجدّ ابنه الشيخ المرتضى .

[254] محمد المرتضى ابن الشيخ

[255] Keur Bassine

[256] Cheikh Mouhamadou Amina Kouma Diop من شيوخ kokki

[257] Thièene

[258] Darou Rahmane

[259] Daroul Koddous

حاله، فهو كما أخبرتك في كلّ موطن، بل كان أزيد إلى يوم الجمعة الثّاني بعد العشرين من محّرم عام " لسش" (22 / 1 / 1330 ه / 13 / 1 / 1911 م).

و في شعبان " زكسش " (1327 ه / 1909م) أو رمضانه، ولد شيخنا عَبْدُ الله [260] [94] ابن الشّيخ، وبلغني أنّ الشّيخ كتب "عبد الله " في ورقة وأرسلها إلى مريده الشيخ مُخْتَارْ ٍيْنتَ لُو [261] خال شيخنا مُحمّد المُصْطَفَى[262]، وأمره بتسميته، فسمّاه كما كتب والعامّة يدعونه الآن بعبد العزيز، ولا أدري من أين لهم، نعم الله هو العزيز.

---

260 المعروف ب Sérigne Abdoul Aziz

261 سبق التّعريف به

262 ابن الشّيخ وخليفته الأوّل ( ت 1945 م )

## فصلٌ في خروجه من جُلُفْ إلى انجاريم

ثمّ في سَحر يوم السّبت الثّالث بعد العشر من محرّم "لسش"(23 / 1 /1330 ه / 13 /1 /1911 م) خرج إلى جُرْبلْ[263] و صلّى الصّبح بعد قطع أميال، وبات دون طُوبَى.

و في ليلة الاثنين بات في طُوَبى دار العليم الخبير[264] عند الشّيخ عبد الرحمان لُو[265] مريده المقريء المحفّظ لأبنائه الكبار، ثمّ أصبح إلى جرْبلْ وبات ليلة الثّلاثاء السّادس بعد العشرين فيها. ثمّ لمّا وصل إلى أنْجَاريمْ[266]، أنزلوه أوّلا في بقعة قرب الحاكم الصّغير،[267] وحاكم الأهل[268] إذّاك مجاور له. وتلك البقعة هي التي بنيت فيها المدرسة الكبرى الفرنسوية شرقي القرية. وقيل في صفر " لسش"(2 / 2 /1330 ه / 2 / 1911 م) ولد شيخنا إبرَاهيم[269]

---

[263] Diourbel سبق التعريف با

[264] مكان بطوبى يسمّى اليوم Ndam

[265] Cheikh Abdouramane Lo سبق التّعريف به

[266] اسم ثان لجربل

[267] Commandant de cercle

[268] Chef de v illage

[269] Sérigne Ibra Mbacké

بن الشّيخ. ثمّ في ربيع الأوّل عام "ألسش" (3 / 1331 ه / 2/ 1912 م) انتقل إلى قصره فوق التلّ بعدما شرع في بنائه في الشّهر الذي قبله. هذا في أوّل يوم منه أو ثاني أو نحوه، و سّماه "المباركة". وفي الثّالث والعشرين من شوّال "بلسش"(10/23/ 1332 ه / 1913/9/14) ولد للشّيخ شيخنا عبدُ الأحَد[270] وفي محّرم عام "جلسش"(1/ 1333 ه /11/ 1914 م) ولد شيخنا عبد القادر[271] ليلة الجمعة منه. وفي رابع عشر ذي القعدة عام"جلسش" (11/14/ 1333 ه /9/23/ 1915 م) ولد شيخنا صَالِحُ.[272]

و في الخامس من رمضان [95] " هلسش" (9/5/ 1335 ه /6/25/ 1917 م) ولد شيخنا شُعَيبُ امبك[273] شقيق الشّيخ عبد الأحد. وفي ذي الحجّة عام "هلسش"(1335 ه / 1917م)

---

[270] Sérigne Abdoul Ahad Mbacké ابن الشيخ وخليفته الثّالث ( 1968 – 1989 )

[271] Sérigne Abdou Khadre Mbacké ابن الشيخ وخليفته الرّا بع ( 1989- 1990 )

[272] Sérigne Saliou Mbacké ابن الشيخ و خليفته الحالي ( 1990 - )

[273] Cheikh Shouaibou ابن الشيخ

ولد شيخنا عبدُ الصمَد[274]. وفي ربيع الثّاني عام "جمسش" (1343 ه / 1924م) ولد شيخنا مُحَمّدُ المُرتضَى.[275]

و أسّس المسجد الجامع عام "هلسش" (1335 ه / 1917 م) خطّا برجله المباركة ليلة الأحد شهر ربيع الثّاني، نسيت في كم يوم منه. واشتغلت بحفر الأساس وفي السّابع والعشرين من جمادى الثّانية عام"ولسش" 27/ 4/ 1336 ه 9/ 4 / 1918/ م) وكان يوم الاثنين ضحوة ابتدأ في البناء. نزل في حفرة القبّة، والشّيخ المُخْتَارُ بْنتَ المذكور بجانبه، و بيده إناء الطّين وأخذ الشيخ آلة البناء " المَالجْ " وأخذ من الطّين وبسمل وضرب، ثمّ أخذ حجرا ووضعه على الطّين، ثم أخذ المعول وبسمل وضرب على الحجر ثمّ تلا (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَنَا تَقبَلْ مِنا إنكَ أنتَ السمِيعُ الْعَلِيمُ)[276] ثمّ تنحّى عن محلّه وصلّى ركعتين ودعا، فالحمد لله. وتمّ البناء في تسعة أعوام في حضرة الشّيخ وصلّى فيه صلاة العيدين

---

274 ابن الشيخ Cheikh Abdoul Samad

275 ابن الشّيخ ومؤسّس مدرسة الأزهر بطوبى Cheikh Mouhamad Mourtada وفروعها تـ ـ وفي في 19/4/ 1425 / 7/8/ 2004

276 قرآن البقرة 127

مرّتين يقينا، وأشكّ في الثّالث، ولم يقم فيه الجمعة قال الشّيخ امبكِ بص [277]: لأنه لم ينو إقامة قطّ. وأوّل من أقام فيه الجمعة أخوه الشّيخ إبرَاهيمَ [278] بموافقة الشيخ امْبكِ بُص، وأبناء الشيخ، و كبار أهل الحضرة لأنهم كلاّ على نّية الإقامة. وقد كان الشّيخ أمر كبار الأصحاب أن يبنوا هناك، ويسكنوا معه ويتركوا أقوياء العيال للخدمة في محالها يأتون بالمعيشة [96] إليهم من الخارج، ففعلوا فصارت القرية أعمر قرية بمساجدها ومدارسها القرآنّية والعلمّية،و مصحف الشّيخ يختم في باب داره كلّ يوم أربع مرّات. مرّتين بعد الصّبح ومرّة بعد الظّهر ومرّة بعد العصر.

و في ليلة الجمعة سبع مرّات. والسرّ في ذلك والله تعالى أعلم أن يرفع له مع كلّ فريضة أدّاها ختمة. فختمات النّهار للّنهاريات والمغرب وختمات الجمعة لعشاءات الأسبوع.

و أمّا الاستكتابات فكلّ حافظ كاتب أي حسن الخطّ في الحضرة لا يخلو من مصحف مستقلّ في نحو أشهر ثلاثة، أو ثمن أو ربع أو ثلث

---

277 Cheikh Mbacké Bosso ابن خال الشيخ سبق التعريف به.

278 سبق التّعريف به

أو نصف في كلّ شهر بالاشتراك، كلّ متجانسين أو متجانسَين في الخطّ، وكذلك المتبرّعون من أصحابنا في الخارج، وكذلك المستأجرون من السّوادين والبياضين.

فلا يخلو شهر من نحو مئات من مصاحف الخطّ، خلاف ما يشترى من المطابع، فقد علمت يوما اشترينا ثمان مائة مصحف من المطابع دفعة من تاجر واحد،غير كتب العلم تأتي من كلّ ناحية من خطّ اليد والمطابع لا يردّ كتاب وإن تكرّر مرارا، وإن كان مقطوع الطّرفين. فتبّين بذلك أنّ بعض ذلك كان صدقة على وجه التسّتر بالأثمان،خلاف ما يقسم بين السّائلين الفقراء مواساة أي إعانة لله يدفع للأغنياء ذوي الجاه، ربّما يقسم في اليوم ألوفا مؤلّفة.

و من أعجب ما رأى الرّاؤون وسمعه السّامعون، أنّه جمعنا يوم ستّ وعشرين من رمضان "بمسش"(1342ه /1924 م) معشر كتّJJاب الحضرة [97] اليدين وبين يديه حزمة كبيرة من القرطاس فقال: هل تعرفون ما أريد منكم؟ قلنا: لا. قال: أريد منكم في هذا القرطاس مصحفا ولا يقال لي هذا الهلال إلاّ وقلتم قبله هذا المصحف. تفعلون ؟ قلنا: نعم قال: هاكم. فأخذناه وقسّمناه بيننا , ترى مجيدا يأخذ حزبين، ويصلحهما يوما واحدا،

ومن يصلح حزبين نصّا ويشكل له الثاني. فافترقنا على ذلك ضحوة السادس، وكلّ يعرف قدر الأسطار في كلّ وجه، والكلمة التي يقف عليها بينه وبين فلان ولا نزيد ولا ننقص في وجه، ولا يبقى وجه أبيض بين فلان وبين فلان. فجاء بحمد الله المصحف ظهر اليوم التّاسعو العشرين مجتمعا على يد الشّيخ لم ينقم منه شيئا، لا سطرا أغلظ من سطر ولا أرقّ ولا وجها ناقصا،

و لا وجها أبيض، فحمد الله كثيرا وقال: هل سمعتم من كتب أو استكتب مصحفا في ثلاثة أيّام ؟ قلنا: لا فقال الحمد لله ثمّ تلا (أني لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ)[279]

ومن أعجب النوادر ما اتّفق لي في بعض الأعوام، وهو أنّي كنت أطالع بعض كتب السّيرة وأظنّه" زاد المعاد في هدى خير العباد"[280]حتّى وقفت على كتّاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أي الذين كانوا يكتبون له الوحي والبراوات فعددتهم فإذا هم سبعة عشر(*) ثمّ ألقي في قلبي أن أنظر في ذوينا كتبة المصاحف من على

---

[279] قرآن آل عمران 195

[280] كتاب لابن قيّم الجوزيّة (ت 751 هـ) في السّيرة النبويّة

* في ج ستة عشر في د بياض والإصلاح من ط والمذكورون ي القصيدة سبعة عشر.

مصحف تامّ في هذا رمضان، فإذا هم مثلهم، فنظمت متوسّلا بكّتّاب الصّحابة ثمّ بكّتّاب أصحابنا،فنقل بعض أصحابي منّي نظم أصحابنا، ولم ينقل نظم الصّحابة. [98] ثمّ نظرت في باب خدّام النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فإذا هم تسعة وفيهم امرأة وهي البركة أمّ أيمَن[281].ثمّ نظرت في خدّام دار شيخنا في ذلك الرّمضان، فإذا هم مثلهم وفيهم امرأة حَواءُ صَارْ جارية الشيخ،فنظمت القسمين فاحترق نظما الصّحابة لمّا لم ينقلا، فهاك نظمي الأصحاب:

بسم الله الرّحمان الرّحيم، قال مُحمّد الأمين جُوبْ الدعَاني[282] ناظما لأسماء كتبة الشّيخ الخديم عام نظمه محاذيا بهم كتبة النّبي صلى الله عليه وسلّم كما في " زاد المعاد "

[رجز ] وبِالذِينَ بَايَعُوا خيْرَ الخَدِيمْ
وكَتَبُوا لَهُ وأرْضوا القَدِيمْ
هَبْ لِي مُبَايَعَتَهُ حقّاً كَمَا
يَرْضَى لِمَنْ بَايَعَهُ وحَكما

281 مولاة الرّسول (ص) وأمّ أسامة بن زيد. انظر سيرة النّبي لابن هشام III / 401 .
282 المؤلّف

" بالأنْدَرِيّ "صَاحبِ التْبشِير
مَحمدِ المْوصوفِ ِبالَبشِـير
هَبْ ِلي َبشارَاتٍ ُتنِيرُ خلَدِي
أغْدُو بَا َبشَارَةً لَبلدِي
وأنْسِنِي ِبِهِ سِوَى مَا اخْتَرْتَ ِلي
مُعْتَصِمًا ِبكُل خَيْرٍ خيَر لي
وهَبْ لَهُ ِفيكَ وفي "الخَدِيمِ"
مُنى فُؤَادِهِ معَ التقْدِيـمِ
ولِي كنْ َيا رَب بالّتَاسِين
بَعبدِهِ "مُحَمّدِ الأَمِين"
مُعَمرًا به فُؤَادِي بفكْرْ
يُرْضِيكَ عَنّي عَابِدٌ مَعَ شَكَرْ
وهَبْ لَهُ التعَلّقَ الصحِيحَا
ِبمَنْ بِهِ قدْتَ لَهُ الصحِيحَا
وبِالشرِيفي المَفَاطِمِ الخَبيرْ
مُرِيدِهِ المَوْصُوفِ بِالفَضْلِ الكَبيرْ
كرِمْ فُؤَادِي ِبحُسْنِ الخُلُقِ

مَنْفَعَةً تَبْقَى لِكُلِ الْخَلْـقِ

[99] وحَسنِ الفَهْمَ وحَسنْ قَوْلي

لِكُل مَنْ فَاوَضْتُ يَا ذَا الطَّوْلِ

وكُنْ لَهُ بِنَيْلِ مَا قدْ أَمّلاَ

مِنَ خَيْرَي الدارَيْنِ نَيلًا كَمُلَا

يَا رَبَنَا بِحُرْمَةِ الديمانــي

مُحَمدِ الخَيْرِ أخِي الأمــانِ

كُنْ لي بِقَلبٍ ولِسَانٍ سَلمَا

مِنَ الخَنَا وبِاتّرَاعِ عَلمَــا

وأنْ أُلَازِمَ التقى والعمَلَا

بِمَا بِهِ تُلْحِقِني بِالكُمــــــــلَا

وهَبْ لَهُ مِنْكَ رِضَى وعَافِيهْ

تَصْحَبُهُ إلى الجِنَانِ بــاقِيَـــــهْ

وبِسَميهِ مُريدِهِ الحَلِيمْ

نَجْلِ سُلَيْمَانَ "سَرينْ جُوبْ" السلِيمْ

هَبْ لِي دَوَامَ الحُب والإحْسانِ

والفَتْحَ في تِلَاوَةِ الحِســـانِ

والصفْحَ والإِعْرَاضَ عَنْ غْيرِ جَمِيلْ

وعَنْ مُقَارَبَةِ مفْضِ ـِلخُمُـ ـ ـ ـولْ

وسُقْ إلْيهِ بَرَكَاتٍ دَائِمهْ

ـِبصَفْوِ عُمْرٍ معَ حسْنِ الخَاتِمَـ ـ ـهْ

وبِالمرِيدِ ابنِ السعِيدِ ٱنجَانِي

مْختَارِهِ المْعُروفِ كالمْرجَـ ـ ـ ـ ـانِ

هَبْ لي دَوَامَ الصمْتِ عَما لَا يُفِيدْ

والنطْقِ بِالمفِيدِ واجْعَلْني مُفِيدْ

ولِي هَبْ وِدَادَ كُل مَنْ دَرَى

ذَاتي أوْ سَمِعَنِي بِـ ـلَا ازْدِرَا

وأَصْلِحِ الدنْيا لهُ والدِّينَا

وأَوْلِهِ أَجْرَ الـ ـاهِدِينَـ ـ ـزا

وبِأَخِيهِ و شَقِيقِهِ الْأبر

أَحْمَدَ بْنتَ ذِي الصلاحِ المعْتَبرْ

هَبْ ـِلي حِلْمًا وفُؤَادًا وَسعًا

حَتّى أكُونَ سَيّدًا مُتسِعًا

وَهَبْ ـِليَ النشَاطَ والتّوَاضُعا

والصبْرَ ولُتصَف ِلي المَوَاضعَ ـ ا

وأحْيِهِ يَا رَب خَيْرَ مَحْيَا

واجْعَلْهُ بَعْدُ ِفي الجَنَانِ يَحْيَى

[100] ثمتَ ِبابْنِ الفاضِلِ الكّتّابِ

مُجْنَبَ صِلًّا "بَهْجَةِ الكُتّابِ"

حُلْ بيْنَ الدهْرِ و بيْنَ مَا يَسُو

ِفي السِرِ والجَهْرِ وَمَا يُوَسْوِسُ

واضْرَبْ حِجَابَ الحفظ بيْنِي أبَدَا

وَبيْنَ كُل طَالِحٍ لَنْ يُعْبَدَا

وسُقْ لَهُ يَا رَب في الدارَيْنِ

بَرَكَةً تَحْمِي عَنِ العَارَيْنِ

ثُمّتَ ِبالبدْرِ مُخْتَارِ العَلَمْ

أحْمَدَ لَكِنْ قَدْ دُرِي ِبمُورْ حَلَمْ

هَبْ ِليَ كَوْنِي ِزينَةَ القُراءِ

ولِي هَبْ بَرَكةَ الإِقْـرَاءِ

وهِمتِي ِلمَا يَزِينُ ظَاهِري

وَباطِني أعْلِ بِقلْبٍ طَـاهِرِ

وهَبْ لَهُ يَا رَب عِلْما وعَمَلْ

وأدَبًا يَأتي بِكُل مَا أمَلْ

ثُم بِنَجْلِ أحْمَدَ المُخْتارِ

" أحْمَدَ حَوَ " السَيدِ المُخْتَـارِ

هَبْ لِي صَلَاحا مَا وَرَاءَهُ فَسَادُ

مَعَ قَبُولٍ لَا يُدَانِيهِ كَسَـ ـ ـادُ

وكُل عَيْبٍ قَدْ يَعُوقُ عَنْ صَلَاحْ

عَني امْحُهُ حَتى يَدُومَ لِي الفلَاحْ

وجُدْ لَهُ بِكُل ما يَهْوَاهُ

مِنْكَ وفي الرِّضَى أدِمْ هـ وَاهُ

وبِالذِي فَرَعَ ثم لَجا

مُحَمدِ المنْسُوبِ نَحْوَ وَجّـا

أدِمْ لِسَانِي في مَقالِ الخَيْرِ

فِي كُل وَقْتٍ صَامِتًا عنْ ضَيْرِ

وشَهِّرَنْ بَيْنَ الوَرَى ذِكْري بلَا

إجَالَةٍ شُهْرَةَ خَيْرٍ فَاقْبَـ ـلَا

وهَبْ لَهُ مُنَاهُ ـفي ـتِهِ و في

ـتِلْكَ مضاقًا ـلِجَمَاعَةِ الوَفي

وبِابْنِ أَحْمَدَ بنِ وَرْقَ الصّيني

أحمَدَ كَنْ ذِي الحَسَبِ المَصُون

هَبْ ـلي عِفةً و كُلي َنظفَا

مِنْ كُل مَا ُيدَنسُ المُنظّفَا

[101] ولْتقِني الغَلَطَ هَبْ لي حِلْمَا

َيخْلُدُ ـلي مَعَ كُل شَخْصٍ سِلمَا

ولْتمْطِرَنْ عَليْهِ مُزْنَ البَرَكَاتْ

َتدُومُ ـفي سُكُونِهِ والحَرَكَاتْ

ـبِأَحْمَدَ المْتلُوّ بِاسْمِ " سَاخُ"

مَنْ لَمْ ُيدَنسْ عِرْضَهُ الأوْسَـاخُ

هَبْ ـلي َبشَاشَةً َتدُومُ لَا عُبوسْ

َيشِيُنهَا دَأْبا ـلِوَجْهِيَ لُبوسْ

ولْتجْعَلّني فْرحَةَ ؟ الجِيران

وفْرحَةً ـلِجُمْلَةِ الأوْـ ـرَان

ولْتجْعَلْنُه ذَا حَيَاةٍ طّيِبهْ

وَلْتجْعَلنْ مَوْتَتَهُ مُطَيبَـ ـهْ
وبِالمُسَودِ الفَتى النّفيسِ
"أَحْمَدَ"مَنْ عَلَّمُهُ "مُورْ سيسِ"
هَبْ لِي أنْ لَا أرْفَعَ الرجْلَ إلى
غَيْرِ رِضَاكَ يَا حَفِيظُ بِالْى
وزَهِدّني أبدًا في غَيْرِ مَا
يُرْضِيكَ عَني زُهْدَ مَنْ قَدْ أكْرِما
وهَبْ لَهُ إِدْمَانَ مَا تَرْضاهُ
حتّى يَحُوزَ كُل مَا يَرْضَاهُ
و"بِابْنِ مُخْتَارِ " الذي بِشَمْسِ
لُقّبَ بَيْنَ قَوْمِهِ كَالشمسِ
أفْنِ فُؤَادِي فِيكَ ذَا حَياةِ
بـ ـَاقِيَـ ـةٍ بكَ وذَا نِيَاتِ
وسَخرَنْ لي الرؤَسَاءَ واجْعَل
جَمِيعَهُمْ فيكَ أحِبتي افْعَـ ـلِ
وبالتقيّ الصالِحِ المُجْتَنِبِ
كُل قَبيحٍ " أحْمَدَ بنِ زَيْنَبِ"

هَبْ لِي تُقى ووَرَعًا و صِدْقا
في كُل خَيْرٍ رُمْتُ فِيكَ الصدْقَا
وجَنبَنْ قَلْبِيَ حب الدنْيا
حُبا يَضُر مَنْ أَرَادَ الفُتيـ ـا
ووَجّهَنهُ بخُيورٍ تَـزْدَري
سَكْبَ المُزون الدهْرَ غيْرَ مُزْدَرِي
ثُم بعُثْمَانَ الذِي "يِدَمْبَ كَبٍ"
يُدْعَى تَوَلنِي وجَنّبني النّكَبِ
[102] وكُنْ إِلَاهِي الدهْرَ لِي بِصَوْنِ
مِنْ كل مَا يَشِيُنني كَخَوْن
وهَبْ لهُ يَا رَبِّ لِلجَنَانِ
سَلَامَةَ البدَنِ و الجَنَـانِ
لَقَدْ حَذَفْتُ فُضَلَاءَ كَتَبَهْ
مِنَ المَشَاهِير علَاةٍ مَرْتَـبَهْ
ولَمْ يَكُنْ تَرْكِي لِضُعْفِ عَقْدِي
لَكِنْ مَا شَرَطْتُ جَا بنَقْدِ
يَا رَبنَا بجَاهِهِمْ جَمِيعًا

كنْ لِدُعَاءٍ أَبدًا سمِيعَـ ـا

وَهَبْ لَنا مِنْكَ رِضَى ومَرْحَمَهْ

وحَسَنْ لِلْكُل منا مَخْتَمَـ ـهْ

بِجاهِ " أحْمَدَ خَدِيمِ أحْمَدَا

صَلى عَلَيْهِ منْ بَرَاهُ سَرْمَـ ـدَا

والآلِ والصحْبِ ذَوي التحَابُبِ

فِيكَ لِوَجْهكَ بِلَا تَسَابُبِ

مَا حَازَ مَا طَلبَ ذُو تَوَسّلِ

بِالوَاصِلِينَ لِلْجَمِيل المرْسَل

( رَبَنا تَقَبلْ مِنا إِنكَ أَنتَ السمِيعُ الْعَلِيمُ)[283]

ثمّ توسّل بخدّام دار شيخنا يومئذ محاذيا بهم خدّام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: [رجز ]

يَا رَبَنا بِجَاهِ " طَاءٍ" خَدَمَهْ

خَيْرَ خَدِيمٍ يَعْتِلي مَنْ خَدَمَـ ـهْ

---

283 البقرة آية 127

أَدِمْ رِضَاءَكَ الْأَجَل أَبَدَا
عَلَى الذِي إِخْدَامُهُ مُؤَبـ ـدَا
وسِيلَتِي إِلَيْكَ بَابُ رَبْحِي
مَاحِي الرذَائِل مُزِيل القُبْـ ـحِ
وَ"يمَنَا مِنَ جَاي"حَلِيفِ الاجْتِهَادْ
في خِدْمَةِ الجَنَان مُنْجِي كُل هَادْ
هَبْ لي مَحَبةً تلَازِمُ الخَلَدْ
في ذَاتِ مَنْ جَعَلْتَهُ نورَ البَلَدْ
وسَخّرَنْ جَوَارِحِي لِخِدْمَته
تَسْخِيرَ مَنْ قَرَيْني بِنِعْمَتـ ـهْ
وحَبِبْ إِلَي كُل منْ أَحَبْ
هَذَا الخَدِيمَ فلْأَكُنْ لَهُ مُحِبْ
[103] وقِدْ إِلَيْه كُل منْ تَمَنى
مِنَ الخَدِيم كَيفَ كَانَ مَنـا
ثُم "بسَيِدِ مُدْنَ قَالِ احْتمِي
مِنْ كُل مَا يَشِينُ طُولَ زَمَني
وَهَبْ لَهُ مُنَاهُ في الدارَيْن

ولَتقِهِ العارْينِ والنارِيْـنِ

و لي هَبْ سَلَامَةً منْ حِقْدِ

وبُغْضِ مُؤْمِنِ ونورْ عَقْدِي

وأوْل قلْبي رَحْمَةً بَا أُلينْ

كُل غَلِيظٍ يُسْتَلَانُ وَيَلِينْ

وَهبْ لكِل مَنْ تَعَلقَ بيَا

خَيْرَ انْقِيَادٍ لي فَأرْضِي رَبيَـا

وَبقَرينِهِ الحَليم أيْ "سَعِيدْ

سِل" اكْفِني جُمْلَةَ مَا فِيهِ وَعيدْ

وسُقْ لَهُ سَلَامةً ومِنْهْ

دَائِمَتيْنِ لِدُخول الجَنهْ

ولي هَبْ بِهِ اسْتِقَامَةً تدُومْ

في كُل مَا بِهِ أمَرْتُ فأدُومْ

وأوْلِني النصْرَ عَلَى هَوَايَا

والنفْسِ والشْيطَانِ مَعْ دُنيَايَا

وقَرِبي عَينَ المُجَاوِرِينَا

فَنسْتَقِيمَ مُتَشَاوِرِينَـا

بِحُرمَة الفَتى الْبَكِي الوَرَارِدِ
لَهُ أَبِي بَكرٍ زِدَنْ مَورَارِدِ
أَفِضْ عَلْيْنا مِنْ فُيوضِ الخَيْرِ
مـ ـ ـَا لَا يَزَالُ ذَائِدًا لِضَيْرِ
وأَعْلِ هِمتي به فِيمَا أُرِيدْ
بلاَ الْتِفَاتٍ لِلذِي لي لا تُرِيدْ
ولِي هَبْ تَوَاضُعًا لكُل منْ
لَاقَيْتُ مُومِنًا لِوَجْهِ ذِي الزَمَنْ
وعَظمَنْ في كلْكَلِي وعَيْنِي
كُل مُرِيد يَنْتمِي لِعَينـ ـي
وبِقَرِينه " سَعِيدِ الْبَكِي"
كُنْ لي بِسِر مَنْ قَلَانِي يَبْكِي
وَهَبْ لَهُ في شَيْخِنا المُرَادَا
دُنْيا وأُخْرَى وِفْقَ مَـا أَرَادَا
[104] ولِيَ هَبْ خَدَمة أيّ صَدَقَهْ
بِجَاهِهِ مْنكَ إلي صَدَقـ ـهْ
ولِي هَبْ بَرَكةً يَغْبطُني

فِيهَا سِوَايَ بِانْشِرَاحِ عَطِنِي

وَهَبْ لَنَا مَعْشَرَ مَنْ تَعَلَّقُوا

بِذَا الخَدِيمِ حُرْمَةً لَا تُـفْلَـ ـ ـ ـقُ

وَبِقرِينِهِ " البَكي إِبْرَا "

كُـنْ مُبرئا منَ العُيُوبِ إِبْـ ـرَا

وَهَبْ لَهُ خَيْرَ حَيَاةٍ وخُيُورْ

تَسُرُهُ فِي تِي وفِي تِلْكَ الـ ـدُيورْ

وكَمِلَنْ مُرُوءَتِي وصَدْرِي

سَلِمْ مِنَ الضغْنِ وأعْلِ قدْرِي

وسَلِمَنْ جَوَارِحِي مِنْ كُلِ مَا

تَعَافُهُ النفْسُ و لَوْ لَمْ يَأْلَمَا

وَبَارِكَنْ فِي إِخْوَتِي فِي اللَّهِ

لِي وَلِلْإِخْوَةِ فِي الإِلَـ ـهِي

وبِابْنِ مَرْيَمَ الذِي قَدْ اعْتَنَا

بِشَيْخِهِ الخَدِيمِ سَيِّدِ كَـنَا

كَانَ لَهُ بِمَا يُرِيدُ مَنْ يُرِيدْ

فَوْقَ مُرَادِهِ فَإِنَّهُ المُرِيـ ـدْ

ولْتجْعَلني لَدْيكَ صادِقَا

ِفي مَا أُرِيدُ واهْدِ ِبي المصَادِقَـا

وحَسَنْ ظَنيَ ِفي كُل مُرِيدْ

ْينمَى ِلشَيْخِي جَنَبنيَ المرِيدْ

ولْتعْصِمَنيَ منَ اسْتِعْجَال

وَهبْ ليَ اللّحُوقَ ِبالرجَال

وبِفَتى الفِتْيَان "َبك جُوقَا "

َمنْ لمْ َيكُنْ ِلضَرَرٍ مَخُوقَا

َهبْ ِلي أنْ أكُونَ مَا عِشْتُ خَدِيمْ

لخَادِمِ إرْضَاؤُهُ يرْضِى القدِيمْ

أدْخِلْ ِليَ الأغْرَاضَ ِفي أغْرَاضِهِ

وكُل أعِرَاضِيَ ِفي أعْرَاضِه

وافْتَحْ عَلَي رَب ِفي إخدَامِهِ

فْتحا ُيعَلّيِني عَلَى خُدامِـه

وصَفِّ عُمْرَهُ ِبطُولِ وسَلَا

مةٍ مِنَ الآفَاتِ أوْ ُيعَسّلَا

[105] ُتمتَ ِبالُمرِيدَةِ الخَدِيمَهْ

"حواءَ " جَارِيَتِهِ   المُدِيَمـةْ
وأُوْلِهَا  سَعَادَةَ الحَيَاةِ
وغَرَقًا مِنْ  بَعْدُ  عَالياتِ
هَبْ  لِي نَفْسًا بِالْخَدِيمِ ساكِنَهْ
غَنِيَةً  لَيْسَتْ لِغَيْرِ رَاكَنَهْ
وسَخِرْ لي النسَا و يَسّرَا
لي أُمُورَهَا   وقض العسْرَا
وأَصْلِحْنهَا لِيَ  واجْعَلْنهَا
عَوْنًا عَلَى الطاعَاتِ لي ومنّـهَا
لِي أنشُرْ بَنِينَ صَالِحِينَ و بَنَاتْ
أيْ  صَالِحَاتٍ دَيناتٍ صَينَاتْ
تُحْيِي  بِمْ  يَا رَبنَا الإِسْلاَمَا
تَقِي  جَنَابي  بِهِمُ  المَلاَمَـا
مُبَارَكًا  فِيهِمْ بِرِزْقٍ  وَاسِعِ
مُحَلِلٍ  إِلَى  الجنَـانِ  الوَاسِعِ
وصَلَيَنْ خَيْرَ صَلَاةٍ  تَقبَلُ
بِهَا تَوَسلِي  بِسِتْرٍ يُسْبَـلُ

مَعَ سَلَامٍ دَائِمٍ مُعَطِرِ
عَلى المُطَيبِ بِخَيْرٍ عَــطِرِ
مُحَمدٍ و حِزْبِهِ جَمِيعَا
وكُنْ بِهِمْ يَا رَب لي سَمِيعَا
سَمْعَ قُبولٍ ورِضَاءٍ وكَرَمْ
يَجْعَلُنِي بَيْنَ البَرَايَا مُحْتَــرَمْ
واخْتِمْ حَيَاتِي بِهِمُ بِالْحسْنَى
مُخَلدِينَ في المَقَر الأسْنَى

سبحان رّبك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

و **بالجملة**، فحياة الشيخ في " انجَارِيم" لم يجتمع في ما بلغنا من كتب الّتواريخ والحكايات في حياة أحد سِيَر كمّل المشايخ في الشّريعة والحقيقة، إلاّ ما اختلّ ممّا كان من وظائف الملوك من إقامة[106] الحدود بقطع السرّاق، ورجم الزّناة المحصنين وجلد غير محصنيهم وتغريبهم، بسبب خلاف قانون الحكومة فهو فيها معذور، وسير

كمّل الملوك في فنون السّياسات والأعطيات، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد كثرت عليه الجماعات في "جُرْبَلْ" حتّى منعته من المرور للنّاس من غير حايل فألجأته إلى إنشاء كوى من كلّ باب في كلّ نواحي الدّار بحيث إذا جلس وفتح كوة يتمكّن شخصان من الأقربين إذا تنحّيا تمكّن شخصان أيضا ثمّ كذلك من الصّباح إلى الزّوال غالبا ثمّ من العصر إلى المغرب ثمّ غالب الليل، وربّما يتخلّله بالخروج إلى كتابة قصيدة أو خروج إلى باب النّساء للوافدات ولمصالح العيال. ثمّ إذا احتاج للإقراء، نحّى الجميع عن الباب قليلا وتحلّقوا ونقط في الأرض للتّعليم الشرعي والحقيقي بالقرآن والحديث والحكم ومسائل الفقه، وربّما ينحرف إلى استقراء القصائد فينشد الحفّاظ قياما أو في الكتاب قراءة بنظر، بأصوات مطربة في الثناء على الله تعالى وعلى رسوله لا غير. والأطعمة والأشربة تجري طول المجلس،فما شاء الإنسان دينا أو دنيا.

و منعته أيضا من الخروج إلى المسجد، حتّى احتاج إلى رفع المسجد إلى قرب بيت سكناه لأنّه كان لا يتخلّف عن الجماعة في المسجد لا ليلا ولا نهارا،لا حرّا ولا بردا، لاصحوا ولا غيما وترك للنّاس

طريقهم في الدّار إلى المسجد، واتّخذ لنفسه طريقا خاصّا إلى محرابه فلا يرونه [107] إلاّ إذا وقف في المحراب،و فتح الباب إلاّ الشّبّاك الرّقيق الذي لا يمنع من التمكّن من رؤية شخصه في جملة الصّلاة. ويسدّ الباب إذا أتمّ الصّلاة ويبقيه مفتوحا للإقراء.

و منعته أيضا من الخروج للتمشّي في الطّرق مع أنّ الإنسان مضطرّ لذلك، حتّى احتاج إلى ضرب شبّاك رفيق ُبعيد حائط الدّار بينه وبين الحائط طريق على وسع أربعة أذرع يمشي فيه إذا احتاج للتمشّي صباحا أو مساء، أو ليلا ترى النّاس حوله وراء الشّبّاك يمشون بمشيه ويقفون بوقوفه أينما توجّه. وربّما يقف فيتل لهم إذا أتمّ، أو يعلّمهم مسألة والقراءة جهرا، هذا كلّه سياسة منه لاحتياجهم إليه استفادا واسترشادا واحتياجه إليهم إفادة وإرشادا.

و إذا لم يدّبر لذلك آذوه بالوقوع عليه. وقد شاهدنا ذلك قد أدموا مرّة إصبعا من رجله، وخرقوا نعله حرصا على التبرّك بمساس ذاته لكن يدفع هذا هذا وذاك هذا، حتّى يقعوا عليه من غير قصد الإذاية فيتأذّى بذلك لأنه شخص نحيف ضعيف البنية قويّ في الله لا يملّ ولا يضجر إلى أن أتاه أمر الله وعّينوا لجهازه مريديه ُمحمّد بن عبد

الرّحمان التندَغِي[284] المتوفّى بعد في شوّال عام" بعسش"(1372 - 1953م)رحمة الله عليه، وأخاه كاتب الحروف مُحمّد الأمين جُوبْ، فحمل ليلة الإربعاء من موضعه في سّيارة إلى "طُوبى" بحيل أخفيت عن النّاس. وذهب لتشييعه [108] خمسة يرأسهم أي يؤمّهم ولده الشيخ مُحمّد البشير".

وأرسل إلى أخيه السيد مُحمّد الفاضل خليفتنا القائد الآن إذّاك وهو في باديته قرب طُوَبى.

و قد أرسل إلى الشيخ إبراهيمَ في دَار المُعْطِي وإلى الشيخ امَبَك بُص في قريته قرب طوبى وكذلك إلى الكبار الحاضرين في طُوبى , فاجتمع هؤلاء وكبار أصحابهم في أقصر مدّة حتّى اجتمع منهم نحو ثمانية وعشرين فصلّى عليه الشيخ اَمْبَكِ بُص بؤلاء،كلّ ذلك بخفية من العامّة خوف فتنتهم وفرغوا من أمره قبل انصداع الفجر حتّى جعلوا عليه بيتا يغلق ويفتح. فلمّا علم الناس بعد الصبح قامت قيامتهم فلا تسأل عن الأقاويل والأفاعيل. كلّ ذلك والخليفة

---

[284] من مريدي الشّيخ البيضان. قال عنه الشيخ محمّد البشير امبك " هو عالم نبيل من جملة الفقهاء " / 117 IIمنن الباقي القديم

المُصْطَفَى في  أَنْجَاريم "يعلّم الناس ويثّبتهم. فلمّا فرغنا من أمره وخرجنا من أوّل باب، لقيت بعض أصحابنا  وهو  لمّا يعلم بالواقعة، فقال لي: إني رأيتك البارحة  في المنام فقلت لك أين الشّيخ  فتلوت عليّ (وَمَا مُحَمدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ) [285] إلى الآية فقلت:  الأمر كما رأيت فادخل.  فلمّا دخل عاين وطفق  يتعجّب.

وقد رثاه جامع الكتاب بأبيات وهي أوّل مرثية للشّيخ ونصّها: [طويل ]

مَضَى الشيْخُ لِلْمَوْلَى الذِي كَانَ يَعْبُدُ
وقَدْ كَانَ يدْرِي أنهُ لَيسَ يَأْبد

[109 ]   فَشَمرَ يَرْعَى مِنْ رِضَى اللهِ مَا اقْتَضَتْ
أَوَامرُهُ مِثلَ المَنَاهِي وُيمْهِــدُ
وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَا وَيأْمُرُ بِالهدَى
وَيأْتِي ولَا يَغْلُو بِمَا هوَ يُعْهَدُ
وكَانَ عِمَادَ  الدينِ أيامَ  عُمْرِهِ

[285] قرآن  آل عمران  آية  144

إِلَيْهِ بَنُوهُ لِابْتِغَا الحَق قَدْ هُدُوا

يَرَوْنَ لَهُ حَق الأُبوةِ وَاجِبَا

وكَانَ يَرَى حَق البنّوّةَ يُحْمَدُ

فَمَنْ لِلْيَتامَى كَانَ أُنسَى جَمِيعَهُمْ

أُصُولَهُمُ والشَرِ بِالخَيْرِ يُخْمَدُ

وكَانَ لِأَهْلِ الفَقْرِ خِصْبًا مُهَنّأً

يُوافُونَ مِنْ شَتى إِلَيهِ لِيَرْفِدُوا

ولَو جَازَ أَنْ يُفْدَى فَدَيْنَاهُ غَيْرَ أَنْ

مَضَتْ قَبْلَهُ السادَاتُ طُرا وَمَا فُدُوا

أَلاَ إِنهُ إِنْ غابَ عَنا بِجِسْمِهِ

فَمَا غابَ عَنا خَيْرُهُ المُتَجَدِدُ

ورثاه ملك الشّعراء في زمانه وناحيته مُحمّد بن المُعلى الحَسَني[286] بقصيدة تغني عن ميراث الأمّة، ونصّها خاتمة في التحدّث ببعض ما منّ الله عليه ممّا يفوق الظنّ من الخير بعد تخييبهم من مكائدهم

[286] من مريدي الشّيخ البيضان .له مجموعة قصائد في مدح الشّيخ الخديم ضمن مجموع " دواوين أهل الزّوايا الموريتانيين في مزايا الشّيخ الخديم " ص ص 16-93 مخطوط بمكتبة الشيخ الخديم بطوبى.

الثّلاث: القتل والحبس الدّائم والّتغريب الدّائم. فقال:"و مّما منّ الله عليّ بدل ثلاثتهم كون سني غربتي مستخرجة من بلايا أنبيائه وفتنتهم التي جرت بينهم وبين أعدائهم ". وفيه يقول: [رجز ]

وَمِنْ خَوَارِقِ النبي المُفَضلِ عَلَيْهِ تَسْلِيمَا العَلِي المُفَضّـلِ
كَوِنُ سِنِي تَغَربي مُسْتَخْرَجَهْ مِنْ زَمَنٍ مَضَى مَزَايَا مُخْرَجَهْ
قَدْ شُبهَتْ بِمَا مِنَ الرسْلِ جَرَى إِلَى الذِينَ كُلهمْ قدْ فَجَرَا
عَلَيهِمِ الصلَاةُ والسلَامُ كمَا انْتفَتْ بِبَعْثِهِمْ ظَـ ـلَامُ
[110]وقَدْ بَدَتْ مُعْجِزَةً قَبْلُ بَدَتْ لِلْمُصْطَفَى فِي غُرْبَتِي وقَدْ هَدَتْ
وهْيَ كَوْنُ مَنْ تَسَبُوا مَعا فِيهَا عِدَا الذِي المُنى لِي جَمَعَا
قَدْ غَبطُوا مَنْ لَمْ يَكُونوا مَعَهُمْ مَنَ العِدَى والربِ لِي قَمَعَهُمْ
وأن مَنْ تَسَببُوا لَا يَدْخُلونْ فِي جَنةِ اللهِ وَنارًا يُدْخَلُـونْ
وأنهُمْ ليسَ لهُمْ فِي أَبدِ مَا لَمْ يَتُوبُوا غَيْرَ أَبقَى كَبَـدِ

يعني أنّ الله تبارك وتعالى بفضله وجوده وكرمه، شّبه ما جرى بيني وبين أعدائي من الّتغريب والفتن بما جرى بين أنبياء الله وأعدائهم. وشّبه ما تولّد لي منها من الّنفع ظاهرا وباطنا، حالا ومآلا بما تولّد لأنبيائه الكرام، وشّبه ما تولّد منها من ضرر الدّنيا والآخرة لمن لم

يتب من أعدائه بما تولّد منها لمن لم يتب من أعدائهم. و أنّ من تسبّبوا في تلك الفتن قد غبطوا من لم يكونوا معهم فيها وقا ل:(وَيَوْمَ يَعَض الظالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتنِي اتخَذْتُ مَعَ الرسُولِ سَبِيلًا * يَاوَيْلَتِي لَيْتنِي لَمْ أتخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلنِي عَنْ الذكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا) [287]شاهدة له صلّى الله عليه وسلّم،و الأنبياء معه عليهم الصلاة والسّلام، معجزة وشاهدة لي كرامة منه، فله الحمد والشكر على توفيق الأتّباع.

و **من أسرار غيبتي** أن منّ الله عليّ بسبع كرامات معجزات لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي غلب لي الله أعدائي قبل ظهوري، ووهب لي علما لم يكن من التعلّم، وباهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّ الأنبياء بغربتي عشر سنين، و خدمتي له فيها الخدمة الخالصة، وحبّبني الله تعالى إلى كلّ سعيد , وأيّس إبليس وكلّ لعين معه منّي، وحبّبني تعالى إلى الملائكة الكرام، وحبّبني إلى مؤمني الجنّ.

---

[287] قرآن الفرقان الآيات 27، 28، 29.

و المسلمون منهم في زمني تعلّقوا بي لوجه الله ". وفي هذا يقول: [رجز ]

وفي سَبْعُ مُعْجِزَاتٍ لِلرسُولْ قَدْ ظَهَرتْ وقَبْلَهَا قُرْتُ بسُولْ
غَلَبَ بِالمُخْتَارِ رَبّي لي العِدَى قَبْلَ ظُهُوري لَا أُلَاقِي مَنْ عَدَى
وَهَبَ لِي رَبي عِلْمًا لَمْ يَكُنْ منَ التَعلمِ وجَاءَني بــ كُنْ
بَاهَى رَسُولُ اللهِ كُل الأَنبيَـا عَلَيْهمُ أُبقى سَـلَامي رَبيَا
بِغُرْبَتي عَشْرَ سِنينَ بِخِـ ـدَمْ خَالِصَةً لِذِي الوُجودِ والقِدَمْ
يُحِبني لِوَجْهِ رَبّيَ المُعِيـ ـدْ بِغَيرِ بُغْضٍ أَبَدًا كُل سَعِيدْ
أَيسَ رَبّي أبَدًا وهْوَ المُعِـ ـينْ إِبْلِيسَ مني وكَذَا كُل لَعينْ
يُحِبني مَلَائِكُ البَاقِي الكَـريمْ لِوَجْهِهِ معَ فلَاح لَا يَرِيمْ قَدْ
وَدِني منْ آمَنُوا في الجِـ ـنّ لِوَجْهِ بَاقٍ كانَ لِي بِالمَـنّ

قوله في الجنّ أي من الجنّ. وقال في موضع آخر: [رجز]

بي تَعَلقَ الذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ جِنّ عَصْرِي دُونَ مَنْ لَمْ يُسْلِمُوا

و قال أيضا:

هَبْ لِلذِي خَدَمَني إِحْسَانَا مَلَكًا أَوْ مَسْتُورًا أَوْ إِنسَانَا

عُلم منه أنّ له خدمة غير خدّامه من الإنس قوله " غلب لي"... إلخ

[112] وفي موضع آخر يقول: [رجز ]

مُحَمدٌ قَدْ جَادَ لِي بِالغَلَبِ وكُل مَنْ جَاوَرَهُ لَمْ يُغْلَبِ
سَعَادَتي بَاقِيَةٌ بلَا سَـ ـلَبِ واللهُ جُمْلَةَ عِدَاهُ لِي غَلَبْ

و قال أيضا:

لَمْ يَنحُني مُبَارِزُ * وفَيْضُ رَبّي بَارِزُ *
إِبْلِيسُ لَا يُبَارِزُ * جُنْدَ العَزِيزِ الْأَحَدِ *

وغير ذلك.

و قوله " وهب ... " إلخ. وقال أيضا: [رجز ]

حَفِظْتُ مَا صِينَ عَنِ الدفَاتر فَلاَ تَكُنْ عَنْ خِدْمَتي بِفَاتِرِ
ساقَ إِلَي اللهُ جُمْلَةَ العُلومْ نِعَمَ الكَرِيمُ والخَبِيرِ والعَلِيمْ
نَزَعَ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَا العُلُومْ ويُمْنَهَا لي بكَوْنِهِ العَليمْ
نَاجَانِيَ الذِي إِلي قَـ ـادَ خَيْرًا يُصَفّي خَلَدِي فَانقَادَ
من عَلَي اللهُ بالتَعْلِيـ ـمِ وجَاهِلًا أَهْدَى وذَا عُلومِ

وأمّا حبّه للمؤمنين وحبّهم إياه، فأمر لا يحتاج إلى استشهاد لأنه أمر معاين بكثرة نفعه لهم بعلومه وأمواله وأسراره ودعواته. فلا بأس بذكر شيء منه تبرّكا.

ففي بعض مكاتيبه : [رجز ]

واغْفِرْ لِكُل مُؤْمِنٍ و مُؤْمِنهْ مَغْفِرَةً لكُل خَيرٍ مدْمِنَـهْ

واغْفِرْ لِكُل مُسْلِمٍ و مُسْلِمَهْ مَغْفِرَةً تَعْصِمُهُمْ مِنْ ظُلَمَهْ
واغْفِرْ لِكُل مُحْسِنٍ ومُحْسِنَهْ مَغْفِرَةً لهُمْ تَقُودُ الحَسَنَـهْ

ثمّ قال في قصيدته (مطلب الشّفاء) [رجز ] [113]

واشْفِ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ عَاجِلًا ثُم قِهِمْ خَوْفًا وحُزْنًا آجِلًا
وَنجهمْ وعَافِهِمْ والْطُفْ بِهِمْ ولَا تُؤَاخِذْهُمْ بكُثْرِ ذَنبِهِمْ
فَإنهُمْ وإنْ عَصَوْكَ يَا أَحَدْ لِغَفْلَةٍ لمْ يُشْرِكُوا بِكَ أَحَدْ
وإنهُمْ أبْدَانهمْ لَا تَقْـدِرُ عَلَى بَلَائكَ لِضُعْفٍ يَظْهَرُ
قُلُوبُهُمْ لَيْسَتْ تَمِيلُ أبَدَا إلَى سِوَاكَ مِنْ هُنا إلَى غَدَا
لكنما تَلْصِصُ الْجَـوَارِحِ أَقَضَاهُمُ لأَقْبَحِ القَبَائـحِ
فَلَا تُؤَاخِذْهِمْ بِمَا لَا يَنقصُكْ ولَهُمْ هَبِ الذِي لاَ يَنفَعُكْ

ثمّ قال في قصيدته (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبهُمْ) [رجز ]

فَرجْ بجَاهِ المُصْطَفَى عَنْ أُمتِهْ
يَا مُخْرِجًا عَبْدَكَ ذَا مِنْ غُمتِهْ
[اكْتُبْ صَلاَةً وسَلاَمًا للنبِي
فِي الآلِ والصّحْبِ ذَوِي التجَنبِ] (*)

---

* البيت ساقط في ج ومثبت في د وط

سَلمْ ِبجَاهِهِ و جَاهِهِمْ َمعا

أُمتهِ َيا وَاحِدًا لي قَمـَـعَا

َتفَضلَنْ عَلى ذَوِي الإِيَمانِ

ِبفَرَجٍ يا وَاهبَ الَأمـَـانِ

جَمِيلُ أَوْصِلْ ِلجَمِيعِ المُسْلِمِينْ

والمسْلِمَاتِ أَمَنَ رَب العَالَمِينْ

اكْتُبْ صَفَاءً ِلجَمِيعِ المُحْسِنِينْ

والمُحْسِنَاتِ َيا وَليّ المُؤمِنـِـينْ

الخ، إلى ما لا يعدّ من هذا النّوع المعرب عن حبّه لأمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما يحبّ لنفسه ويخصّ الخواصّ منهم حبّا زائدا. و سمعته رضي الله عنه يقول: إني كنت أيّام الشّباب والإفاقة انتخب من كلّ قبيلة خليلا يخصّه قلبي محّبة خاصّة، كانتخابه من بني ديمان محّمد اليداليّ"[288] صاحب "الذهب الإبريز "، ومن التّنادغ مُحمّذ

[288] من العلماء الشناقطة سبق التّعريف به

قَالْ بن مّتّال[289]، [114] ومن الحَاجِيينَ أحمدُ بن مُحمّد[290] صاحب" الجوهر المنظّم" وغيره في القرآن. ومّما حكى لنا من أعجب حبّه وأغرب شفقته لخواصّ المؤمنين، قال: لمّا كنت في البحر أيّام غربتي أتاني في بعض سنين أنّ أخانا مُحمّد سكْ المعروف بسِرينْ لَمَبَثَ "[291] هو وأخونا " مُحمد جُوبْ المعروف " بَمَ جُوبْ مَرَمْ سرين فَت "[292] غرّبهما النّصارى، ولا أدري إلى أيّ جهة، أظلمت عليّ الدّنيا وتكدّر وقتي شفقة لهما لأنّي لا أحبّ أن يبتليا بما يكدّر توحيدهما أو يسلبه، معاذ الله، فتضرّعت إلى الله فيهما وقلت:

[رجز]

يا خَيْرَ غَافِرٍ ذُنوبا مَكـ ـا  و خَيْرَ قَادِرٍ أسيرًا فَكـ ـا

أُفْكُكْ رِقابَ المُسْلِمِينَ فَكا  وكُف عَنْهُمْ مَا يَجُر شَكا

---

[289] محّمد فال بن متالي ( ت 1283 هـ / 1867 م ) من شيوخ المحاضر في موريتانيا ، تخرّج على يديه عديد العلماء. انظر الخليل النّحوي بلاد شنقيط ... ص 607

[290] أحمد بن محّمد الحاجي ( ت 1351 هـ / 1932 ) ذكره الخليل النّحوي في المؤلّفين الشّناقطة. بلاد شنقيط ... ص ص 543-544.

[291] Mouhamadou Seck connu sous le nom de Sérigne Lampata

[292] Mouhamadou Diop connu sous le nom de Ma Diop Maram Sérigne Fetto

و هذان البيتان في قصيدته (وَأَما مَا يَنفَعُ الناسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ). [293] ولعلّ وصول خبرهما إليه وجده فيها فنسج الدّعاء؛ وأمّا حبّ خواصّ المؤمنين له فأمر معلوم مشهور، قد شهدوا له بكلّ خير وولاية في كلّ مشهد.

[293] قرآن الرّعد 17

## فصل في شهادة الكبراء له بالجلالة والولاية

فهذا شيخ سِيدِيَ بَابَ [294] على جلالة قدره كان الشّيخ عنده كالكبريت الأحمر،قال فيه وكتب ونشر ونظم. ولو لم يقل إلاّ هذه القصائد الثّلاث دون قصائده الكثيرة، لكان كافيا وهي: [كامل ]

[115] الشّيْخُ أحمَدُ نِعْمَةً أوْلَاهَا
هَذِي الخَلَائِق كُلها مَوْلَاهَا
فَالحَمْدُ لِلهِ الذِي نَعْمَاؤُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ عِبَادُهُ إِحْصَاهَا
تَلْقَاهُ إِنْ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ رَايَةٌ
بِيَمِينِهِ مُتَهَلِّلًا يَلْقاهَا
وَإِذَا رَأى يَوْمًا مَكَارِمَ أعْرَضَتْ
فَمُصَمِّمٌ مُتَيَمِّمٌ كُبْرَاهَا
مَا ضَر أرْضًا أُسعِدَتْ بِجِوَارِهِ
أنْ لَا يَكُونَ رَبِيعُهَا أسْقاهَا

---

[294] من علماء البياضين سبق التعريف به

تنسَى العُفَاةُ بِبِركُمْ أوطَانَا
حَتى تَرَى مَغْنَاكُمُ مَغْنَاهَا
يَلْقَى جُمُوعَهُمُ ببشْرٍ صَادِقٍ
فَكَأَنهَا تُعْطِيهِ مَا أَعْطَاهَا
شَهِدَ الطوَائِفُ أجْمَعُونَ بكَوْنه
برا كَرِيما قَانِتا أواهَـ ـا
مِمنْ يَرَى نَفْعَ الْأَنامِ فَرِيضَةً
في دَهْرِهِ والذاكِرِينَ اللهَ
يَرْضَى إِذاَ جَرَتِ الْأُمورُ مُسَلِّمًا
عِلمًا بِأن إِلَاهَهُ أَجْرَاهَـ ـا
لاَ تَحْجُبُ الْأَسْبَابُ عَنْهُ حَقِيقَةً
إِنْ تَاهَ فِي ظُلُمَاتِنَا مَنْ تَاهَا
لاَ زَالَ مَنْهَلاً بِحَضْرَتِكَ الحَيَا
تَتَنسمُ الخَيْرَاتُ مِنْ رَيَّاهَـ ـا
تَسْعَى العِبَادُ إِلَى مَآرِبَ نَحْوَهُ
من أَمرِ دُنْيَاهَا ومِنْ أُخرَاهَا

و الثّانية حين شرع في بناء الجامع في أنجَارِيمْ فقال: [خفيف]

مَسْجِدُ الشيْخِ جَامِعُ البَرَكَاتِ
وَمَحَل الخَيْرَاتِ والرحَمَـاتِ
تُغْفَرُ السَيئَاتُ فِيهِ ويُؤْتى
زَائِرُوُهُ مُضَاعَفَ الحَسَنـاتِ
ذُو أَسَاسٍ مِنَ التقَى وجَدَارٍ
مِنْ صَنِيعِ المَعْرُوفِ وَالمَكْرُمَاتِ
عَمَلٌ خَالِصٌ لِرَب البَرَايا
نِيةً والأَعْـمالُ بِالنِيّـ ـاتِ
[116] نِعْمَ مَأْوَى الذِي يُرِيدُ قِيَامًا
أَوْ عُكُوفًا ونِعْمَ مَأْوَى العُفَاةِ
إِنْ يَكُنْ لِلصلاَةِ لِلهِ بَيْتا
فَهْوَ بَيتٌ أَيْضًا لِحُسْنِ الصّلَاتِ
عُرِفَتْ لِلصلَاةِ فِيهِ وُقُوتٌ
والتِي غَيْرُهَا مِنَ الأَوْقَـ ـاتِ
يُقْبِلُ الناسُ نَحْوَهُ بِقُلوبٍ
جَمَعَتْ بَيْنَ نِيّةٍ أَشْـ ـ ـتاتِ

فِرْقَةٌ تَقْصُدُ الصلَاةَ وأُخْـــــرَى
إِنمَا الشأْنُ عِنْدَهَا فِي الزكَاةِ
أَذِنَ اللهُ فِي ارْتِفاعِ بُيُوتٍ
شَرُفَتْ بِاسْمِهِ عَلَى الْأَبياتِ
وجَزَى فِي بِنائِهَا بِبُيوتٍ
تُبْتَنى لِلْبُناتِ فِي الجَنَـاتِ
إِنمَا الشيْخُ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللّـَ
ـهُ بِهَا آيَةٌ مِنَ الآياتِ
عَلِمَتْهُ العِبادُ شَرْقا وغَرْبًا
سَيدًا عِنْدَ حَضْرِهَا والبدَاتِ
مِنْ بُنَاةِ الجَمِيلِ والناسُ فِيهِمْ
قِلةٌ مِنْ وُجُودِ تِلْكَ الْبُنَـاةِ
صَدَرُوا عَنْهُ حَامِدِينَ كَمَا يُحْ
مَدُ جَمْعُ الوُرادِ وِرْدَ الفرَاتِ
حَفِظَ اللهُ نفْسَهُ وعلَاهُ
وَبَنِيهِ بِحِفْظِهِ والبَنـاتِ
وَبَنِي بَيْتِهِ الرفِيعِ جَمِيعًا

وَمُرِيدِيهِ مِنْ جميعِ الجِهَاتِ
وحَبَاهُ الإِلَهُ قُرةَ عَيْنٍ
فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وتِلْكَ الحَيَاةِ

والثّالث من الأخيرات، ولعلّه كشف له أنّ أمريهما قاربا التّمام فقال: [طويل]

جَزَاكَ إِلَهُ الناسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
وزَادَكَ مِنْ تَكْرِيمِهِ وعَطَائِـهِ
وأَبْقَاكَ لِلْخَلْقِ الذِي بَبَقَائكُمْ
وَأَمْدَادِكُمْ أَمْدَادُهُ ببقَائـهِ
[117] مُسَامِيكَ إِنْ نَالَ الغِنَى كَيْفَ يَرْتَقِي
مَرَاقِيَ مَنْ لَمْ يُغْنِ مِثْلَ غَنَائِهِ
وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ هَمه بذْلُ مَالِهِ
وَمَنْ هَمه فِي جَمْعِهِ واقْتِنَائِهِ
أَمَنْ يَشْتَرِي بِالمَال أجْرًا وَمَفْخَرًا
كَمُنْغَمِسٍ فِي بَيْعِهِ وشِرَائِهِ
فَتى يَظْهَرُ المَعْرُوفُ عِنْدَ ظُهُورِهِ

وَيخْفَى مَنَارُ الْعُرْفِ عِنْدَ خَفَائِهِ

إِذَا مَا احْتَوَتْ يَوْمًا قَنَاطِيرَ كَفُّهُ

تَقسمَهَا العَافُونَ وَقْتَ احْتِوَائِهِ

يَعُد نَمَاءَ المَالِ عَيْنَ فَنَائِهِ

وإنفاقُه لِلّهِ عَيْنَ نَمَائه

ورَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنِةِ تَغْتَلي

بِهِ العَيْشُ قَفْرًا أَرْضُهُ كَسَمَائِهِ

يَسُوقُ بِهِمْ حَادِي جَمِيل رَجَائِهِ

وَيَهْدِيهِمُ هَادِي جَمِيل سَنَائِهِ

يَؤُمونَ نَيْلَ الحَاجِ غَيْرَ مُنغصٍ

عَلَى ثِقةٍ إِنْ أَصْبَحُوا بِفَنَائِهِ

وَمَا عَيْبُهُ إِلاّ عِبَادَةُ رَبِّهِ

وَنَفْعُ الوَرَى فِي صُبْحِهِ وَمَسَائِهِ

وكفى به من شاهد عالم عامل مستقيم مقيم على سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يداهن علم الخير ومحلّه، ونصح العباد بالدلالة عليه، جزاه الله عن الإسلام وعن ذويه خيرا. وهذا وليّ الله

المّتفق على ولايته الشّيخ سَعْدُ أَبِيهِ[295] عقيلة بيت الشّرف، وسلالة النبوّة العزيزة قال وكتب ونثر ونظم. وممّا ينسب إليه في بعض براواته بعد حمد الله وسلاميه على رسوله:" أمّا بعد فسلام منّي إلى الشيخ أحمدُ بْنبَ لعن الله من أبغضه وسبّ موجبه، فلا تنسني ولا تنس أمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ". فهذا من السّيد الجليل نصيحة للأمّة ودلالة على الخير بإشارة لطيفة.

[118] وقال في قصيدة التهنئة لمّا رجع الشّيخ من الغيبة المباركة، بعد أن استشهد على أمره ببيت قديم وهو: [كامل]

حَلَفَ الزمَانُ لَيأْتِين بِمِثْلِهِ حَنَثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّر

و قال أيضا : [طويل ]

مَعَادِنُهُ أَجْلَتْهُ مِنهَا النصَارَى

---

295 ذكره الخليل النّحوي في الأعيان الشّناقطة وعدّه " أحد مشايخ الطّريقة القادرية البارزين " توفي سنة 1917 م

بلاد شنقيط ... ص 515. وهو من رجال الطّريقة الفاضلّية التي أسّسها أبوه محّمد فاضل بن مامين والتي تعتبر شعبة من الطّريقة القادرّية. انظر ( Hamès Shaykh Sa ad Buh Constant Mauritanie 1850-1917)

و عرف عنه تعاونه مع الفرنسيين وجنوحه للسّلم خلافا لأخيه الشّيخ ماء العينين الذي أعلن الجهاد.

فَأَصْبَحَ فِي تِلْكَ الْبحُورِ نُضَارَى
وِمِنْ صَدَفِ الَبحْرِ المُحِيطِ بَدَا فَمِنْ
تلَألُئِهِ فِيهِ العُيونُ حَيَـ ـارَى
وَبَدْرٍ مُنِيرٍ غَابَ فِي الغَرْبِ ثم لَا
حَ مِن الغَرْبِ شَمْسًا رِفْعَةً وانْتِشَارَا
فَعُجْبِي لِكِيمِيَاءِ امْتِحَانٍ غَدَا بَا
نُضَارُ الوَرَى يَاقُوتَةً لَا تُبَارَى
فَيَا عَجَبًا بَابُ المَتَابِ مُفَتحٌ
لِكُل مُرِيدٍ رَامَ مِنهُ جِـوَارَا
هَنِيئًا لِذَا الدينِ الغَرِيبِ الذِي غَدَا
يَتِيهُ سُرُورًا مِنْكُمُ وافْتِخَارَا

بخ، بخ، أكرم به من وليّ ناصح لا يغشّ ولا يداهن.
و هذا ولي الله الشّيخ المستعين الكُمْلِيلي [296] قال:" أخونا في الله".
وقال الشّيخ الحاج محّمد عبد الله بن عُبيد الرّحمان "[297] في كتابه"

---

[296] الشيخ المستعين بن طلحة بن إبراهيم صاحب محضرة ، توفّي سنة 1309 هـ. انظر المختار بن حامد . حياة موريتانيا II / 332

[297] سبق التّعريف به

النّفحات المسكّية في الخوارق البكّية ": "لمّا سأل النّصراني " كُبلَانْ "[298]، أعاذنا الله منه ومن شرّه،" الشيخ سِيدِيَ " عن حكم جهاد المسلمين للنّصارى في هذا الزّمان هل هو جائز أم لا، لأنّ النّصارى لا يتعرّضون لهم في دينهم مع قوّتم وضعف المسلمين،و أجابه بما أجابه وسلّم الجواب الشيخ سعدُ أبيه وعرضاه عليه يريد أن يسلّم، فكتب هو أي الشيخ أحمدُ ما نصّه " ما كتبه الشّيخان متوجّه إلى الأولياء [119] والعلماء الذين يكابدون غيرهم. وأمّا كاتب هذه الحروف، جعله الله تعالى باب السّعادة والبشارة والمعروف، فلم يتوجّه إليه شيء من هذا لأنه فرغ من فتن الدّنيا والآخرة عام

" كسش " (1320 ه / 1902م). فلولا فراغه من فتن الدّنيا والآخرة لأتى بجواب ثالث، ولكنّه صار ممن قيل فيهم (بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبهِمْ يُرْزَقُونَ)[299] كتبه قائله أحمد ابن محمّد ابن حبيب الله

---

[298] Xavier Cappolani مستطلع فرنسي ثمّ أوّل حاكم فرنسي لموريتانيا. انظر عن أعماله في موريتانيا وخطاباته لعلمائها ومواقفهم منه الخليل النّحوي بلاد شنقيط ... ص ص 327 –334

[299] قرآن آل عمران 169

عصمه الله تعالى وكان له وتولاّه. سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين. "

سمعت الشّيخ المُستَعينَ يقول:" إنّ هذا حقّ ولو كان غير الحقّ لما كتبه ".

سمعت من شيخنا البَشِير، ابن الشيخ الخديم يحكي عن الشيخ المُسْتَعِين قال: " تعجّبت من أمر الشّيخ،جلسنا معه مرّة جماعة من العلماء،و أظنّه قال فيهم عبدُ الله بن مُخْتَارَنا الحَاجيَ[300] فشرع يتكلّم علينا بكلام يبهر العقول ونحن منشرحون مصدّقون، ولا علم لنا بحقيقته، نّير يأخذ بمجامع قلوبنا، فعلمنا أنّه من الله.

و قال أخونا المذكور في كتابه المذكور: " ومن كرامة هذا الشّيخ حفظه الله، رجوعه من تلك الجزيرة. لم يرجع أحد جعلته النّصارى فيها بالمشاهدة. فقد طرحوا إليها كثيرا من النّاس ولم يرجع منهم أحد، وذلك أقوى دليل على أنّ ذهابه باختياره ".

[300] ذكره الخليل النّحوي في طلبة الشّيخ محنض باب بن عبيد الدّيماني المتوفّى سنة 1277 هـ / 1860 م

و سمعت أنّ " الشّيخ المستعين بن طّلحة الكُمْلِيلي قال: إّنه لو شاء [120] عدم الذّهاب لما قدروا على إخراجه من أرضه. وكفى به ثقة.

و كتب له الشّيخ نصيحة سّماها "ضيافة القدّوس ولا يشمّ رائحتها ضيف إبليس". وكان يزور الشيخ من بعيد راجلا، ويأبى أخذ ماله. وإذا أعطاه بساطا كان يصلّي عليه يأخذه و يضمّه إليه ويتحفّظ عليه.

و كما قال الشيخ المُستعين، قال أبو محمد الكُنِتيّ[301] المعروف عند العامّة " بُبو كُنتَ"[302] في " أنْدَيَاسَانْ "[303] قرب" تيوَاوُنْ "[304] قال: بعض أصحابنا أتاه يزوره قال المريد: فسألني عن حال الشيخ وهو عالم بغيبته، قال لي: أين الشيخ فقلت له: ذهب به النّصارى. قال: لا، قلت: فما كان إذا. قال: ذهب ليخدم حيث تطيب به

---

[301] أبو محمّد بن بونعامة الكنتي ( 1840 - 1914 ) شيخ قادري وصاحب زاوية في اندياسان قرب تيواون انظر الخليل الذحوي بلاد شنقيط ... ص 267

[302] Bou kounta

[303] Ndiassane

[304] Tivaouane

الخدمة. قال المريد: وأنا في مجلسي أسمع رطانة قوم لا أعرف ممّا يقولون شيئا. قال لي: أتعرف لغة هؤلاء القوم ؟ قلت: لا، قال: لأنها ليست بلغتكم. وذلك لأنّ الشّيخ قبل غيبته ضرب سورا على هذا البلد، فلا أحد ينال فيها تلميذا حتّى يأتي. وأنا اتّخذت أصحابا من وراء سوره فلا يأتي أصحابي إلاّ بعد شهر أو شهرين ".

و من أجلاّء الشّهداء للشّيخ، العلاّمة التّابع الشيخُ عبدُلّ التاْمكِلّي الديَماِني[305] قال وصدق وأحسن: [طويل ]

أَلَا مِلْ إِلَى دَارِ السَلَامِ وطُوَبى
إِذَا خِفْتَ مِنْ رَيْبِ الزمَانِ خُطُوَبا
لِتَظْفَرَ مِنْ غَوْثِ الزمَانِ بِنَظْرَةٍ
تَنالُ بِهَا حُسْنَ المَآبِ و طُـوَبى

[121] وهذان البيتان حفظتهما من الشّيخ. سألني: هل تعلم بيتي " عَبْدُل " قلت: لا وما كنت أعلم، فأنشدهما فحفظتهما بإنشاده، وتحققت أنه يشير إليّ بتصديقه في قوله " غوث الزّمان".

---

305 عبد اللّه التّامكلاوي لم نعثر له على ترجمة ، وقال عنه الشيخ البشير امبك " من أهل الصّلاح والعلم " وهو من البيضان الذين أخذ عنهم الشيخ. منن الباقي القديم II / 85

و قال العالم العلاّمة الجليل الشيخ عبدُ الله بن صلاح التّندَغيّ البُوحْبْنيّ "[306] حين زار الشّيخ في " أنجَارِيمْ " قصيدة وبيتها: [طويل ]

لِئِنْ فُقْتَ كُل الأَوْلِيَا مُتَأخّرَا
فَخَيْرُ البَرَايَا فِي القُرُونِ الأَوَاخِرُ

و الشّيخ عبدُ الله هذا هو الذي قال له الشّيخ: يا عبد الله ها هنا قصيدة من حفظها لا يسأله في قبره منكر ونكير. فقال الشّيخ عَبْدُلّ: لا إله إلاّ الله أين هي. فقال: عند محمد الأمين[307] هذا. فقال: و الله لأحفّظنّها أبناءنا ونساءنا وعبيدنا وإمائنا. وصار يعدّ والشّيخ يضحك. والقصيدة هي: [سريع]

جَاوَرْتُ بِالفُرْقَانِ رَبّيَ المُعِينْ     مَلَكْتُ نَفْسِي وزَحْزَحتُ اللعِينْ

---

[306] الشيخ عبد الله بن صلاحي التندغي توفّي سنة 1346 هـ / 1927 م. ذكره الخليل النّحوي في المؤلّفين الشّناقطة . بلاد شنقيط ... ص 564 وله قصائد في مدح الشّيخ الخديم ضمن مجموع " دواوين شعراء أهل الزّوايا المورتانيين في مزايا الشّيخ الخديم " ص ص 354-364 مخطوط بمكتبة الشّيخ الخديم بطوبى.

[307] المؤلّف

إلخ. وهذا السّيد بنفسه هو الذي حكى عليّ الحكاية العجيبة التي ما سمعت مثلها. قال لي السّيد: يا أخي كنت يوما أقرأ حزبي من القرآن، فلمّا فتحت المصحف فإذا الله تبارك وتعالى القادر على كلّ شيء كشف لي يوم " ألست بربّكم " فشاهدت الواقعة، وعاينت الأنبياء نبيّا نبيّا بجماعاتم، المقلّ منهم والمكثر، ثمّ شاهدت الأولياء وليّا وليّا بجماعاتم، المقلّ منهم والمكثر، حتّى شاهدت شخصا وهو [122] الشيخ أحمدُ هذا وقد سدّ الأفق أتباعه، خرج من الحضرة وتباعد قليلا ثمّ التفت إلى الحضرة وقال: من يبلّغ عنّي إلى ربّي رسالة، مرّتين أو ثلاثا، فوفّقني الله وقوّاني فقلت: أنا. فالتفت إليّ وقال: أفلان ؟ قلت: نعم، قال: لئن فعلت وأتينا للدّنيا لأفعلنّ لك ولأفعلنّ ثمّ لأفعلنّ. فقال: قل لربّي يزيدني، إنّ أتباعي لكثيرون ولا أريد لهم إلاّ ما تقرّ به أعينهم. أو كلاما نحو هذا. فدخلت وقلت كما قال فرأيته خرجت له حثّية ثم حثّية ثم حثّية حتّى سمعته قال: حسبي، ثم انصرف". بخ، بخ وهو من أعيان مصادر الشيخ سَعْد أبيهِ.

ثمّ إنّي لم أخبر بذا الخبر إلاّ بعد وفاته بوصّية منه.و هذا الشيخ خليلي جدّا،وخليل للشّيخ وحبيبه. أرسلني مرّة إلى الشيخ يخطب

منه إحدى بناته وقال: ما طلبتها منه إلاّ لحرص على ما يخالطني معه هنا وغدا. فقال الشّيخ: الأمر كما قال، فلقد طالبوني بمثل هذا في أرضهم أن يزوّجوني من بناتهم فقلت لهم:اختلاف العوائد يأبى ذلك لا غير. فأنصف وصدق.

ومن أجلّ الشّهداء الحاج إبراهيمُ البغداديُ [308] وهو من دهاة العرب خرج من بغداد ومثله في العلم نادر. حكى لي الشيخُ الخديمُ نفسه أنّه رأى الحاج إبراهيم وهو إذّاك غير كبير يتغيّب مع والده والقاضي مَجختِ كَلّ " [309] وهما يتغيّبان مع لْتجُورْ الأمير[310] والحاج إبراهيمُ معهم، فرأيته جالسا مع الشّيخين على فراش سِرين بو َبكْر فَالْ [311]و هو يدهاها[312](؟) بكثرة [123] الحكايات العلمّية، فلم يتمالك القاضي أن قال: أرسلوا إلى فلان، يعنيني، يأتي

---

[308] لم نعثر له على ترجمة , وهو من العلماء البيضان الذين أخذ عنهم الشيخ أحمد بنب ، قال عنـــه الشّيخ البشير امبك " من أهل الصّلاح والعلم " منن الباقي القديم II / 85 .

[309] Madiakhaté Kala قاضي الأمير لتجور سبق التّعريف به

[310] Lat Dior أمير منطقة كجور سبق التّعريف به

[311] Sérigne Boubacar Fall

[312] كذا في كل النسخ المخطوطة

يكتب هذا العلم الكثير من الأشعار لئلاّ يضيع. فأتيت، فهو يملي وأنا أكتب كثيرا من الأشعار فسمعت من الشّيخ الوالد يقول: ما رأيت مثل هذا البيضاني في كثرة الحفظ إلاّ الحاج عمَر الفُوتي[313] دائما يقول: قال البخاري وقال مسلم إلى هلمّ جرّا. وقيل إنّه سئل عن اسم هذا الأمير فقال: لْتجُور، فأطرب الأمير كلامه وسرّ به.

وبعد ذلك بنحو عشرين سنة أو قريب منه بعد رجوع الشّيخ من الغيبة البحريّة، اجتمع به وذكّره بما كان قبل فتعجّب كثيرا. ويحكى أن من أسباب تعلّقه بالشّيخ ومبايعته إيّاه أنّه

كان يوما مع الشيخ في سفره قائلين تحت شجرة وكان الحاج سمعت من الشيخ أنّه كان يشمّ فأخرج آلة شمّه فصبّ في كفّه شيئا وقال لي: ما تقول في هذه ؟ قلت: له افعل ما كنت تفعل ولا تسأل. فقال: ولا بدّ لأنّ الاختلاف فيه كثير بين محلّل ومحرّم. قلت له: إن كان كذلك فهو مشتبه عليك. قال: نعم. قلت: أما رأيت الأخضريّ[314] قال: بلى رأيت. قلت له: إنّه قال في

---

313 El Hadji Omar Tall Foutiyou سبق التّعريف به

314 سبق التّعريف به.

أوّله "و لا يحلّ لمكلّف أن يفعل فعلا حتّى يعلم حكم الله فيه". فهلاّ توقّفت حتّى تعلم حكم الله فيه ؟ فأفحمه كلامي وبلغ به مبلغا ثمّ أطرق ساعة وقال لي: اشهد بأنّي تركته لله. ثمّ قام من فوره ودفن الآلة بما فيها، و من يومه أو بعده بايع الشيخ.

فلمّا علم [124] مبايعته بعض الأكابر لامه على ما كان منه لّما علم من جلالته وعلمه الكثير وقال له [لم بايعت هذا السودانيّ وأنت كذا وكذا ] (*)، فقال له مجاوبا: إنّي خرجت من بغداد على ما علمت منّي ولا همّ لي إلاّ من يأخذ بيدي. فكم من وليّ وعالم لاقيت وما شممت رائحة ما أريد إلاّ فيه ومنه فلذلك تعلّقت به وبايعته. فصدّقوه وعذروه.

فلمّا رجع إلى الشّيخ وحكى له ما لقي من ملامة من لام، كتب له الشّيخ: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد ففي نظمنا "مسالك الجنان في خدمة المطّهر الجنان " هذه الأبيات: [رجز ]

مَنْ ظَنِني غَيْرَ خَدِيمِ المُصْطَفَى

فَإِنني أَخْدِمُهُ بِمَا اصْطَفَى

---

(*) سقط من ج

أَخْدِمُهُ إِلَى دُخُولِي الجَنَّهْ

دَارِ القَرَارِ والمُنَى والمِنَّهْ

مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَكُونُ أَبَدَا

مَرْضِيَّهُ بِمَا كَخِدْمَتِي بَدَا

فَغِرُّهُ الضَّلَالُ والإِضْلَالُ

يَنْقَادُ لِي مِنْهُ بِهِ الحَلَالُ

مَدَحْتُهُ قَبْلُ لَدَى" لِبْرَوِل" [315]

مَدْحًا وَنَى عَنْ مِثْلِهِ كُلُّ وَلِي

مَدَحْتُهُ مَدْحًا لَدَى " مَايُنْبَا" [316]

مَحَا عُيُوبِي وكَفَّ الذَّنْبَا

مَدَحْتُهُ عِنْدَ أُنَاسِ " كَلْوَى" [317]

مَدْحًا كَفَانِيَ العِدَى والبَلْوَى

وفي خدمتي له بآله وصحبه الصّلاة والسّلام قلت: [رجز ]

---

[315] Libreville

[316] Mayomba

[317] Galwa

مِني إلْيهِ خِدْمَةٌ قَدْ لَازَمتْ

رَوْضَتَهُ إلى القِيامِ عَظُمَتْ

رَضِيَ عَني سِبْطُهُ "الجِيْلاَنِي"

عَلْيهِ رِضْوَانُ الذِي أعْلَانِي

[125] رَضِيَ عَني سِبْطُهُ "أُبو الحَسَنْ"

عَلْيهِ رِضْوَانٌ يُخَلدُ الحَسَنْ

رَضِيَ عَني سِبْطُهُ "التيجَاني"

عَلْيهِ رِضْوَانُ مُبِيدِ الجَـ انِي

رَضِيَ عَني الخُلَفاءُ الأرْبَعَهْ

حُزْتُ رِضَى المُقَرِبينَ المُتْبَعَـهْ

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنيَ يَرْضَى فَالكَرِيمْ

رَضِي عَني رَضًى لَيْسَتْ يَرِيمْ

جَزَى الإلَهُ المُصْطَفَى خَيْرَ جزَا

كَمَـا تَقَبلَ ووَعدًا أنْجَزَا

صَلَاةَ مَنْ كَرَمُهُ يَلْقانِي

عَلى الذِي دُونَ المِرَا ألْقَانِي

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

و هذا فيه إشارة إلى أنّ من لاموه فيه لم يدروا حقيقة أمره، ولم يقولوا مثل ما قال من لم يدر مثلهم: [كامل ]

يَا مَنْ حَقِيقَةُ أَمْرِهِ لَمْ أَدْرِهِ     يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا حَقِيقَةُ أَمْرِهِ

و ممّا يؤثر من شواهد الكبراء له أنّ الشيخ مُحمد بن حَبيب الرّحمان التّنْدَغِي [318] كان كلّما ذكر الشيخ عنده هزّ رأسه وقال:ذلك الفتى كلّما افتقدته وجدته أمامي واديا أو واديين.

وأخبرني أخي مُحمد عبدُ الرّحمان بن سَالِك بن بَابَ العلوي[319] أنّ خليفة الشيخ أحمد بن بَدّ[320] وابنه الجليل مُحمّد الأمين أخبره بأنّ الشّيخ الخَديمَ أقام على ولايته الشّهود والبراهين، فاتّضح عند الكلّ، فما أحد من أهل الخير يشكّ في ولايته.

---

[318] لعلّه محمّد حبيب الرّحمان التندغي المتوفّى سنة 1337 هـ / 1919 م. ذكره المختار بن حامد ( حياة موريتانيا II / 264 .) من مدرسة الحلّة من مدارس تندغه.

[319] ذكره الخليل النّحوي في المؤلّفين الشّناقطة بلاد شنقيط ....ص 622

[320] سبق التّعريف به

ومن الشواهد ما حكى لي مُحمد بن أحمد بن علي اليعقُوبي[321] المعروف عند التلامذة بمُحمّد طُوَبى لكثرة إقامته مع الشّيخ با، [126] أنه مرّ في بعض زيارته بأخواله دأبم فاجتمع بفريد عصره مُحبّ النبيّ وخديمه مُحمد قَالْ بن مُحمّد بن أحمد العَاقل،[322] فاستحمله سلاما وزيارة إلى الشّيخ، وطلب منه فضلة لباس ممّا يلي جسده يتبرّك به.

فبلّغت كلّ ذلك للشيخ فاستبشر به، فأعطاني شعارا صغيرا كان يلي جسده أي التركِ بلغة " وُلُفْ"،فقال لي:أعجل به إليه. فأتيته به فاستبشر به غاية وصار يشمّه ويضعه على رأسه وعينيه،فتسامعه النّاس فصار كلّ من أتاه يطالبه بالتبرّك به حتّى ضيّعوه عليه، فطالبني أن أعود إليه ثانيا وأقول له إنّ النّاس ضيّعوا عليّ بركتي فليمنّ عليّ بثانية. فأتيت الشيخ وقلت له ذلك فاستبشر، فأعطاني ثانيا فأتيته

---

321 لم نعثر له على ترجمة

322 عالم متبحّر ومؤلّف في ميادين كثيرة ، ذكره المختار ولد أباه ( الشعر والشعراء في موريتانيا ص 74 )،
و المختار ابن حامد ( حياة موريتانيا II / 74 )

به، فشكر الله كثيرا وأثنى على الشّيخ كثيرا وشكر لي سعيي معه، ثمّ قال لي: لو لا تعلّقك بالشّيخ لقلت فيك أغاربي عليك.

ومن الشّواهد ما يؤثر عن ابن أخيه أحمد يُورَا مُحمّد "[323] أنّ بعض أصحابه لامه على قلّة زيارة الشّيخ فقال: " والله لا أحبّ أن يحملني رجلي إليه وأنا في قلبي مثقال ذرّة من الدّنيا ولكن أزوره حيث أنا. " بخ، بخ أكرم بمُحمّد وكفى بمُحمّد شاهدا.

و أكثر أهل هذا البيت لزوما للشيخ، وأحسن مقالا هو أحمدُ بن عبد الله [324] شقيقهما، فإنّه كان مع الشّيخ كالنّفس الواحدة. ولقد شهدت يوما كان الشّيخ يستقرئ بعض قصائده، فقرئ بيت هو:[رجز ]

تَقْدِيمُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ    يَعْرِفُهُ [127] غَيْرُ غَبِي لَاهِ.

---

[323] لعلّه محمد بن أحمد يوره الدّيماني ( 1257 هـ / 1841 – 1340 هـ / 1922 ) عالم شاعر ذكره الخليل النّحوي بلاد شنقيط ... ص 532

[324] أحمد بن عبد الله العاقلي الدّيماني

ذكر أحمد بن عبد الله تذكّر أحمد وقال: إليّ بأحمد العَاقِلِيّ. فتعجّب الجماعة وأوتي بأحمد فقصّ عليه القصّة ففرح وشكر. وأحمد هذا توفّي في دَكَارْ،و قبره هناك قد زرته.

ومن الشّواهد ما ذكر لي" حَبَلَ ْبنُ َبلي" الدّيماني [325]أنّه مكث زمنا يطلب من الله أن يريه مقام الشّيخ،فبالغ يوما في طلبه فقيل له: إنّكم لن تعرفوا من الشّيخ إلاّ إذا فتح وجلس للقاء النّاس قلتم: هذا هو الشّيخ.أو فتح المحراب وقام قلتم: صلّى بنا الشّيخ، وغير ذلك من أمره غاب عنكم. قلت: وهذا شبيه بقول أُوَيس القرني[326] سيّد التّابعين لبعض الخلفاء: إنكم لم تدركوا من رسول الله إلاّ ظلّه. فقالوا: ولا ابن أبي قحافة ؟ قال: ولا ابن أبي قحافة. وذ كر لي "حَبَلَ "هذا كرامة عن صهره أبي زوجته، قال إنّه كان يوما في خيمته وابنته هذه تفلي له رأسه، إذ نض نضة قوية سريعة فخرج من الخيمة وضرب رجله على حديدة سمعوا صوت وقع الرّجل عليها، وما حديد بقربم فانكسر الرجل ووقع مغشّيا عليه. فلمّا

---

[325] من شيوخ بني ديمان

[326] أحد التّابعين ومن نسّاكهم .(ت 37هـ / 657 م ) انظر الأعلام للزّركلي II / 32

أفاق سألوه عن هذا فقال إنّه رأى وليّا سودانيا [محمّد بن المعلوم] (*)يقيّد بالحديد فأراد إغاثته فضرب برجله الحديد ليكسر القيد، فانكسرت الرّجل، ولم يبرأ منه حتّى مات رحمة الله عليه وتقبّل منه ما فعل. وقبل وفاته بشّر أولاد ديمان بفتح واسع من المال إذا رجع ذلك الوليّ فكان كما قال. فلمّا رجع الشّيخ اتّخذهم [128] كتبة،علما وقرآنا، شبّانهم وشيوخهم حتّى النّساء والصّبيان، فيبذل لهم من الأموال ما لا يوصف،من يحسن منهم ومن لا يحسّ تيسيرا وتسخيرا من الله لهم إعانة وصدقة بشرا وخدمة للإسلام وللرّسول في أمّته. فكما كتبوا، كتب غيرهم من البياضين والسّوادين، لكن فيهم أشهر وأظهر.

ومن أجلاّء الشهداء المباركين حَامدُ بن مُحمّد بن مُحْنضَ بَابَهْ[327] بل وأبناء أعمامه بَابَ وأحمدُ أبناء محمود وحامد، كانوا كلاّ من

---

* (*) الزّيادة من د وط

[327] حامد بن محمّد بن محنض باب الديماني من علماء البيضان ( ت سنة 1363 هـ . ذكر له المختار بن حامد رسالة في المنطق. حياة موريتانيا II / 74 وقال عنه الشيخ البشير امبك " علاّمة بني ديمان ،بل علاّمة الصّحراء الكبرى قاطبة ." منن الباقي اقديم II / 209

خواصّه ومن محسني القول فيه. ولقد وفّق لي في زمن الشّيخ في ثِيَان[328] أن أرسلني الشّيخ إلى دَغَنَ[329] فأتيتها، فسمع بي الأستاذ حامد في " دغن"و هو إذّاك ضيف عند الحاج بكّاني سكْ[330] ولم يلبث أن جاءني وفرح بقدومي وقال معي في بيت والدتي وظلّ يسألني عن خبر الشّيخ الخاصّ والعامّ، و يضحك فرحا بالشّيخ وأحواله. وأخرجت له كتاب الشيخ المسمّى" مسالك الجنان" فأكبّ عليه ولم يرفع رأسا لشيء حتّى أمسى. وقال لي: وجود الشّيخ في زماننا هذا دليل على خيره الكثير.

هذا وتفاصيل أمر السّادات البياضين ليس هذا محلّه، ولكن في كتابنا " لمنح المسكّية في الخوارق البكية "[331] نزيد ما استطعنا بذكر المريدين منهم إن شاء الله.

---

[328] Thièene

[329] Dagana

[330] من أعيان دغن

[331] مخطوط على ملك أسرته

ومن أجلاّء الشهداء شيخنا وشيخ المسلمين في سِنغالْ محبّ الشّيخ وقريبه قرابة دين وطين ووطن الحاج مَالِكْ سِي [332] رضي الله تعالى [129] عنه ونفعنا به آمين.

سمعت وسمعه غيري، كاد أن يكون متواترا إنّه قال: ما منّا إلاّ من تاب عن إساءة،و استقام عن اعوجاج، إلاّ ما كان من الشّيخ أحمد فإنّه نشأ محسنا مستقيما.يعني ما منّا معشر المشار إليهم أحد إلاّ عرف في نفسه هفوة أو هفوات تاب منها واستقام بعد اعوجاجه، إلاّ هو فحاله في صغره وكبره سواء، صدق الله ونصح.

و أخبرني أخي مُحمد بن علي اليَعْقُوبي " [333] المعروف بمحمّد طُوبَى إنّه في بعض زيارته مرّ يتَوَاوُنْ وزار الحاج مَالكْ سي، فلمّا علم أنّه متوجّه إلى الشيخ قال له: إنّي مرسل معك كلمات إلى الشيخ، فإذا وصلت فسلّم منّي عليه وذكّره بليلة إتياني له في أنْدَرْ، وبياتي معه في البيت لا ثالث معنا إلاّ الله. فإذا تذكّر وعلم بصدقك فقل له إنّي على العهد الذي عاهدته عليه. قال محمد: والله لا أعرف ما العهد

---

[332] Al-Hadj Malick SY شيخ الطّريقة التيجانّية في السّينغال

[333] سبقت الإشارة إليه لم نعثر له على ترجمة.

ولا زادني هو عليه شيئا. فلمّا وصلت وذكّرت الشّيخ باللّيلة فتذكّر، قلت له ما قال ففرح وصدّقني وصدّقه،و أثنى عليه كثيرا وجعل يفرك أذني وأنفي ويضحك من سروره.

ومن أجلاّء الشّهداء قاضي القضاة مَجَخَت كَلّ،[334] حبيب الشّيخ وقريبه دينا وطينا ووطنا. كان خليلا لوالد الشّيخ، و كان كلّما رأى الشّيخ أوان تعلّمه، يرميه ببيت أو جملة يمتحن با قدمه في النحو أو في البيان تشحيذا لذهنه. طورا يكسر له، و طورا لا يكسر حتّى فاته الشّيخ. فلمّا كبر الشّيخ عن حاله الأوّل صار يقول: أنت كنت ابنا فصرت أبا، وكنت تلميذا وصرت شيخا [130] تصديقا واعتقادا في ضمن مباسطة.

و ممّا ينسب إليه بيت عجيب ولعلّه مطلع قصيدة : [بسيط ]

مِني ـِلأَحْمَدَ ـبْنبَ التِارِكِ الناسِ

غْيرِ اِلإِلَهِ فَأمْسَى سَيِدِ الناسِ

---

[334] ( Madiakhaté Kala قاضي الأمير لتجور سبق التّعريف به.

وممّا ينسب للسّيد الجليل الشيخ "مُحمّد الفُوتي" [335]والد الشّيخ ذي النّون [336]و أخيه ٱبن العَرَب [337] وهو من مصادر الشّيخ " سعد أبيه " قال لي الشّيخ: أنا أحمد وهو لم نلتق ولكن كان يراسلني بذا البيت، وهو مطلع قصيدة سينّية مدح بها الشّيخ:

[طويل ]

إِلى مَنْ حَبَاهُ اللهُ بِالبَسْطِ والأُنسِ وحَكمَهُ فِي عَالَمِ الجنّ والإِنسِ

وهي عجيبة لم أستحضرها الآن. و ذكر في بيت منها يخاطب الشّيخ " فصّبوا على مسكينكم فضلة الكأس". وكان الشيخ كلّما رأى ذا النون صنع له كأسا وقال:خذ مطلب الوالد. بخ،بخ. وذو النّون هذا، من الشّعراء اليدين وله ديوان في مدح النبيّ خاصّة

---

[335] عالم من مدينة تياس ( Thiès ) له قصيدة في مدح الشّيخ سعد أبيه. انظر : عامر صمب الأدب السينغالي العربي I / 237

[336] يونس بن محمّد الفوتي المعروف ب " ذو النّون لي " ( ت سنة 1927 ) من علماء تييس. له ديوان شعر في مدح أشياخ من المريديين وغيرهم. انظر عامر صمب الأدب السينغالي العربي I / 291-237

[337] ابن العرب لي بن محمّد الفوتي من علماء مدينة تياس وشعرائها. له قصائد في مدح الشّيخ سعد أبيه.
انظر عامر صمب م.ن I / 291 –294

وديوان في مدح الأشياخ وخصوصا شيخنا.  وهو الذي يقول في شيخنا هذا:

[بسيط ]

يَا خِل كَمْ زَارَ هَذَا الَبابَ مِنْ مَلِكٍ

ومِنْ وَزِيرٍ ومِنْ جِن ومِنْ مَلَكِ

مطلع قصيدة كافية عجيبة إلى ما لا يعدّ،و هو كأبيه من مصادر الشيخ سَعْد ِأَبِيه [338] رضي الله تعالى عنهم. وتوفّي ذُو النون في تِياَسْ [339] ودفن في مقابر الشّيخ أَحْمَدُ بَرُ،زرته فالحمد لله.

و من أجلاّء الشّهداء الشّيخ الجليل سِرِينْ طّيبَ مُحمّد نُمْبَ مَارْ[340]. قال لي الشّيخ: كان ذلك الشّيخ [131] كلّما رآني أورد فيّ هذا البيت مستشهدا به في حالي وهو:

[بسيط ]    وكَمْ أبٍ قَدْ عَلَا ِباْبنٍ ذُرَى شَرَفٍ

كَمَا عَلَتْ ِبرَسُول اللهِ عَدْنَانُ

---

338 سبق التعريف به

339 Thiès

340 سبق التّعريف به .

يعني أنّ هذا الفتى زين وكمال لأصوله.

ومن أجلاّء الشّهداء السّيد الجليل الحاج عبدُ الله سِيسِ السالِمي.[341] كان حسن القول والاعتقاد في الشّيخ. تكلّم قوم في مجلسه حتّى ذكروا الشّيخ وأخذه ورده من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فتكلّم شخص من الحاضرين كأنّه معترض، فانتهره الحاج وقال: "ما تقول؟ ألم يقل الشّيخ أحمد التّيجاني أنّه أخذ بعض أوراده بإملاء من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال: بلى. قال: وما كان إلاّ عالما عاملا تقيّا سنّيا، حسنت ظنوننا به فصدّقناه. وهل هذا إلاّ مثله عالما عاملا تقيّا سنّيا أفلا يسعنا إلاّ أن نصدّقه بحسن ظننا الذي صدّقنا به ذلك". فانقطع الرّجل ولم يحر منه جوابا.حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النّصير والحمد لله وكفى.

هذا ما سمحت به القريحة والحال، فلو أنّي أطلقت عناني وأتيت بما وعى جناني وما أوثره من أقراني ممّا صحّ، وما لم يصحّ، لأتيت بأعجب العجاب، لكن من الصّواب ومن غير الصّواب. فاخترت

[341] من علماء التيجانيّة في منطقة سالمُ معاصر للشّيخ أحمد بنب.

ما استطعت أن آتي بما فيه الثّواب، إذ لا ثواب في غير الصّواب. فنسبة ما أتيت لما أبقت كنسبة واحد إلى ألف, ونسبة ما علمت إلى ما لم أعلم كنسبة رشفة إلى بحر. [132] والله تعالى أسأل أن يجلّ قُلّي وينشره، ويتقبّله وينصره، إنّه المتفضّل الكريم ذو الفضل العظيم. وصلى الله على سيّدنا محمد الكريم، وعلى آله وصحبه ذوي التعظيم.

بدئ وتمّ في المبارَكة، الله يتقبّل وينصر ويرفع وينشر. آمين آمين.
اللهمّ اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيرا.

# مراجع التّحقيق

1. البرتلي الطّالب محمّد بن أبي بكر
- فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التكرور بيروت 1981
2. ابن حامد المختار
- حياة موريتانيا (الجزء الثاني). تونس 1990
3. ابن هشام عبد الملك
- سيرة النبيّ. دار الفكر بيروت 1981
4. الزركلي خير الدّين
- الأعلام بيروت 1980
5. الشنقيطي أحمد ولد الأمين
- الوسيط في تراجم علماء شنقيط، القاهرة 1958
6. صمب عامر
- الأدب السّينغالي العربي الجزائر 1987
7. امبك الشيخ أحمد بمب
-تزوّد الصّغار إلى جناب الله ذي الأنار، دكار د.ت
- سفينة الأمان. دكار د.ت
-مغالق النيران ومفاتح الجنان، دكار. دت

-مسالك الجنان، دكار د.ت
-ملّين الصّدور، دكار د. ت
-مجمع النورين، دكار د.ت
-الموعة المشتملة على أجوبة ووصايا الشيخ الخديم وفتاويه، جمع وترتيب محمد جاج طوبى. د.ت
8. امبك البشير
- منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم. مخطوط
9. امبك خديم
- من رسائل الشّيخ محّمد البوصوبي. اسطمبول 1996
10. مخلوف محّمد
- شجرة النّور الزّكّية في طبقات المالكّية. بيروت د.ت
11. النّحوي الخليل
- بلاد شنقيط المنارة والرّباط. تونس 1987
12. الواقدي
- كتاب المغازي. بيروت 1989
13. ولد أّباه محّمد المختار
- الشعر والشّعراء في موريتانيا. تونس 1986
14. ولد باباه محمذن

- نصوص من التّاريخ الموريتاني  تونس 1990
15. ولد الحسن أحمد (تحقيق)
- كتاب التّكملة في تاريخ الترارزة والبراكنة لابن بابه العلوي.  تونس 1986
16. اليعلاوي محمّد
- حساب الجمّل أو التّاريخ بالحروف.  حوليات الجامعة التونسيّة العدد VIII / 1971

- CISSOKO Sékéné – Mody Histoire de l'Afrique Occidentale Paris 1966
- HAMES Constant Shaykh Saad Buh (Mauritanie 1850-1917) in Islam et sociétés
- N°4 Novembre 1990
- Ki-ZERBO Joseph Histoire de l'Afrique Noire Paris 1978
- MBACKE Khadim Les bienfaits de l'Eternel. Dakar 1995
- Marty P. Etudes sur l'Islam au Sénégal PARIS 1916
- SAMB Amar Essai sur la contribution du Sénégal à la littérature

d’expression arabe I.F.A.N Dakar 1972
- SY Cheikh Tidiane La confrérie sénégalaise des Mourides. Paris 1969

## فهرس المحتوى